

مَسْرَحِيَّاتٌ شَكْسِيَّةٌ
المجلد الثالث عشر

دقة بدقة و العبرة بالخواتيم

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

دقة بدقة

ترجمة وتقديم
ابراهيم زكى خورشيد
مراجعة

شفيق غربال - محمد بدران

العبرة بالخواتيم

ترجمة وتقديم
عباس حافظ
مراجعة

شفيق غربال - محمد بدران



دارالمعارف

دقة بدقة

ترجمة وتقديم

ابراهيم زكي خورشيد

مراجعة

شفیق غربال - محمد مبدان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كُتِبَت هذه المسرحية ما بين سنتي ١٦٠٣ و ١٦٠٤ ، وهذا التاريخ موضع خلاف النقاد ومؤرخي المسرح ، كما أن تاريخ تمثيلها أيضاً موضع خلاف ، والراجح أنها مثلت في البلاط الإنكليزي سنة ١٦٠٤ ، ونشرت سنة ١٦٢٣ . وقصة المسرحية تقوم على حادثة يقال إنها وقعت في فرارا بإيطاليا في القرون الوسطى ، وقد أخذها شكسبير من مجموعة الروايات تسمى « هيكاتوميثي » بقلم جيرالدي كنشيو .

وتتلخص هذه الأسطورة في أن دوق فينا ذهب في مهمة سرية ، وترك سلطته لأنجلو وهو رجل صارم الخلق ، مضى يطبق قوانين قديمة تعاقب الفسق بشدة لا رحمة فيها . وقبض أنجيلو على كلوديو وقضى عليه بقطع رأسه ، واستشفعته إيزابيلا أخت كلوديو متوسلة إليه أن يبقى على حياة أخيها وراقت إيزابيلا في عين أنجيلو وأخذ يغريها على تسليم نفسها إليه ، وعرض عليها أن ينقذ حياة كلوديو إذا هي أذعنت لرغباته واستجابت لشهواته ، فأبت إيزابيلا واستعصمت .

وعاد الدوق إلى فينا متنكراً ، وسمع بقصة إيزابيلا واستقر عزمه على أن يوقع

بأنجيلو ، وحمل إيزابيلا على أن تضرب له موعداً ، وأوحى لماريانا وهي فتاة تنكر أنجيلو لعهدا ، بأن تتخذ شخصية إيزابيلا في الموعد المضروب مع أنجيلو ، فتستجيب ماريانا لنصحه .

ودبر الدوق الأمر بحيث يكشف خداع أنجيلو وخيانتته ، ثم عمد في النهاية إلى إظهار شخصيته الحقيقية ، وأزاح القناع عن خبيثة أنجلو وجريته وأجبره على الزواج بماريانا وعفا عنه ، وتزوج هو إيزابيلا وجعلها دوقة لفينا .

ولم يختلف النقاد في مسرحية لشكسبير اختلافهم في هذه المسرحية ، فبعضهم يسرف في نقدها ويرى أنها من المسرحيات غير المحببة التي تترك في نفوس مشاهديها مرارة لا يسهل الخلاص منها ، وفيها فسق وفساق من نوع عجيب ، كما أن العدل فيها تشوبه العيوب والمآخذ فالحلول التي التمس لمشاكلها فيها بُعد عن الطبيعة ومجافاة للواقع ، ومن هؤلاء النقاد سوينبن وكولريدج . ولعل هذين الناقدين وإضرابها قد أسرفوا في النقد ، على حين أنصف المسرحية الناقد العظيم هازلت فقال إنها « حافلة بالعبقرية كما هي حافلة بالحكمة » .

وأنصفها أيضاً الشاعر الإنكليزي الكبير جون ماسفيلد إذ أثنى عليها ثناءً عاطراً بقوله : « إنها من أعظم آثار أعظم عقل أنجبتته إنكلترة فهي تناول في إنصاف حالة رجل جعل الترة العاطفية الجامدة تقف حاجزاً أمام شعور طبيعي حي وقد انتقمت روح أنجيلو من شكسبير نفسه إذ أصبحت الملك الحارس للمسرح البريطاني » .

والظاهر أن شكسبير قد احتضن فكرة أن فضائل التعقل والتدبر لا تكون في

بعض الأحيان نابعة من الفضيلة نفسها ، وإنما هي تنبع من شيء من الفقر الشديد في الطبيعة ، وقد ترجع العفة أحياناً إلى ضحالة في العقل أو جحود في العاطفة أو خوف في الفطرة ، وقد ترجع أحياناً إلى تفكير سليم وعقل ناضج ، وفي هذه المسرحية جعل شكسبير العفتين تتصارعان ، تنبعث الأولى من نار تتأجج في شخصية إيزابيلا ، فتجعلها تفضل الموت على تلويث نفسها وتسبغ عليها تلك المساحة المشرقة ، التي يتسم بها أولئك الذين يعيشون في سينيل المبدأ ويبدلون من أجله النفس والنفيس ، بل يموتون في سبيله وتنبعث الأخرى عن الشح الرخيص بحمل أنجيلو على إغواء إيزابيلا بدلاً من أن يتزوجها بلا بائنة . العفتان قد تبلغان مبلغ العقد النفسية ، وتسموكل منها بجانب من الحياة ترفعه فوق الحياة نفسها وهما تؤديان بصاحبها مثل سائر العقد إلى حزن يملكه ، إذا هو اصطدم بشيء من الواقع .

وشخصيتا إيزابيلا وأنجيلو هما الحدث الذي تدور حوله المسرحية ، التي تقوم على الصعوبة التي تكثف تحقيق العدل في عالم من الحيوانات تحركه الشائعات ، وهذا الموضوع بالذات قد شغل عقل شكسبير طوال حياته الخلاقية . فالحكمة تبدأ بالعدل . ولكن كيف يتأتى للإنسان أن يكون عادلاً بدون أن يفهمه الله فيعرف حكمته ؟ ومن منا لم يخطئ حتى يجلس في مقام الحكم على الآخرين . ومن منا أوتي من الحكمة ما يجعله يكشف عن ضمائر الآخرين ويزن الأفعال التي ينساق بالإغراء والغواية وعسك الميزان بالقسط فلا يميل به الميزان ؟ فما بالك إذا تعرض العدل لجرمة الجنس المحفوفة من قديم بالغواية والشباب وسورته والحب وأنانيته وضلالاته وشطحاته وعذابات !!

ونحن إذا حللنا شخصيات المسرحية فإننا قد نعيب على الدوق تخليه عن واجبه وتركه مهمة الحكم المفقوته لغيره ، ثم إننا قد نأخذ عليه زواجه المفاجئ بإيزابيلا آخراً . أما أنجيلو فإننا نحدد على خسته حيال إيزابيلا ، وقد يغتفر له البعض زلته ، وهو إلى ذلك كله يمتاز بأنه أقرب شخصيات المسرحية إلى الطبيعة مع ضعفه وأما إيزابيلا ، فإن ثمة نقاداً يرون أنها بلغت من جحود العاطفة ما ينأى بها عن الواقع .

ومهما يكن من شيء فإن شكبير يُبَيِّر الضعف البشرى ويصور شخصيات عجيبة ويضع على لسانها أقوالاً فيها من التغفل في نفوس البشر بأقل أن نجده في غيره من الكتاب والشعراء .

ويرى جون ماسفيلد أن هذه المسرحية أثر من آثار الفكر الذى لا يهاب ولا يحجم . وهى حافلة البراعات التى تميز كتابة المسرحيات أكثر من أية مسرحية أخرى ، وشعرها ونثرها يجريان في نعومة ويسر وتآلق وإشراق يحمل المرء على القول بأن شكبير ليس شاعراً يقول الشعر ، وإنما هو شمس ساطعة . ويزيد هازلت على اعترافه بأن هذه المسرحية حافلة بالعبقرية والحكمة ، فإن طبيعة موضوعها فيها إثم أصيل يمنع المرء من أن يقبل على الموضوع بقلبه ، ذلك أن قمة الذرائع الخلقية التى بثها الكاتب في المسرحية في تضاعف مشاهد العاطفة .

ونبضات الطبيعة الغالبة تكاد لا تدانيها أية مشاهد في أثر من آثاره . ولكننا نحس عامة بأن المسرحية تفتقد العاطفة فشاعرنا تتأذى من جميع الوجوه والعاطفة الوحيدة التى تؤثر في المسرحية هى عاطفة أنجيلو ، ومع ذلك فإنه يكن

عاطفة للنفاق أشد من عاطفته نحو الهوى . وكذلك فإننا لا نتعاطف مع عفة إيزابيلا الجامدة ولو أنها كانت لا تملك من التصرف غير ما فعلت ، ففيها من التسامى المطلق ما يشعرنا بشيء من التصنع ، أما الدوق وهو شخصية مؤثرة غاية التأثير غامضة كل الغموض في المسرحية ، فإنه قد انشغل بخططه الشخصية أكثر من انشغاله بتحقيق الخير لدولته . وأما كلوديو فإنه الشخصية الوحيدة التي كانت مشاعر طبيعية ، ومع ذلك فإنه وضع في ظروف من المحنة تكاد تنبئ بالرجة في الخلاص . وكانت ماريانا تحب أنجيلو ، وهو شخصية كريمة ممقوتة . ونحن نجد في هذا الصدد أن شيكسبير يرسم العواطف والأهواء وهي تتعاون وتتصارع مما يثير تعاطف القارئ والمشاهد مع هذه الشخصيات . والظاهر أن مبدأ إثارة الكراهية قد بلغ الذروة في رسم شخصية برناردين في هذه المسرحية ، ذلك أن برناردين لا يكتفى بتحدى آراء الآخرين فحسب ، بل لقد بلغ به الأمر حد التخلي عن كل مقتضيات الحشمة واحترام النفس .

وقد كان شكسبير بوجه من الوجوه أقل الكتاب رعاية للأخلاق المتعارف عليها ، فهو قد آمن بأن مبادئ الأخلاق حافلة بالمتناقضات . وكانت موهبته تقتضيه التعاطف مع الطبيعة البشرية على اختلاف ألوانها ومستوياتها ، ونزعاتها ونزغاتها ، ومنحدراتها وتحليقاتها فهو قد كان يعتقد أن الشرور فيها جانب من الخير .

ومن أروع المشاهد المسرحية في الرواية اللقاء بين كلوديو وأخته إيزابيلا حين أقبلت تنبئه بشروط أنجيلو لإطلاق سراحه . وفي الحوار الذي دار بينهما ارتفع شكسبير إلى قمة البلاغة والحكمة ، ويزداد هذا المشهد روعة حين يبدى كلوديو

تمسكه بالحياة ، وحين يلقى الدوق وهو متكرر في شخصية الراهب موعظته في المضي على التذكر لها وعدم الإقبال عليها .

ذلك أن شبابك السعيد كله يصبح وكأنه الشيخوخة يلتبس الصدقة لكهل أعجزه الشلل ، وإن كنت عالية السن غنية فقدت حميتك والتهاب عاطفتك وقوتك وجمالك وأصبحت فلا تستطيعين الاستمتاع بثروتك . فإذا بقي لك من هذه التي يسمونها الحياة ؟ على أن هذه الحياة تخفى في أحشائها ألف ميتة . وبعد ذلك كله تخشى الموت الذي يسوى بين هذه المتناقضات جميعاً .

الدوق : إذن فأنت ترجو العفو من اللورد أنجيلو ؟
كلوديو : ليس للشئ من دواء إلا الأمل ، وإنى لآمل أن أعيش وإن كنت مستعداً للموت .

الدوق : وطن نفسك على الموت ، وسواء كتبت لك الحياة أو الموت فإن ذلك أعذب عندك وأشهى . ولتجادل الحياة بهذا المنطق : إننى إذا فقدتك فقدت شيئاً لا يتشبث به إلا الحمقى ، فما أنت إلا نفس يتردد ، تتحكم فيه كل المؤثرات السماوية ، ولا تنقطعين ساعة عن تعذيب ذلك الجسم ، وإنك لست إلا حمقاء يعذب بك الموت ، تجاهدن في سبيله بمحاولتك الفرار منه ، فتزدادين سعياً إليه على الدوام . ثم إنك لست نبيلة ، لأن كل ما تحملين من بهاء وجلال قد شب وترعرع في أحضان الخسة والدناءة . وليس فيك من الشجاعة شيء لأنك تخافين لسان الدودة الحقيمة

المشعب على نعومته ورقته . إن راحتك الكبرى في النوم ، تستجلبينه كثيراً ، فلم تفرق بين الموت ، وهو لا يزيد على النوم في شيء ، إن مظهرك أيتها الحياة غير مخبرك ، لأن وجودك قائم على ذرات لا تحصى خلقت من تراب . وأنت لا تنعمين بالسعادة ، لأن ما ليس في يدك تجاهدين وتدابئين على الجهاد للحصول عليه ، وما في يدك تنسينه . ثم إنك لا تستقرين على حال ، لأن مزاجك يتقلب تقلبات عجيبة يتغير وجوه القمر . وأنت في غناك فقيرة ، لأنك كمثل الحمار ينوء ظهره بسباتك الذهب تحملين أثقال ثروتك إلى حين ، ثم يأتي الموت فيجردك من حملك . وليس لك من صديق . لأن أمعاءك نفسها التي تعترف بأنك مولاتها وسيدتها ، أمعاءك التي خلقتها من صلبك أنت ، تلعن النقرس والسعقة والزكام لأنها لم تعجل بالقضاء عليك . وليس لك شباب ولا شيخوخة ، وما هما في الحق إلا نوم يدرك المرء بعد العشاء فيحلم بالاثنتين جميعاً . وبعد فجدير بنا أن نذكر ما زعمه بعض النقاد من أن أروع ما قيل في وصف عيون المرأة هو قول شكسبير في هذه المسرحية :

أبعدى بالله عنى هاتين الشفتين ، أبعديهما
فما أعذبهما من ناكرتين للعهود والمواثيق ،
وهاتين العينين تسطعان كفلق الصبح

فتضلا بنورهما ضوء النهار

ولكن ردّی إلى قبلاقی ، ردّی إلى قبلاقی

فقد ضاعت عهود الحب وولت كأنما لم يكن لها وجود

إبراهيم زکی خورشید

مشرح الرواية : فينا

أشخاص الرواية

فنسنشيو	: الدوق
أنجلو	: نائبه
إسكالمس	: لورد مسن
كلوديو	: سيد شاب
لوشيو	: رجل غريب الأطوار
فاريوس	{ سيدان على شاكلته
مخافظ	
توماس	{ راهبان
بيتر	
قاضي	
ألبو	: حارس من سواد الحرس
فروث	: سيد فارغ العقل
بومبي	: مهرج وخادم للسيدة المستهلكة
أهورسن	: جلاد
برثودين	: سجين داعر

إيزابيلا : أُنحت كلوديو

ماريانا : خطيبة أنجلو

جوليت : محبوبة كلوديو

فرنسكا : راهبة

السيدة المستهلكة: قواده

(لوردات وضباط ومواطنون وغلام وحجاب)

الفصل الأول

المشهد الأول

قاعة مجلس الشورى فى قصر الدوق بفينا
(إسكالس وغيره من المستشارين جالسين إلى منضدة ، وقد جلس
الدوق فى كرسي الحكم ووقف حاجبان بالباب بحملان رجبها) .

الدوق : إسكالس

إسكالس : مولاي

الدوق : لو أننى شئت أن أبسط لك أصول الحكم لكنت كمن يتكلف

الحديث ويتصنع المقال ، ذلك أنه لا مناص لى من التسليم
بأن علمك فى هذا الشأن يفوق كل ما فى استطاعتى أن أبذله
لك من رأى ومشورة . ولم يبق إذن إلا أن تضم كفايتك إلى
علوّ قدرك وتطلق لها العنان . فأنت عليم بطبيعة شعبنا ونظم
مدبنتنا ، ونصوص قوانيننا العامة ، علماً بفضل علم كل رجل
نذكره ممن أوتوا الدراية وحنكتهم التجربة . هاك وثيقة
تفويضنا ، وإنا لنود ألا تحيد عنه . يا غلام ، هلم ، أدع أنجلو
للمثول بين يدينا .

(ينحنى الحاجب ويخرج)

على أية طريقة فيما تظن سيمثلنا ؟ فأنت تعلم بلا شك أننا قد
 احترناه من دون الناس ليقوم مقامنا في غيابنا ، وأسبغنا عليه
 هيبتنا ، وجبناه بحبنا وزودناه في وكالته عنا بكل ما في يدنا
 من أسباب السلطان . فما رأيك في ذلك ؟

إسكالس : إن كان في فينا رجل يستحق أن يحظى بمثل هذا الفضل
 الواسع والشرف الكبير فهذا الرجل هو أنجلو .

الدوق : انظر ، ها هوذا مقبل .

(يدخل أنجلو ويحوا أمام الدوق)

أنجلو : إني أنا المطيع دائماً لمشيئة عظمتكم قد أتيت لأستمع إلى
 أوامركم .

الدوق : (يحمل فيه) يا أنجلو إن فيك من الصفات ما يتجلى بأجلى بيان

لمن يرقب سيرتك . وأنت وما تتحلى به من مواهب لست
 ملكاً خالصاً لنفسك حتى تبددها في سبيل فضائلك ،
 أو تقف فضائلك على ذاتك . فإن موقف السماء منا كموقفنا
 من المشاغل ، لا نشعلها لتضيء لنفسها . وما لم تنطلق
 فضائلنا لتخرج عن نطاق نفوسنا ، فيستوى أن تكون هذه
 الفضائل فينا أو لا تكون . والنفوس لا تسمو إلا إذا صبت
 إلى الغايات النبيلة ، وما مثل الطبيعة إلا كمثل الآلهة المدبرة
 المقتصدة . لا تعر أحداً قط مثقال ذرة من نعمها إلا إذا دلت
 عليه بعزتها واقتضته ما يقتضيه الدائن من المدين من شكر على

ما أقرض وفائدة على ما أعطى . ولكنى أوجه خطاى إلى رجل قادر على أن يعلمنى الحكم وقد نيط به . إليك التفويض يا أنجلو (يقدم له التفويض) ولتكن كشخصى تماماً فى غيابى ، فإن القصاص والرحمة سيكونان موكلين بلسانك وقبلك . أما إسكالس الشيخ فسيأتمر بأمرى وإن كان له السبق عليك ، خذ تفويضك .

أجلو : مولاي الكريم ! إني أسألك أن تختبر معدنى أكثر مما اخترت ، قبل أن تكلفنى بهذه المهمة الجليلة ، وتسبغ على مثل هذا الشرف العظيم .

القوق : كفى مراوغة ، لقد اخترناك بعد أن أمعنا النظر وأطلنا التفكير ، هاك إذن أمرنا بتفويضك . إننا نتعجل الرحيل من فينا لحاجة ملحة تتقدم على كل ما عداها من أمور . حتى ليتعذر علينا أن ننظر فيما جل من شئون ، ولسوف نكتب إليك بأخبارنا بقدر ما يتسع لنا الوقت وتسمح الظروف ، وإننا لنترقب ما يقع لكم هنا . نستودعك الله ، ونتركك متمنين أن تقوم على تنفيذ ما وكل إليك .

أجلو : ولكن اسمح لنا يا مولاي أن نصحبك بعض الطريق .
القوق : إن تعجلنا الرحيل قد لا يسمح بذلك ، وإني لأقسم لك بشرفي أن الأمر لا يستدعى أن تكلف نفسك فى ذلك أى عناء . إن سلطانك كسلطانى سواء بسواء فى القيام على

القوانين أو التخفيف من أحكامها كما ترضاه نفسك . هات
يدك فأني راحل بمفردى لأنني مع حيي للناس لا أود أن
أعرض نفسي أمام أعينهم ، وأنا لا أطرب لتلهيلهم المدوي
وهتافاتهم الصاخبة ، وإن كانت تقع من قلبي موقع الرضا
والقبول ، ولا أظن أنها تؤثر في رجل رشيد سليم العقل .
استودعك الله للمرة الثانية .

أنجلو : أسأل الله أن يكتب لك التوفيق في أغراضك !
إسكالي : سر على بركة الله وأرجو لك عوداً حميداً !
اللعوق : شكراً لك ووداعاً .

(يخرج)

إسكالي : (لأنجلو) أرجوك يا سيدي أن تأذن لي بالتحدث معك في حرية
وصراحة وإنه ليعينني أن أمعن النظر في موقعي ، ذلك أنني قد
خولت سلطاناً لم ترشدني بعد إلى طبيعته ومداه .
أنجلو : وأنا في ذلك مثلك ، ألا فلنجتمع في خلوة ونحن حريان بأن
نصل قريباً إلى ما يرضينا في هذا الشأن .

إسكالي : إني في خدمة عظمتكم .

(يخرجان معاً ، يتبعها المستشارون)

المشهد الثاني

شارع في فينا

(لوشيو وسيدان)

لوشيو : إذا لم يصل الدوق وغيره من الأدواق إلى اتفاق مع ملك
هنغاريا ، فلا عجب أن ينقض الأدواق جميعاً على الملك .
السيد الأول : ألا فلتفيء علينا السماوات سلامها ، ولا نريد سلاماً يأتينا من
ملك هنغاريا !

السيد الثاني : آمين .

لوشيو : إنك تبت في الأمر كالقرصان المتافق الذي خرج إلى البحر
مزوداً بالوصايا العشر ، ولكن محا من السجل إحداها .

السيد الثاني : محا الوصية القائلة : « لا تسرق » !

لوشيو : أى نعم ، لقد محا هذه الوصية .

السيد الأول : أجل ، فقد كانت وصية تحرم على الربان وسائر رجاله أن
يفعلوا ما هو من صميم عملهم ، فإنهم ما خرجوا
إلا ليسرقوا . وليس منا جميعاً جندي واحد إذا ابتهل شاكرًا
الله على نعمائه قبل تناول الطعام يستسيغ الصلاة من أجل
السلام .

السيد الثاني : لم أسمع قط أن ثمة جندياً واحداً يكره الابتهاال من أجل السلام .

لوشيو : إني لك من المصدقين ، فإنك فيما أعتقد لا تكون حيث يكون الابتهاال !

السيد الثاني : حقاً ؟ بل حضرت ذلك اثنتى عشرة مرة على الأقل .

السيد الأول : أبالوزن الشعرى^(١) تقصد ؟

لوشيو : بأى وزن شئت أو بأى لغة أردت .

السيد الأول : أظنك تعنى : أو بأى دين أردت .

لوشيو : ولم لا ؟ فالابتهاال هو الابتهاال بصرف النظر عن كل خلاف ، وأنت مثلاً وغد خبيث بالرغم من كل ابتهاال .

السيد الأول : فليكن ، فأنا وأنت من طينة واحدة .

لوشيو : صدقت ، فالصلة بيننا كصلة المحمل بهديه ، وأنت الهدب .

السيد الأول : وأنت المحمل ، محمل من نوع جيد ، بل إني لأقول غير

حادث إنك قطعة من المحمل اللين الأجرد^(٢) وخير لى أن

أكون هدباً لنسيج إنجليزى من الصوف الخشن من أن أكون

مخملأ فرنسياً^(٣) نحل وبره كما نحل وبرك . ترى هل أتكلم الآن

(١) اختلف النقاد فى تفسير عبارة in metre فن قائل إن شكيير يقصد بها الترانيم القديمة ذات الأوزان الشعرية التى كان القوم يترنمون بها ، ومن قائل إنه يعنى : « فى الرواية تمثل على المسرح » .

(٢) وفى هذا تلميح إلى مرض الزهرى الذى أصاب لوشيو فتحل شعر رأسه .

(٣) كتابة عن مرض الزهرى الذى كان يسمى بالصلع الفرنسى .

عن شعور ووجدان ؟

لوشيو : أظن ذلك . والحق إن حديثك قد حَزَّ في نفسي كثيراً ،
ولسوف أهدى باعترافك فأشجع في العناية بصحتك وأكف
ما دمت حيًّا عن الشرب من الكأس بعدك .

السيد الأول : أظن أنني قد أسأت إلى نفسي ، أليس كذلك ؟
السيد الثاني : أجل ، لقد فعلت ، سواء كان المرض لوئك أو كنت منه براء
(تشاهد السيدة أوفردن مقبلة)

لوشيو : انظرا انظرا ها هي ذى سيدة «التقرع» مقبلة !
السيد الأول : لقد أصبت في رحاب بيتها عدد من الأمراض يقدر بـ . . .
السيد الثاني : بكم وحياتك ؟
لوشيو : قدر أنت ،
السيد الثاني : ثلاثة آلاف من الأسقام الإنجليزية في العام .
السيد الأول : بل أكثر .
لوشيو : وفوقها صلح .
السيد الأول : إنك ترميني دائماً بالأمراض ، ولكنك محطى في ذلك غاية
الخطأ فأنا سليم .

لوشيو : أجل إنك لست كما يقول الناس صحيحاً معاف ، ولكنك
سليم سلامة الأشياء الجوفاء ، ذلك أن عظامك خاوية نخر فيها
الضلال وترعرع .

(تدخل السيدة أوفردن)

السيد الأول : (مخاطباً إياها) هيا خبريني ! أى ردفيك قد تغلغل فيه عرق النساء .

السيدة أوفردن : مرحى ، مرحى ، لقد قبضوا هنالك على شخص وحملوه إلى السجن وهو يعدل خمسة آلاف رجل منكم جميعاً .

السيد الثاني : أرجوك أن تخبريني من يكون ذلك الرجل ؟

السيدة أوفردن : سيدى ، إنه وايم الله كلوديو ، السيد كلوديو .

السيد الأول : كلوديو يُلقب به فى السجن ! تالله هذا لا يكون .

السيدة أوفردن : أجل ، إني لأعلم أن هذا قد حصل ، فقد رأيتهم يقبضون عليه ويحملونه إلى السجن .

بل إن الأمر أسوأ من هذا ، فإن رأسه سيطاح به فى خلال ثلاثة أيام .

لوشيو : ولكننى لا أستطيع أن أصدق أن هذا يحدث بعد كل ما دار بيننا من عبث ومجون ، هل أنت واثقة مما تقولين ؟

السيدة أوفردن : واثقة كل الوثوق ، وسبب ذلك أنه قد علقت منه السيدة جوليت .

لوشيو : تالله إن هذا خليق بأن يحدث ، فقد وعد أن يلقانى لساعتين خلثا وقد عهدته أميناً على مواعيده لا يخلفها قط .

السيد الثاني : وأنت تعلم فوق ذلك ، أن هذا قريب مما كان حديثنا يدور حوله فى هذا الشأن .

السيد الأول : إنه يتفق على الأخص والبلاغ الذى أذيع على الناس .

لوشيو : هيا بنا نستجلى حقيقة الأمر .

(يخرج لوشيو والسيدان مسرعين)

السيدة أوفردن : لقد تحالفت علىّ إذن الحرب والطاعون والمشنقة والفقراء ، فكسدت بضاعتى .

(يومي يقترب)

إيه يا يومي ! ما وراءك ؟

يومي : لقد حُمل ذلكم الرجل إلى السجن .

السيدة أوفردن : عجباً وأى جرم ارتكب ؟

يومي : امرأة

السيدة أوفردن : ولكن ما جريزته ؟

يومي : الجنس صيد « اللوث » فى غير ما يملك .

السيدة أوفردن : ماذا تقول ، أئمة عذراء حملت منه بطفل ؟

يومي : لا بل امرأة حملت منه بفتاة ، لعلك لم تسمعى بأمر البلاغ ؟

السيدة أوفردن : أى بلاغ يا رجل ؟

يومي : بلاغ بهدم كل البيوت التى فى ضواحي^(١) قينا .

السيدة أوفردن : وما مصير البيوت التى فى المدينة ؟

يومي : ستبقى لتكون نواة لغيرها ، ولولا شفاعة كبير عاقل من أهل المدينة لهدمت أيضاً .

(١) كان معظم البيوت المشبوهة يقوم فى الضواحي .

السيدة أوفردن : ولكن ، هل سنهدم جميع بيوتنا التي أقمناها للمتعة في الضواحي ؟

بومبي : حتى تسوى بالأرض يا سيدتي .

السيدة أوفردن : عجباً ! هناك تغيير ألم حقاً بحكومتنا ! ترى ماذا يكون مصري ؟

بومبي : هلمى ولا تخشى شيئاً ، فإن المحامين البارعين لا تعوزهم الزبائن وما تغيير مكانك بمستيع أن تُغيرى حرفتك . أما أنا فساظل ساقبك تشجعى . فإنهم سيرثون لخالك ، ويشملونك بالرعاية يا من كدت أن تفقدى بصرك في مزاوله مهنتك . إنك ستكونين موضع التقدير .

السيدة أوفردن : فيم بقاؤنا هنا أيها الساقى^(٥) ؟ فلننصرف .

بومبي : ها هو ذا السيد كلوديو قد أقبل يسوقه المحافظ إلى السجن . وما هي ذى السيدة جوليت .

(يخرجان)

(يدخل المحافظ والضباط وكلوديو وجوليت في حراسهم ، ويتبع ركبهم لوشيو والسيدان) .

كلوديو : قل لى يا صاح لماذا تشهر لى على هذا النحو أمام الناس ؟ اذهب لى إلى السجن الذى حكم به على .

(٥) سماه شكسبير فى الأصل باسم توماس ، على أن هذا الاسم كان علماً على السقاة .

المحافظ : إني لا أفعل هذا عن نية سيئة ، بل أفعله بناء على أمر خاص من اللورد أنجلو .

كلوديو : وهكذا يستطيع هذا المتأله صاحب السلطان المطلق أن يمحونا على التكفير عن ذنوبنا تكفيراً ، وذلك حكم السماء بعضهم يجد فيه خلاصة وبعضهم يجد فيه هلاكه ، ومع ذلك فهو حكم عادل .
(ضابط يسير مع جوليت) .

لوشيو : (يتقدم) عجباً ، كلوديو ! ما سبب الحجر على حريتك ؟
كلوديو : السبب هو الإسراف في الحرية يالوشيو ، الحرية وكما أن البطنة هي الأصل في الصيام الطويل فكذلك ينقلب الإفراط في أى مباح إلى الحجر والتضييق . إن غرائنا تنهالك على إثم لا يرتوى ولا تنقع له غلة . فإذا نهلنا منه أدركتنا المنية كأننا الجرذان تلتهم ما يرصد لها من سم زعاف .

لوشيو : لو أننى أستطيع أن أنطق بكل هذه الحكمة وأنا مقبوض على لبعثت في طلب بعض دائنى ، ولكننى وأيم الحق أفضل حماقات الحر الطليق على عظمات المقيد السجين . خبرنى يا كلوديو ما جريرتك ؟

كلوديو : إن مجرد النطق بها يوقعنى في جريمة أخرى .

لوشيو : أفصح ، أهى القتل ؟

كلوديو : كلا

- لوشير : أهي الفسق ؟
كلوديو : فلتسمها بهذا الاسم .
الحافظ : هلم ياسيدى ؟ فإن الواجب يقتضينا أن ننصرف .
كلوديو : كلمة واحدة يا صديقى العزيز - لوشير ، لى معك كلمة واحدة .
لوشير : مائة كلمة ، إذا كان فيها أى نفع بصييك .

(بتحيان ناحية ويتحدثان)

أو يهتمون بالفسق كل هذا الاهتمام ؟

- كلوديو : هذه هى الحال معى : لقد شاركت جوليت فراشها بصحيح العقد ، وأنت تعرفها ، فهى زوجتى بموجب الخطبة ، إلا أننا لم نعلن الزواج على رموس الأشهاد . . . وكنمنا الأمر لاشئء إلا لأن أصدقاءها أمسكوا عن دفع بانيتها واحتفظوا بها فى خزانتهم ، فأينا أن من الصواب أن نخفى حبنا والزمن كفيل بأن يستميل قلوبهم إلينا ، ونعمنا خلصة بأعظم متعة لنا ، ولكن المقادير شاعت أن تظهر آثارها على جوليت واضحة جليلة .

- لوشير : لعلها حملت ؟
كلوديو : نعم للأسف ، وإنى لنى حيرة من أمرى ، ترى أياكون النائب الجديد الذى حل الآن محل الدوق قد غره بريق المنصب الجديد ، أوبدا له أن الجمهور جواد يمتطيه الحاكم ، فما إن

يركبه ، وهو الحديث العهد بامتطاء صهوته ، حتى يبادر إلى نخسه بالمهماز ليشعره بأنه قادر على قيادته ، أو أن الطغيان متأصل في المنصب ، أو هو صفة من صفات صاحب السلطان الذى يشغله . على أن الحاكم الجديد يبعث في حالتي جميع العقوبات القانونية التى ظلت كالدرع العتيقة الصدئة معلقة على الحائط مدة طويلة حتى مر بها تسعة عشر حولاً لا يلبس أحد منها شيئاً ، وهو الآن ينفض الغبار عن هذا القانون الخامل المهمل سعيًا وراء الشهرة ، ويطبّقه على ،
تالله إنه يفعل ذلك في سبيل الشهرة .

لوشيو : إني لأومن بأن القول ما قلت ، وأن رأسك الآن ليتأرجح بين كفيفك ، ولو أن قروية ممن يحلبن اللبن تنهدت من قلب غزاه الحب لأطاحت به . أدرك الدوق ، وارفَع أمرَك إليه .

كلوديو : لقد فعلت ولكنى لم أعثر له على أثر . وإني لأتوسل إليك بالوشيو أن تؤدى لى هذه المكرمة ، فاليوم هو الموعد المحدد لدخول أختى فى الدير لتتذر نفسها للرهبنة . أكشف لها عن الخطر المحيط لى . وتضرّع إليها بلسانى ، أن تسعى إلى صداقة ذلكم النائب الصارم ، وإنى لأعلق أملاً عظيماً على فعلها هذا ، فإن شبابها ساحر يؤثر فى الرجال من غير كلام ولا مقال ، ثم إن لها باعاً طويلاً فى الإقناع عندما تعتمد إلى التلاعب بالحجج والألفاظ .

لوشيو : أرجو أن تنجح في إقناعه ، أرجو ذلك رحمة بأمثالك أن يحل بهم ظلم جائر ، وأرجوه أيضاً حرصاً على حياتك ، فإنه ليسوءني أن تذهب على هذا النحو هباءً في لعبة تافهة . سأمضى إليها .

كلوديو : شكراً لك يا صديقي العزيز لوشيو .

لوشيو : سأذهب إليها في خلال ساعتين .

كلوديو : هيا بنا أيها الضابط .

(يتصرفون)

المشهد الثالث

صومعة راهب

(الدوق والراهب توماس)

الدوق : كلا ، أيها الأب الطاهر ، اترع هذه الفكرة من مخيلتك ولا تظن أن سهام الحب الواهنة بقادرة على أن تنفذ إلى قلب مصون ، وإني إذا كنت قد لجأت إليك أتمس الرأي بعيداً عن أعين الناس ، فإنما فعلت ذلك لأمر أخطر وأعقد مما يسعى إليه الشباب الملتهب .

الراهب توماس : هل لك أن تفصح يا صاحب العظمة ؟
الدوق : يا سيدي الأب الطاهر ، إنك لأعلم الناس بمقدار حبي لحياة الاعتزال وعزوفى عن غشيان المحافل يؤمها الشباب ويتجلى فيها البذخ والتظاهر الأجوف . وقد أنبت عنى اللورد أنجلو وهو رجل صارم شديد الزهد وسلمته مقاليد سلطاني المطلق وأقته هنا في مكاني بغيثنا ، وإنه ليحسب أنني رحلت إلى بولنדה ! فقد أشعت هذا الخبر بين الناس فصدهوه . أما وقد فعلت هذا فستسألني أيها الأب الصالح عما حملني على ذلك .

الراهب توماس : يسرنى هذا يا مولاي
الدوق : ألا فلتعلم أن لدينا شرائع صارمة وقوانين غاية في الشدة ،

وتلك ردائع وشكائم لا غنى عنها لكبح جماح السادرين في غيهم إلا أننا طويلاً صفحتها هذه السنوات الأربع عشرة فكانت كالأسد أعجزته الشيخوخة فقبح في عرينه لا يخرج طلباً للفرسة ، أو كالآباء الحمقى يجمعون عساليج المقرعة الخيفة بعضها إلى بعض ويلوحون بها أمام أعين أطفالهم ليرهبوهم بها فحسب ولكنهم لا يستخدمونها ، فغدت المقرعة على مر الأيام مثاراً للسخرية أكثر منها أداة للإرهاب . وهكذا أصبح شأن قوانيننا ، فقد ذهبت شوكتها وأصبحت في ذاتها ميتة لا حياة فيها . وتهجمت الحرية على العدالة ، وراح الطفل يضرب مربيته وأمعن الناس في الخروج على مقتضيات الحشمة والوقار جميعاً .

الراهب : لقد كان في طوقكم يا صاحب العظمة أن تطلقوا العدالة من عقالها متى تشامون ولئن فعلتم لبدت شوكتها في يدكم أكثر إرهاباً للنفوس منها في يد اللورد أنجلو .

الدوق : إني لأخشى أن يتجاوز الخوف من بطشها الحد ، ذلك أننى أخطأت إذ أطلقت الحرية للناس ، ولو أننى آذيتهم وعاقبتهم على ما أمرتهم أن يفعلوه لكان ذلك طغياناً منى . نعم إني أمرتهم أن يفعلوه حين تركت باباً للشروع ولم أوصده بالعقوبة ، وهذا حقاً هو الذى حملنى يا أبتاه على أن أنيب عنى أنجلو لعله يأخذ الناس بالشدة محتثاً باسمى ، ولا أظهر أنا

في الميدان بما يخاف طبعي ، فأتلقى ملامة الناس . ولقد عولت على أن أنفقد شثونه وشثون الرعية جميعاً ، متكرراً في مسوح راهب من طائفتك لألمس طريقته في الحكم ، فأزور الأمير وابن الشعب ، ولهذا أرجوك أن تزودني بهذه المسوح وأن تعلمني كيف أبدو أمام الناس بشخصي في هيئة الراهب الحق . وسأكشف لك عندما يتسع لنا الوقت أسباباً أخرى دفعتني إلى فعل ما فعلت ، وحسبي أن أذكر لك هذا السبب دون سواه ، وهو أن اللورد أنجلو رجل صارم يغار على سمعته أشد الغيرة ، ولا يكاد يعترف بأنه إنسان يجرى دمه في عروقه ، أو أن شهوته إلى الطعام تؤثر الخبز على الحجر . وسوف نرى إذن هل غير السلطان من طبيعته التي يظهر بها أمام الناس ؟ .

المشهد الرابع

الفناء الخارجى فى دير الراهبات

(إيزابلا والراهبة فرانيسكا)

إيزابلا : هل لَكُنْ أيتها الراهبات امتيازات أخرى ؟

أوليس فى هذه الكفاية ؟

إيزابلا : أجل فيها الكفاية حقاً ، ولم أقصد بقولى إننى أرغب فى المزيد

وإنما وددت أن تفرض على راهبات طائفتكن من مريدات
القديس كلير قيود أشد صرامة .

(قرع على الباب)

لوشيو : (ينادى من الخارج) يا أهل الدير ! ألا فليحل السلام فى هذا

المكان !

إيزابلا : من ذا الذى ينادى ؟

الراهبة : إنه صوت رجل ، افتحى الباب أيتها الأخت الكريمة إيزابلا

واعرفى منه ما شأنه فإن هذا مباح لك ، وليس مباحاً لى ،

لأنك لم تنذرى نفسك للرهينة بعد ، فإذا ما فعلت حرم

عليك مخاطبة الرجال إلا بحضور رئيسة الدير ، ثم إنك إذا

خاطبتهم فلا يباح لك أن تكشفى لهم عن وجهك ، وإذا

كشفت عن وجهك وجب أن تمسكى عن الكلام . لقد عاود

النداء ، فأرجوك أن نجيبه .

(تخرج)

: (تفتح الباب الخلفي) سلاماً وخيراً ! من المتأدي ؟

إيزابلا

(يدخل لوشيو)

: السلام عليك أيتها العذراء إن كنت . وما أخال هذا الورد

لوشيو

الذي يعلو خديك إلا شهيداً على ما أقول ! هل لك أن

تعينني على أن أذهب إلى حيث أرى إيزابلا ، تلك الراهبة

المتدثة في هذا الدير والأخت المليحة لأخيها التعس كلوديو .

: لماذا تقول «أخيها التعس» ؟ اسمع لي أن أسألك ؟ ذلك أنني

إيزابلا

لا أجد الآن سناً من الاعتراف لك بأنني إيزابلا التي تعني

وأخت كلوديو

: أيتها الأنسة الكريمة الجميلة (ينحنى) إن أخاك ليعث إليك

لوشيو

بأطيب تحياته ، وإني لأخشى أن أطيل عليك ، وحسبي أن

أقول إنه قد زج به في السجن .

: ويلاه ! وما ذنبه ؟

إيزابلا

: ذنب من لو كنت قاضيه لجازيته عليه بالشكران والحمد ،

لوشيو

فقد حملت صديقه منه .

: سيدى . . . لا تجعلني موضوعاً لمزاحك ودعابتك .

إيزابلا

: إن ما أقول هو الحق . وإني ، وإن كان الذنب الذي عرف

لوشيو

عني مع العذارى هو أنني أخادعهن ، كما يفعل الطير

الصخب وأما زهن بأقوال بعيدة عما يكنه قلبى ، لا أفعل ذلك مع العذارى جميعاً ، لأننى أنظر إليك نظرقى إلى كائن سماوى مقدس استحال بإنكاره الدنيا روحاً خالدة ، ينبغي أن أتحدث إليها بإخلاص وصدق كأننى أحدث قديساً .

إيزابلا : إنك فى سخريتك بى لتجذف فى حق الأبرار الصالحين .

لوشيو : لا تصدق ذلك ، وإليك القصة باختصار وأمانة : لقد تعاق

أخوك وحبيبته ، وكما أن الذين يأكلون تمتلئ بطونهم شأنهم شأن الأرض البور المراحة يلقى فيها بالبذور حتى إذا حل موسم الإزهار جادت بالثمر ، فكذلك رحمها الخصيب قد أفصح عن طيب حرثه وجودة فلاحته .

إيزابلا : أوقد حملت إحداهن منه ؟ وهل هى ابنة عمى جوليت ؟

لوشيو : أهى ابنة عمى ؟

إيزابلا : بالتبئى ! فإن الرفيقات فى المدرسة يتسمين بأسماء صوحيباتهن

اختيلاً منهن بالمحبة وإن كن صادقات فى محبتهن

لوشيو : إنها هى .

إيزابلا : فليتزوجها إذن !

لوشيو : هذه هى المشكلة ، فإن الدوق قد غادر المدينة فى ظروف

غريبة جداً ، وجعل سادة كثيرين ، وأنا منهم ، يتعلقون بالآمال الكذاب ويتربقون وقوع الواقعة ، ولكننا علمنا من أولئك المطلعين على بواطن الأمور فى الدولة ، أن ما أظهره

لأبعد ما يكون عن حقيقة ما أضمر ودبر ، وقد تولى الحكم
 بالنيابة عنه اللورد أنجلو ، متخذاً جميع سلطاته ، وهو رجل
 يجرى في عروقه الدم بارداً كالثلج ، ولا يشعر قط بسلطان
 الشهوة أو بمطالب الغريزة ! بل يطفى سورة طبيعته ويقل من
 حدتها بثمار العقل والركون إلى الدرس والصوم . وقد شاء أن
 يخيف أولئك الذين جروا على سنة التحرر والانطلاق . ومضوا
 فيها زمناً طويلاً متغاضين عن القانون الرهيب تغاضى الفيران
 عن الأسود . فبعث شريعة عرضت حياة أخيك للموت تحت
 وطأة أحكامها الصارمة ، وقبض عليه تنفيذاً لذلك ، وهو
 يطبق نصوصها تطبيقاً دقيقاً ليجعل منه عبرة لمن يعتبر .
 وليس ثمة أمل يرجى إلا إذا تفضلت بحسن شفاعتك فرفقت
 قلب أنجلو عليه ، وهذا هو سر وساطتي بينك وبين أخيك
 المسكين .

- إيزابلا : أوبلغت رغبته في القضاء على أخى هذا الحد ؟
 لوشيو : لقد قضى فيه قضاءه فعلاً ، بل إن المحافظ تلقى ، كما سمعت ،
 الأمر بإعدامه .
 إيزابلا : ويلاه ! وما حيلتى أنا الضعيفة في إصلاح حاله ؟
 لوشيو : جربى ما لديك من سلطان .
 إيزابلا : ما لدى من سلطان ! وا أسفاه ! إني لأشك . .
 لوشيو : إن شكوكنا عدو لنا غادر يضيع علينا الخير وما أكثر ما يتاح لنا

أن نثاله لولا أننا نجبن عن السعى في سبيله . فلتذهبي إلى
اللورد أنجلو ، وعلميه أن العذارى إذا سألن شيئاً أعطاهن
الرجال بسخاء كسخاء الآلهة ، ولكنهن إذا بكين وركعن
أصبح كل ما يلتمسن رهن بمشيتن ، كأنما هو ملك خالص
لهن .

: سأتدبر ما في وسعي أن أفعله .

إيزابلا

: ولكن عجلي

لوشيو

: سأمضى من فورى ولن أبقي إلا ريثما أخطر الرئيسة بمهمتى
وإني لأشكرك شكر العاجز عن أداء حقك . بلغ سلامى إلى
أخى ، وسأبادر فى هذه الليلة فأبعث إليه كلمة عما صادفنى
من توفيق .

إيزابلا

: إني أستاذنك فى الانصراف

لوشيو

(ينحنى)

: (وهى تفتح له الباب) أستودعك الله أيها السيد الكريم

إيزابلا

(يخرج ، وتغلق هى الباب وتعود أراجها إلى الدبر)

الفصل الثمانى

المشهد الأول

محكمة

(أنجلو وإسكالمس وقاضى جالسين ، المحافظ وضباط وغيرهم من الحجاب والقنين)

أنجلو : يجب ألا نتخذ من القانون زوالاً نقيمه لتخويف جوارح الطير
فنبقى على صورته بلا تغيير ولا تبديل حتى يستحيل بحكم
العادة مجسماً لها لا أداة لتخويفها .

إسكالمس : أى نعم ، ولكن يجب علينا أن نلزم جانب الحرص فإذا طعنا
طعناً برفق . فلا نوغل حتى نصيب مقتلاً . وا حسرتاه ! إن
هذا الشاب الذى تهفو نفسى إلى إنقاذ حياته كان له أب من
أنبل الآباء ! وإنى لأرجو أن تدبروا يا صاحب الفخامة وأنتم
كما اعتقد من أشد الناس استمسكاً بالفضيلة ، إنكم ، فى
سبيل تنفيذ أغراضكم كنتم توفقون بين الزمان والمكان ،
أوبين المكان والرغبة ، أو أن سورة شبابكم فى مضائها كانت
تبلغكم مأربكم ، فهلا تكونون قد ارتكبتم فيما مر بكم من
حياتكم ذلك الإثم الذى تأخذونه به اليوم ، فاستعديتم
القانون عليكم ؟

أنجلو

: يا إسكالس ، التعرض للإغراء شيء والسقوط فيه شيء آخر . إني لا أنكر أنه قد يكون بين المحلفين الاثنى عشر الذين أدوا اليمين وأصدروا حكمهم على السجين بالموت ، لص أولسان أشد إثماً من ذلك الذى حاكموه . إن الذى يقع فى يد العدالة هو الذى تقتص منه العدالة ، ومن يدري لعل الذين ينفذون القانون إنما هم لصوص يحكمون على لصوص وغير خاف أن الجوهره التى نصادفها تتجلى أمام أعيننا وتتألق فنحنى لتلتقطها لأننا نراها ، أما ما لا نراه فنتوّه بأقدامنا ولا نفكر فيه قط فلا تهون من ذنبه لأننى ارتكبت مثلاً ارتكبت ، وإنما يحمل بك أن تقول لى أنا الذى أحاكمه بأننى لو اقترفت إثماً كالذى اقترفه لحقّ على أن أحكم على نفسى بالموت فى غير ما تحيز أو محاباة . . يجب أن يموت يا سيدى .

: فليكن ما تقضى فيه بحكمتك

إسكالس

: أين المحافظ ؟

أنجلو

: عفوك يا صاحب الفخامة ، ها أنذا .

المحافظ

: ألا فلينفذ حكم الإعدام فى كلوديو قبل أن تحل الساعة

أنجلو

التاسعة من صباح الغد ، ولتأت له بقس يعترف له ، ودعه يستعد فقد بلغ خاتمة المطاف .

(يخرج المحافظ)

: حكمتك يا رب ! اللهم أغفر له وأغفر لنا أجمعين ، فمن

إسكالس

الناس من ترفعه الخطيئة ومنهم من تهوى به الفضيلة ، ومنهم من يفلت من غوائل الآثام ولا يحاسب عليها ، ومنهم من يؤخذ بصغيرة واحدة .

(يدخل إلبو هو وضباط ومعهم فروث ويومئ مقبوضاً عليهما)

إلبو : هيا اثتوا بهما ، فوالله إني لأكونن جاهلاً بالقانون إذا كان هذان الرجلان من خيار الناس في أمة من الأمم وهما لا يفعالن شيئاً إلا ارتياد المواخير . اثتوا بهما .

أنجلو : ما شأنك أيها السيد ؟ وما اسمك ؟ وما خطبك ؟

إلبو : عفوك يا صاحب الفخامة فإني الحارس المسكين للدوق واسمي إلبو ، وسندي هو القانون يا سيدي ، وقد أتيت إلى ساحة فخامتكم بجوادين ذاتي الصيت .

أنجلو : جوادين ؟ جميل ، وأى جوادين هما ؟ ألا يكونان شريرين ؟

إلبو : عفوك يا صاحب الفخامة فإني لا أعلم علم اليقين حقيقة أمرهما ، ولكنني واثق أنها وغدان أصيلان ، وأنها آبقان من كل صنعة^(١) ينبغي أن يمارسها أى مسيحي صالح .

إسكالس : أحسنت القول ! هاكم ضابطاً حكيماً .

أنجلو : استمر : ما صنعتها ؟ أو اسمك إلبو ؟ لم لا تتكلم يا إلبو ؟

يومئ : إنه لا يستطيع يا مولاي ، لقد تقطعت به الأسباب

(١) الذي ورد في الأصل هو profanation ويذهب كثير من النقاد إلى أن شكبير قد زل قلمه

في هذا الموضوع واستعمل هذه الكلمة بدلاً من profession .

أنجلو

: ما هي صناعتك أيها السيد ؟

إلبو

: هو يا مولاي ! إنه ساق يا مولاي - ويعضه قواد ، رجل

يخدم امرأة ساقطة يقال إن منزلها في الضواحي قد هدم ،
وهي تملك الآن حماماً أظن أنه هو أيضاً محل قبيح السمعة
جداً .

إسكالس

: وكيف عرفت ذلك ؟

إلبو

: إن زوجتي ياسيدي التي أقر بمقتي إياها أمام الله وأمام
فخامتكم

إسكالس

: عجباً ، زوجتك ؟

إلبو

: أجل ياسيدي ، وإني لأشكر الله على أنها امرأة شريفة . .

إسكالس

: أو تمقتها من أجل ذلك ؟

إلبو

: أقول ياسيدي إنني بلا شك سأمقت نفسي وأمقتها إذا لم يكن
هذا المنزل يدار للقوادة ، فإن لم يكن هذا هو شأنه فإن في
ذلك رحمة بها ، ولكنه منزل آثم .

إسكالس

: كيف عرفت ذلك أيها الحارس ؟

إلبو

: نالته ياسيدي لقد عرفت من زوجتي ، ولو كانت امرأة باعت
نفسها للشهوات لاتهمت بالفجور والزنى وجميع الخبائث .

إسكالس

: بسبب تلك المرأة ؟

إلبو

: أجل ياسيدي بسبب السيدة أوفردن ، ولكنها بصقت على
وجهه فتحدثته بذلك .

- يومى : عفوك ياسيدى ، فإن الأمر ليس كما يزعم .
- إلبو : أثبت ذلك أمام هذين الأفاقين أيها الرجل الشريف ، أثبتته .
- إسكالس : (عاطباً أبحلو) أسمعنت كيف يخلط فى القول ؟
- يومى : مولاي لقد جاءت وهى حبلى ، وكانت شرف الله قدرك ، تهفو نفسها إلى القراصية المطبوخة ، ولم يكن لدينا فى المنزل إلا اثنان منها ، كانتا فى ذلك الزمن البعيد تستقران فى طبق للفاكهة ، طبق يساوى ثلاثة بنسات أو نحوها . وقد رأيت يا صاحى الفخامة أطباقاً من هذا القبيل ، فهى لم تكن أطباقاً من الصينى ، ولكنها كانت أطباقاً من نوع جيد جداً .
- إسكالس : استمر ، استمر ، ودعك من الطبق أيها السيد .
- يومى : أجل ياسيدى ، فإن هذا الطبق لم يكن وأيم الحق يساوى شيئاً ، لقد أصبت فى هذا ، ولكن لتكلم فى الموضوع . قلت إن السيدة إلبو كانت حبلى وكانت ، كما قلت ، منتفخة البطن ، كما كانت ، كما قلت ، تهفو نفسها إلى القراصية ، ولم يكن عندى فى الطبق إلا اثنان منها . ذلك أن السيد فروث المائل أمامكم ، وهو ذا الرجل بعينه ، كان ، كما قلت ، قد أتى على بقيتها وأدى ، كما قلت وكما سأقول ، ثمن ما أكل بكل أمانة ، وإنك لتعلم ياسيد فروث أننى لم أكن أستطيع أن اردّ لك الثلاثة البنسات .
- فروث : كلا طبعاً .

يومي : جميل جداً ، وإنك كنت إذا أسعفتك ذاكرتك ، تكسر
نوى تلك القراصية

فروث : أجل ، هذا ما كنت أفعله حقاً

يومي : جميل جداً ، وكنت أقول لك وقتئذ ، إذا كنت تذكر ، أن
لا شفاء يرجى لهذا أولئك من الشيء الذي تعلم ، ما لم يأخذوا
نفسهيا بالحمية أخذاً كما قلت لك .

فروث : كل هذا صحيح .

يومي : جميل جداً ، وإذن . .

إسكالس : هات ما عندك ، فإنك ثرثار أحمق . تكلم في لب الموضوع .

ما الذي وقع لزوجة إلبو مما أثار شكواه ؟ حدثني بما وقع لها .

يومي : سيدي ، لا أستطيع بعد أن أحدث فخامتكم بما وقع لها .

إسكالس : إنك لا تستطيعه يا سيدي ، ولست أنا أريده .

يومي : ولكني يا سيدي إذا سمحتم سأصل بكم إلى ما تريدون ، وإني

لأنفس منكم أن تفرسوا في السيد فروث المائل أمامكم . إنه

يا سيدي رجل يبلغ دخله ثمانين جنيهاً سنوياً ، وقد مات أبوه

في عيد جميع القديسين . أو لم يمت في عيد جميع القديسين

يا سيد فروث ؟

فروث : في ليلة عيد جميع القديسين !

يومي : هذا جميل ، جميل جداً . وإني لأرجو أن تكون هذه

حقائق ، لقد كان يا سيدي يجلس ، كما أقول ، على كرسي

مريح ، وكان ذلك يا سيدى فى حانة عنقود العنب ، حيث كانت تطيب لك الجلسة حقاً . أليس كذلك ؟

فروث : لقد كان هذا شأنى ، فإن الغرفة مفتوحة ويطيب الجلوس فيها شتاءً .

يومى : جميل جداً إذن ، وإنى لأرجو أن تكون هذه حقائق .
أنجلو : إن هذه الدعوى لتستغرق ليلة من ليلى روسيا ، والليالى هناك

هى أطول الليالى ، وإنى لأستأذنكم فى الانصراف وأترككم لسماع هذه الدعوى . راجياً أن تجدوا سيباً وجيهاً لجلدهم جميعاً .

إسكالس : أظن أنهم لا يستحقون أقل من ذلك . أسعد الله صباحك يا صاحب الفخامة .

(يخرج أنجلو)

هلم يا سيدى استمر . ما الذى أصاب زوجة إلبو مرة أخرى .
يومى : مرة يا سيدى ؟ لم يصبها شئ مرة .

إلبو : أبتهل إليك يا سيدى أسأله ماذا فعل هذا الرجل بزوجتى ؟
يومى : أبتهل إليك يا سيدى أن تسألنى .

إسكالس : فليكن ما تريد يا سيدى . ماذا فعل بها هذا السيد ؟
يومى : أبتهل إليك يا سيدى أن تتأمل فى وجه هذا السيد . . . أيها

السيد الطيب فروث أنظر إلى فخامته ، فإن فى هذا ما يعود عليك بالخير أو تلاحظون فخامتكم وجهه ؟

- إسكالس : نعم يا سيدى ، ألاحظه جيداً جداً .
- يومى : أجل ، أبتهل إليكم أن تلاحظوه جيداً .
- إسكالس : إني أفعل هذا .
- يومى : أو ترون فخامتكم أى أذى فى وجهه .
- إسكالس : عجباً ، كلا .
- يومى : إني لأقسم على الإنجيل بأن أسوأ ما فيه وجهه . . حسن إذن ، وإذا كان أسوأ ما فيه وجهه فكيف يستطيع السيد فروث أن يلحق أى ضرر بزوجة الحارس ؟ إني لأود أن أعرف الجواب من فخامتكم .
- إسكالس : إنه لعللى حق . ما قولك فى هذا أيها الحارس ؟
- إلبو : أقول أولاً ، إذا أذنتم لى ، إن البيت بيت مشته فيه ^(٢) ، وثانياً إن هذا الشخص شخص مشته فيه ، وإن امرأته مشته فيها .
- يومى : أقسم بيدى هذه يا سيدى ، إن زوجته امرأة مشبوهة أكثر منا جميعاً .
- إلبو : أيها الأفاق ، إنك تكذب . إنك تكذب أيها الأفاق الشرير فما حان الوقت بعد لأن يشته فى علاقة زوجتى برجل أو امرأة أو طفل .

(٢) فى الأصل respected أى محترم ولكنه يريد unrespected كما ترجمناها هنا .

- بومي : سيدى ، لقد اشتبه فى علاقتها به قبل أن يتزوجها .
 إسكالس : أيها أكثر حكمة فى هذا المقام ؟ الحارس أم المجنون ؟ أهذا صحيح ؟
- إيو : إيه أيها التعس ! إيه أيها الأفاق ! إيه أيها المتوحش الشرير !
 أقول إني كنت على علاقة مريبة بها قبل أن أتزوجها ؟ لو أننى كنت قط على علاقة مريبة بها .
- إسكالس : ولو أنه صفحك على وجهك لأقت عليه دعوى القذف أيضاً .
- إيو : تالله إني لأشكر فخامتكم على ذلك . بماذا تشيرون على فخامتكم أن أفعل بهذا التعس الشرير
- إسكالس : الحق أيها الحارس أنه مادام متها بتهمة ستكشف أمرها إذا استطعت فدعه يتابع أقواله حتى تتبين أمر هذه التهمة .
- إيو : تالله إني لأشكر فخامتكم على ذلك . ألا فلتنظر أيها الأفاق الشرير ماذا حل بك الآن . إن عليك الآن أن تتابع أقوالك أيها الأفاق ، فلتتابع أقوالك .
- إسكالس : (لفروث) أين كان مولدك يا صاح ؟
- فروث : هنا فى قيتنا يا سيدى
- إسكالس : أدخلك ثمانون جنيهاً فى السنة ؟
- فروث : أجل يا سيدى بعد إذنكم .
- إسكالس : كذا . . (إلى بومي) وما صنعتك يا سيدى ؟

- يومي : نُذُل ، نُذُل أرملة مسكينة .
- إسكالس : وما اسم سيدتك ؟
- يومي : السيدة أوفردن
- إسكالس : أو كان لها أكثر من زوج ؟
- يومي : تسعة يا سيدي ، وقد استهلكها آخرهم .
- إسكالس : تسعة ! ادن مني يا سيد فروث ، يا سيد فروث لا أحب لك أن تصادق النذل . فإنهم سيستدرجونك يا سيد فروث ، وستعمل أنت على شئهم . اذهب ودعني لا أسمع عنك شيئاً بعد .
- فروث : إني لأشكر فخامتكم . . أما عن نفسي فإني لا أذهب قط إلى حمام بمحض رغبتي وإنما أستدرج إليه استدراجاً .
- إسكالس : حسناً ، لا تعد إلى هذا الفعل مرة أخرى يا سيد فروث ، أستودعك الله .
- (يخرج فروث)
- ادن مني أيها السيد النذل . ما اسمك أيها السيد النذل ؟
- يومي : يومي .
- إسكالس : ثم ماذا ؟
- يومي : الأليّ يا سيدي .
- إسكالس : حقاً إن إلتك هي أكبر ما فيك ، حتى يمكن أن نسميك يمي الأكبر مستعملين كلمة الأكبر بأحط معانيها . يا يومي إن

بعضك قواد أيما كانت الصبغة التي تخلعها على صنعة النذل
التي تتخذها ، أليس كذلك ؟ هلم أصدقني فإن هذا خير
لك .

بومبي : الحق يا سيدى أننى رجل مسكين يريد أن يعيش .

إسكالس : وكيف تريد أن تعيش يا بومبي ؟ بأن تكون قواداً ؟ ما رأيك

فى هذه المهنة يا بومبي ؟ أهى مهنة مشروعة ؟

بومبي : إذا أجازها القانون يا سيدى .

إسكالس : ولكن القانون لن يجيزها يا بومبي . ولن تباح فى قينا .

بومبي : هل تتوون فخامتكم أن تجبّوا مذاكير شباب المدينة كلهم

وتقضوا على فحولتهم ؟

إسكالس : كلا يا بومبي .

بومبي : حقاً يا سيدى إنى لأرى بعقلى الضعيف أنهم سيسيروا إذن

على سنتهم الأولى . وإذا كنتم فخامتكم ستخذون إجراء ضد

العاهرات والفساق فليس ثمة ما يدعوكم إلى الخوف من

القوادين .

إسكالس : أؤكد لك أن قوانين صارمة قد بدأت تسن ، وهى لا تقضى

إلا بقطع الرأس والشنق .

بومبي : إنك إذا قطعت رأس كل من يخالف القانون على هذه

الصورة أوشنقته عشر سنوات سويّاً ، فإنه سيطيّب لك

عندئذ أن تصدر أمراً تطالب فيه بربّوس جديدة ، وإذا

استمر هذا القانون نافذاً في قُبينا عشر سنوات فإني قُبِن بتأجير
أجمل بيوت المدينة بثلاثة ينسات في اليوم . وإذا مد الله في
عمرِكَ حتى ترى ذلك يتحقق ، فقل إن يومِي قد تكهن لك
بما تكهن .

إسكالس

: شكراً لك يا بومِي الطيب . وإني لأسألك أن تصفني إلى
جزاء لك على نبوءتك ! إني أنصحك بالألا تحضر مجلسي مرة
أخرى في أية شكوى مهما كان شأنها ، ولو كان سببها أنك
تسكن في المكان الذي فيه تقيم . فإن وجدتكَ يا بومِي
ضربتك حتى أبلغ بك إلى عقر دارك ، وكنت لك كالطاغية
الذي لا يرحم أو قل يا بومِي إن كنت تريدُها كلمة واضحة
صرحة ، إنني سأعمل على جلدك . وحسبي هذه المرة يا بومِي
أن أستودعكَ الله .

بومِي

: أشكر فخامتكم على نصيحتكم الغالية (بينه وبين نفسه) ولكنني
سوف أعمل بها على قدر ما تحكم به شهوة الجسد وشهوة
المال . يجلدني ؟ كلا ، كلا ! فليجلد الخوذي حصانه البليد
أما صاحب الحرفة الجريء القلب فلا يصرفه الجلد عن
حرفته .

(ينخرج)

إسكالس

: ادن مني يا سيد إلبو . اقترب أيها السيد الحارس ، كم قضيت
في وظيفة الحارس هذه ؟

- إبر : سبع سنوات ونصف سنة ياسيدى .
- إسكالم : ظننت مما رأيت من قدرتك على القيام على هذه الوظيفة أنك قضيت فيها بعض الوقت ، تقول سبع سنوات سوياً ؟
- إبر : ونصف سنة ياسيدى .
- إسكالم : واهاً لك ، لا جرّم أنك لقيت فى وظيفتك مشقة عظيمة ، إنهم يسيئونك إذ يقولونك فيها هذه المدّة الطويلة . أوليس فى ناحيتكم رجال أكفأ يمكن أن يُعهد إليهم بهذه المهام ؟
- إبر : الحق ياسيدى أنه ليس منهم من أوفى البصر بهذه الأمور إلا القليل . وما إن يقع عليهم الاختيار حتى يطيب لهم أن يخاروني نيابة عنهم ، فأنهض بمهامهم لقاء بعض المال وأخدم الجميع .
- إسكالم : عليك أن تأتيني بأسماء ستة رجال أوسبعة ، وليكونوا أقدر من فى ناحيتكم .
- إبر : هل آت بهم إلى منزل فخامتكم ياسيدى ؟
- إسكالم : إلى منزلى ، وأستودعك الله
- (يخرج إبر)
- كم الساعة فيما تظن ؟
- القاضى : الساعة الحادية عشرة ياسيدى .
- إسكالم : هلا تناولت العشاء معى ؟
- القاضى : أشكرك بكل تواضع .

إسكالس

: إنه ليحزننى أن يموت كلوديو . ولكن لا حيلة فى ذلك .

القاضى

: إن لورد أنجلو رجل صارم .

إسكالس

: إن هذه الصرامة لا محيص عنها فالرحمة لا تكون رحمة إذا

زادت وشاعت ولا يزال العفو يورث همًّا فوق هم ، ولكن

وا حسرتاه عليك يا كلوديو المسكين ! إلا حيلة لنا فى ذلك

هلم يا سيدى .

(ينصرفان يتبعهما الحجاب وغيرهم)

المشهد الثاني

حجرة أخرى في بيت أنجلو

(يدخل المحافظ يتسلمه خادم)

الخادم : إنه في مجلس القضاء ، وسيخرج حالاً وسأنبئه بقدمك .
الحافظ : افعل ، أرجوك . . فأني أريد أن أعرف رأيه ، ولعله يشئ
عن عزمه . وا حسرتاه ، إن كلوديو لم يخالف القانون إلا كما
لو كان في حلم ! وفي الناس من جميع الطبقات والأعمار شيء
من هذا الإثم ولكنه هو يدفع حياته ثمناً له !
(يدخل أنجلو)

أنجلو : إيه أيها المحافظ ما الخبر ؟
الحافظ : أو اقتضت مشيتك أن يموت كلوديو غداً ؟
أنجلو : أو لم أقل لك هذا ؟ ألم تتلق أوامري ؟ لماذا تعود إلى السؤال ؟
الحافظ : لكلا يؤخذ عليّ أنني مندفع شديد التهور ، فقد رأيت . بفضل
حسن إرشادكم ، أن القاضي يتدم على حكمه بعد انقاده .
أنجلو : امض فيما أنت فيه ، ودع هذا الأمر لي ولتؤد واجبك
أو تعتزل منصبك ولن نتوانى في إعفائك .
الحافظ : إني أطمع في عفوك يا صاحب الفخامة وماذا نفعل يا مولاي
بحولييت وهي تئن أنيناً ؟ لقد أوشكت أن تضع .

- أنجلو : أحملها إلى مكان أنسب لحالها ، وعجل .
- (الخادم يقف بالباب)
- الخادم : إن أخت المحكوم عليه تقف بالباب راغبة في المثل بين يديك .
- أنجلو : أوله أخت ؟
- الحافظ : أجل يا مولاي الكريم ، وهى فتاة فاضلة جداً ستندّر نفسها للرهبة فى القريب ، إن لم تكن قد نذرت نفسها فعلاً .
- أنجلو : حسناً ، أدخلها علينا .
- (يخرج الخادم)
- أعمل على أن تنقل الزانية ، ولتأهلها أسباب المعونة الضرورية فى غير إصراف وسأصدر أمرى بهذا
- (تدخل إيزابلا يصحبها لوشيو)
- الحافظ : حفظكم الله يا صاحب الضخامة !
- أنجلو : انتظر قليلاً (إلى إيزابلا) مرحباً بك ، وماذا تطلبين ؟
- إيزابلا : إن لى عندك ملتصماً والأسى بملأ قلبى ، وكل ما أرجوه من فخامتكم أن تستمعوا إلى .
- أنجلو : حسناً ، وما هو ملتصك ؟
- إيزابلا : إن ثمة رذيلة أمقتها أكثر من كل الرذائل ، ولشد ما أرغب فى أن يناولها سيف العدالة ، ومن أجلها وددتُ ألا أستعطفك ، ولكننى أجد نفسى مرغمة على هذا ، ومن أجلها يجب على

ألا أستعطفك ، ولكن نفسي تنازعني بين الإقدام والإحجام .

أنجلو : حسناً وما خطبك ؟

إيزابلا : لى أخ قُضى عليه بالموت وإني لأبتهل إليك أن تنزل قضاءك بجرمته ولا تأخذ أخى بها .

الحافظ : (بينه وبين نفسه) ألا فلتبك السماء القدرة على ترقيق قلبه .

أنجلو : أنزل قضائى بالجرمة ولا أحاسب من ارتكبها ؟ عجباً ، إن كل جريمة قد رُتب لها عقابها قبل أن تقع ، إن منصبى لا تكون له قيمة بين المناصب إذا ما حل عقابى بالجرائم التى نص على عقوباتها فى شريعتنا وتركتم المجرم يفلت من العقاب .

إيزابلا : يا لها من شريعة عادلة وإن كانت صارمة وإذن فقد كان لى أخ ، حفظكم الله يا صاحب الفخامة !

(نهم بالخروج)

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) لا تيأسى بهذه السرعة ، بل عاودى الكرة وابتلى إليه ، اركبى بين يديه ، وتعلقى بردائه . إنك ممعنة فى الرزاة والتحفظ ، ولو أنك كنت تطلين منه دبوساً لما طلبته بطريقة أكثر من ذلك تحفظاً ورزاة ، فهيا افزعى إليه !

إيزابلا : ألا مفر من موته ؟

أنجلو : لا حيلة فى ذلك أيتها الفتاة .

إيزابلا : بل إني لأعتقد أنك قادر على العفو عنه ، ولن تأس السماء
ولا الناس إذا أدركته رحمتك .
أنجلو : لن أفعل ذلك .

إيزابلا : ولكن أوتستطيع إن شئت ؟
أنجلو : اصغ إلى ، ما لا أريده لا أستطيعه .

إيزابلا : ولكن أمن الممكن أن تناله رحمتك فلا يضار بذلك أحد من
الناس ، ويرق قلبك شفقة عليه كما رق قلبي له ؟
أنجلو : لقد صدر الحكم عليه ، وسبق السيف العذل .

لوشيو : (يسر إلى إيزابلا) لشد ما أنت رزينة متحفظة .
إيزابلا : سبق السيف العذل ؟ كلا ، إني أنا إذا قلت كلمة ففي

مقدورى أن أسحبها ، ألا فلتثق بقولتى هذه كل الثقة : ما
من فضيلة أليق ولا أكرم بالعظماء من الرحمة ، فلا تاج
الملك ، ولا سيف نائبه ولا عصا القائد ، ولا ثوب القاضى
يزينهم بنصف ما تزينهم به هذه الفضيلة . ولو كان أخى فى
مكانك وكنت أنت فى مكانه لارتلقت كما ارتلق ، ولما بلغ
ما بلغت من صرامة .

أنجلو : أرجوك أن تنصرفى .

إيزابلا : يا إله السموات ليت لى سلطانك ، وليتك كنت إيزابيلا !
فهل كانت الأمور إذن تسير على هذا النحو ؟ كلا ، لقد كنت
خليقة حينئذ بأن أريك كيف يكون القاضى وكيف يكون

السجين .

لوشيو : (يسمى إيزابلا) مرحى ، هزى أوتار قلبه فهذا هو سبيلك إليه .
 أنجلو : لقد استباح القانون دم أخيك ، وإنك لتضيعين ألفاظك فيما
 لا طائل تحته .

إيزابلا : واحرّ قلباه ، واحرّ قلباه ! عجباً ، إن جميع البشر الذين
 عاشوا فيما سلف قد ضلوا في الماضى ولكن الرب الذى كان في
 قدرته أن يتزل بهم العقاب وجد لهم سبيل الخلاص ، فكيف
 بك إذا حاسبك على ما أنت فيه وهو الديان الذى ليس بعده
 ديان ؟ ألا فلتفكر في ذلك ، ولا شك عندي في أن الرحمة
 ستشرق من بين شفئك وكأنك إنسان خلقت خلقاً جديداً .
 أنجلو : ألا فليسترح ضميرك أيتها الفتاة الحسنة ، فإن القانون هو
 الذى يدين أخاك ولست أنا . ولو أنه كان من عشيرتي ،
 أو أخي ، أو ابني لكان هذا مصيره . لا مناص من أن يموت
 غداً .

إيزابلا : غداً ! أواه ، إنها لمفاجأة ! اعف عنه ! اعف عنه ! إنه لم
 يتأهب للموت ، بل إننا إذا شئنا أن نهيب موائدنا بالطعام
 لا نذبح الطير إلا في الوقت الذى يطيب فيه أكله فهل تكون
 رعايتنا للسماء أقل من رعايتنا لبطوننا ؟ ألا فلتفكر في الأمر
 يا مولاي الكريم . من ذا الذى قتل من أجل هذه الجريمة ؟
 ألا ما أكثر من ارتكبوها .

لوشير

: (يسر إلى إيزابلا) مرحى ، لقد أحسنت القول .

أنجلو

: إن القانون لم يمت ، وإن كان قد استسلم للنعاس ، ولو أن أول من خرج على القانون قد جوزى على فعلته لما اجتراً هؤلاء الكثيرون على ارتكاب تلك الجريمة . ولكن القانون قد استيقظ الآن من نعاسه وراح يرقب ما يحدث ، كأنه العراف ينظر في كرتة البلورية فتكشف له عما سوف يقع من الآثام ، سواء منها الجديد ، أو القديم يتجدد بالتوائى فينمو ويتزعزع بمضى الزمن ، تلك الآثام التى يجب ألا نتركها تتوالد وتتوالد ، بل نندهما وهى بعد فى المهد .

إيزابلا

: ألا فلتأخذ به شئ من الرحمة .

أنجلو

: إني لأظهر منتهى الرحمة عندما أعدل بين الناس . ذلك أننى عندئذ أشفق على الذين لا أعرفهم ، فن أبرئه من تهمته قضى مضجعه القلق والاضطراب ، أما من آخذه بذنبه فقد أنصفته لأنه لن يعيش حتى يرتكب جريمة أخرى . فليطمئن باللك ، فإن أخاك سيموت غداً ، ولتطب نفسك .

إيزابلا

: وهكذا قدر عليك أن تكون أول من يصدر هذا الحكم ، كما قدر عليه أن يكون أول من يتلى به . ألا ما أجمل أن تكون فى قوة الجبابة ، ولكن التجبر إن تستخدم هذه القوة استخدام الجبارين .

لوشير

: (يسر إلى إيزابلا) ما أحسن قولك .

: لو أرعد عظماء الرجال كما يرعد يوبيتر نفسه لما عرف يوبيتر
طعم الهدوء ، ذلك أن كل رجل تافه أو موظف صغير خليق
بأن يجعل ديدنه الإرعاد والإبراق ، ولا شيء غير الإرعاد
والإبراق ! رحاك أيتها السماء ، فإنك لتؤثرين بصواعقك
النارية العنيفة شجرة البلوط الصلدة ذات العقد فضلقينها ،
وتترققين بشجرة الآس الرقيقة الناعمة . أما الإنسان ذلك
المخلوق المتكبر فإنه ما إن توضع في يده سلطة ضئيلة ، وهو
الجاهل أشد الجاهل بما يوقن أنه يعرفه صحيح المعرفة ألا وهو
طبيعته السريعة العطب والفساد ، حتى ينهج نهج القرد
الغضوب ، فيستعرض أمام السماوات العلا من الألاعيب
والحيل العجيبة ما يبعث الدموع في عيون الملائكة ، ولو قد
أوتيت طبائع البشر لانشقت جنوبها من الضحك فخرجت
عن طبيعتها الخالدة وأضحكت مثلنا معرضة للفناء .

: (يسرإى إيزابلا) إيه ، زيديه ، ثم زيديه أيتها الفتاة ! إنه
بلا شك سيلين ، إني لأشعر أنه في سبيله إلى ذلك .

: (بينه وبين نفسه) اللهم أكب لها الفوز عليه !

: إننا لا يمكن أن نقيس أخانا بالمقياس الذى نقيس به أنفسنا .

فعظماء الرجال قد يمزحون مع القديسين ؟ وهذا منهم يعد
حصافة وفطنة ، ومن دونهم كفر وإلحاد .

: أصبت أيتها الفتاة ، زيديه .

إيزابلا : إن الكلمة ينطق بها القائد في ثورة غضبه لا تعدو أن تكون كلمة أملاها السخط والحق ، فإذا نطق بها الجندي كانت كفراً سافراً وتجديفاً صريحاً .

لوشيو : (يسر إى إيزابلا) أو قد اتصل هذا بعلمك ؟ زيديه !

أنجلو : لماذا تسوقين إلى هذه الأقوال ؟

إيزابلا : لأن صاحب السلطان ، وإن أخطأ كما يخطئ سواه ، فإن عنده الدواء الذى يجرّد الرذيلة من رداثها ، فارجع إلى مكنون نفسك واطرق بابها ، وسل قلبك عما يعرف من ذنب يماثل ما اقترف أخى ، فإن باح بذنب كذنبه مما يتعرض له الناس فلا تدعه يوسوس لك بفكرة يجرى بها لسانك فتقضى على حياة أخى .

أنجلو : (ينه وبين نفسه) إنها لتتحدث حديثاً فيه من البصر وسداد العقل ما يجعل أفكارى تنساق وراءها - أستودعك الله .

إيزابلا : ألا فلتعد يا مولاي الرحيم .

أنجلو : سأفكر فى الأمر ، ولتعودى غداً .

إيزابلا : أعرنى سمعك لتعرف كيف سأرشوك غداً يا مولاي الكريم .

أنجلو : ماذا ! أترشيني ؟

إيزابلا : أجل ، بنعم جزيلة سوف تشاركك فيها السماء .

لوشيو : (يسر إى إيزابلا) لقد أفسدت كل ما قدمت من أقوال .

إيزابلا : لن أرسوك بمثاقيل من الذهب النفيس الحر ، ولا بأحجار

كرمة يتفاوت قدرها باختلاف خيال من يقدرها ، بل
بصلوات صادقة تصعد إلى السماء وتدخل أبوابها قبل شروق
الشمس ، صلوات صادرة من نفوس مصونة ، صلوات
تنطق بها عذارى قانتات صائمات لا تنصرف عقولهن إلى أى
متاع من متاع الحياة الدنيا .

: حسنأ ، عودى إلى غدأ .

أجلو

: (يسر إلى إيزابلا) هلم ، فقد أحسنت ، هيا بنا نرحل !

لوشيو

: - حفظ الله فخامتكم !

إيزابلا

: (بينه وبين نفسه) آمين ، لأنى سادر فى سبيل الغواية حيث تقف
الصلوات حائلاً يعترض هذا السبل .

أجلو

: فى أية ساعة أمثل غدأ بين يدى فخامتكم ؟

إيزابلا

: فى أى وقت شئت قبل الظهيرة .

أجلو

: (تحنى) حفظ الله فخامتكم !

إيزابلا

(تخرج إيزابلا يتبعها لوشيو والمخالف)

: منك ؟ ومن عفتك نفسها ! ما هذا ، ما هذا ؟ أهى خطيئتها

أجلو

أم خطيئتى ؟ أيها أشد معصية : صاحب الغواية أم

صريعها ؟ عجباً ! إنها ليست صاحبة الغواية ولا هى أقدمت

عليها . وإنما الذنب ذنبى ، فقد رقدت فى رحاب البنفسج

تسطع عليه الشمس ، ولم يك شأنى كشأن الزهرة بل شأن

الجيفة تفسد وتتعفن فى نعيم الدفء والأشعة الباهرة .

أو يمكن أن يفضح الخفر والحياء عواطفنا أكثر مما يفضحها
نزق المرأة وخفتها ؟ أفن امتدت رحاب الأرض من حولنا
هفت نفوسنا إلى هدم المعبد وإقامة شرورنا وآثامنا مكانه ؟
ألا تباً لك ثم تباً ثم تباً ؟ ماذا تفعل يا أنجلو ومن تكون ؟
أو تشبهها هذه الشهوة الدنسة من أجل تلك الصفات التي
تجعل منها فتاة طاهرة عفيفة ؟ ألا فلتحفظ على أخيها حياته !
فإن اللصوص يتاح لهم السرقة إذا كان القضاة أنفسهم
يسرقون . ماذا دهاني ! ترى أوقعت في حبها حتى أنني أود أن
أستمع إلى حديثها مرة أخرى وأنعم بالتطلع في عينيها ؟ ترى
إلام تذهب بي أحلامي ؟ إيه أيها العدو الماكر تروم أن توقع
قديساً في شركك فتتخذ من القديسيين حبالاً لصيدك ؟
ألا ما أخطر الغواية تقودنا إلى الإثم افتتاناً بسحر الفضيلة .
وما من عاهر استطاعت بكل ما أوتيت من قدرة مزدوجة
قدرة فنا وقدرة طبيعتها أن تستثير يوماً مشاعري ، أما هذه
الفتاة الطاهرة فقد غلبتني على أمري وملكت قيادي وكنت
قبل أن أراها أبتسم وأعجب إذا رأيته رجلاً يتدله في الحب .

المشهد الثالث

فناء مسور أمام السجن

(يدخل اللوق متخفياً في زى راهب ثم يدخل المحافظ كل منها على انفراد)

الدوق : السلام عليك أيها المحافظ ! وإني لأحسب أن هذا هو شأنك .

المحافظ : أنا المحافظ ، فما حاجتك أيها الراهب الصالح ؟

الدوق : لقد أتيت لزيارة النفوس الشقية التي تحل بهذا السجن مدفوعاً بعاطفة البر ووصايا طائفتي المباركة ، فأذن لي بحق ما جرى عليه العرف أن أرى هؤلاء التعساء ونبتني بحقيقة ذنوبهم حتى أعظهم بما يناسب ما اقترفوا من آثام .

المحافظ : إني لأفعل أكثر مما تريد لو اقتضى الأمر ذلك .

(تدخل جوليت مقبلة من السجن)

انظر هاك نزيلة من نزلاء السجن مقبلة ، إنها سيدة فاضلة في كفالي ، استجابت لسورة شبابها فلوثت صفحتها . إنها حامل ، وقد حكم بالموت على من علقت منه ، وهو رجل في ربيع العمر كان أجدر به أن يرتكب إثماً آخر لا أن يدفع حياته ثمناً لهذا الإثم .

الدوق : ومتى يحل الأجل المضروب لموته ؟

- المخافط : غداً فيما أعتقد (مخاطباً جوليت) لقد دبرت لك أمر المكان الذى ستقيمين فيه ، فانتظرى لحظة ثم تؤخذين إليه .
- الدوق : أأست نادمة أيها الحساء على الخطيئة التى تحملين ثمرتها فى أحشائك ؟
- جوليت : أجل ، وأنى لأتحمل عارى بصبر بالغ .
- الدوق : سأهديك إلى السبيل لمخاسبة ضميرك والتحقق من توبتك !
- جوليت : أهى توبة نصوح أم توبة جوفاء تتظاهرين بها .
- جوليت : إنه لطيب لى أن أهتدى .
- الدوق : أوتجبن الرجل الذى أساء إليك ؟
- جوليت : أجل أحبه حبى للمرأة التى أساءت إليه .
- الدوق : وإذن فعجريتكما الكبرى قد وقعت فيما يدولى برضاء متبادل ؟
- جوليت : أجل برضاء متبادل .
- الدوق : إذن فأتمك أشد من إنعمه .
- جوليت : إنى أعترف بذلك يا أبت ، وأنا نادمة على ما فعلت .
- الدوق : هذا جميل يا ابنتى ، ولكن يجب ألا ينصرف ندمك إلا إلى أن المعصية قد جرّت عليك هذا العار ، ذلك أننا نتحسر دائماً على أنفسنا ولا نتوجه بالحسرة إلى رب السموات ، وهذا يدل على أننا نتجنب إغضاب الله لاحقاً فيه ، بل خشية منه .
- جوليت : إبنى لأندم لأننى ارتكبت شرّاً ، وأتقبل ما لحقنى من عار بنفسى راضية .

الدوق : ألا فلتبقى على هذه الحال . ولقد سمعت أن شريكك قد حق عليه الموت غداً ، وهأنذا ذاهب إليه لأعظه ، ألا فلتحل عليك البركة . بوركك !
(يدخل السجن)

جوليت : حق عليه الموت غداً ! تَبَّ لك من قانون غاشم تمد لي في حياة نعاؤها رعب مميت قاتل !
المحافظ : إن في ذلك رحمة منه .
(يتصرف)

المشهد الرابع

غرفة في بيت اللورد أنجلو

(أنجلو جاثياً)

أنجلو

: (ينهض) إني إذا صليت أو فكرت انصرف تفكيري وصلاتي إلى أمور شتى ، ولم تبلغ السموات من صلواتي إلا كلمات جوفاء . أما خيالي فلا يتعلق بهواتف لسانى ، بل ينصرف إلى إيزابلا ويشدق فى بذكر السماء كأننى بت لا أفعل أكثر من ترديد اسمها ، على حين ينمو فى قلبى ويزدهر الإثم الذى يتعلق به تفكيري . إن موقفى الذى أمعنت فيه النظر لشبيه بكتاب جيد أكثر الناس من قراءته حتى فقد أثره ومل على الأسماع ، بل إنه لخير لى أن أقايض على هيبتي التى أعتز بها - وإني لأرجو ألا يسمع كلامى هذا أحد - بريشة مهملة تعبت بها الرياح وأكون فى هذا من الراجحين . إيه أيها المنصب ، وإيه أيها الجاه ، ما أكثر ما ألقينما الفرع فى قلوب الحمقى بأبهيكما وجلالكما وأذلتما أهل الحجى بمظهركما الخداع ! أيتها الشهوة ما أنت إلا شهوة ، ولن يغير من قرن الشيطان أن نكتب عليه اسم الملاك الطاهر .

(يقرع خادم الباب ويدخل)

ماذا هناك ! ومن الطارق ؟

: فتاة راهبة تدعى إيزابلا تطلب الثول بين يديك .

الخدام

: أرها الطريق

أنجلو

(يخرج الخادم)

يا للسموات ! ما بال الدم يتدفق إلى قلبي ويحتشد فيه فيصيه بالعجز ويسلب أعضائي الأخرى جميعاً ما لها من قدرة ؟ وهكذا شأن الجواهر الحمقاء مع من تتابه غشية يتكأكون عليه بقضهم وقضيضهم فيسدون عليه منافذ الهواء الذي ينعشه . وكذلك يفعل الشعب من رعايا ملك مرجى ، ويتركون عملهم وترع جموعهم إلى حضرته حباً فيه وشغفاً به ، فيتخذ حبهم الفطرى مظهر الوقاحة والخروج على مقتضيات الأدب والاحترام .

(تدخل إيزابلا)

ما شأنك أيتها الفتاة الحسنة ؟

: جئت لأعلم ما استقرت عليه مشيتكم .

إيزابلا

: إنه ليسرني أن تعلمي بمشيتي أكثر من سروري بأن تسأليني

أنجلو

ما هي . إن أخاك لا يمكن أن يبقى حياً .

: إنى لأسأل الله أن يحفظ فخامتكم ولو كانت هذه هي

إيزابلا

مشيتكم .

: ومع كل فقد يعيش حيناً ، وقد يمتد به الأجل كما يمتد بك

أنجلو

أوبى ، إلا أنه لا محالة ميت .

: بمقتضى حكمك ؟

إيزابلا

: أجل .

أنجلو

: أتوسل إليك أن تخبرنى بموعد تنفيذ الحكم فيه فلعله يستطيع
فى المهلة الباقية له طالت أو قصرت أن يتها للموت فلا تعتل
نفسه ويصيبها السأم .

إيزابلا

: إيه ! ألا سحفاً لهذه الآثام القبيحة ! ! لقد كان من الخير أن
نغفر ذنب من يقضى على حياة نفس خلقها الله وسواها
غفراننا لذنب أولئك الذين ينغمسون من غير حياة فى لذاتهم
فيلبسون الصور المحرمة صورة الله . ألا ما أيسر أن تزهق
بالباطل نفساً خرجت إلى الوجود بسنة الله ، وما أيسر أن
نحتال على الشرع فتزيف على الناس معدناً حرّاً بمعدن
خسيس .

أنجلو

: إن هذا هو ما قضت به شريعة السماء لا شريعة الأرض .

إيزابلا

: أتقولين هذا ؟ إذن فلأعجل بالرد عليك . أيهما أفضل

أنجلو

عندك ؟ أن يقتص أشد القوانين عدالة من أخيك فيسلبه
حياته ، أم تسلمين جسمك ، فى سبيل خلاصه ، إلى ذلك
الإثم المحبب إلى النفس الذى وقعت فيه تلك المرأة التى لوئها
أخوك ؟

إيزابلا : ألا فلتتق يا مولاي بأنه لأفضل عندى أن أسلم جسمي (٣) من أن أسلم روحي .

أنجلو : إننى لا أتحدث عن روحك ، فإن المعاصي التى نساق سوقاً إلى ارتكابها وإن كثرت لا يحاسبنا الله عليها .

إيزابلا : ماذا تقول ؟

أنجلو : أجل أقوله ولكننى لا أجزم به ، ذلك أننى أستطيع أن أراجع ما قلت . ألا فلتجيبني عن هذا : إني أنا الممثل للقانون المكتوب قد أصدرت على أخيك حكماً بالموت . فهل يكون في الشر شيء من الخير يستنفذ حياة أخيك هذا ؟

إيزابلا : أرجوك أن تشمله بإحسانك ، وإني لأقول ، معرضة روحي للتهلكة ، بأن هذا لا يعد شراً قط ، وإنما هو خير .

أنجلو : أما وقد رضيت أن تقولى هذا معرضة روحك للتهلكة فقد سويت بين المعصية والإحسان .

إيزابلا : لو أن في العاصي الإبقاء على حياته معصية فإني أبتهل إلى الله

أن يعينني على احتمال وزرها ! أما إذا كان في إجابتك ملتقى إثم فإني سأقصر صلاتي كل صباح على الابتهال إلى الله بأن يدخل هذا الإثم في عداد ذنوبي ولا يحاسبك عليه .

أنجلو : كلا ، ولكن استمعي إليّ : إن تفكيرك لا يتمشى مع تفكيرى

فإما أنك جاهلة أو أنك تتظاهرين بالجهل مكرراً ودهاءاً ،
وليس هذا منك بجميل .

: فلا تكن جاهلة لا أصلح لشيء ، ولكن أرجو أن تتكرم فتعلم
أننى لست أكثر من جاهلة .

: وهكذا الحكماء يونون من أقدارهم لتظهر حكمتهم أشد نوراً
وأعظم بهاءً ، وكأنى بهم تلك الأفتنة السود تبدى من الحسن
المكون ما يزرى بالحسن إذا تعرى وأسفر . ألا فلتستمعى
إلى ، فإنى لمحدثك حديثاً مكشوفاً حتى تتبينى ما أقول ، لقد
قضى على أخيك بالموت .

: أعلم هذا .

: وأن جريمته هى كما تعلمين ، فإنها من الجرائم التى يعاقب عليها
القانون بالموت .

: هذا حق .

: هبى أن الخيل قد أعتيك فى إنقاذ حياته - وأنا أسلم بهذا
ولا أسلم بغيره إلا على سبيل الجدل - ورأيت ، وأنت أخته ،
أن شخصاً ما يشبهك ، وهو قادر بحكم سلطانه على القاضى
أو بحكم منصبه الرفيع أن يخلص أخاك من قبضة هذا القانون
الذى ييمن علينا جميعاً ، وأدركت أنه ما من وسيلة على
ظهر الأرض تبقى على حياته سوى أن تسلمى كنوز جسمك
إلى الشخص المزعوم وإلا تركيه يلاق مصيره فإذا يكون

إيزابلا

أنجلو

إيزابلا

أنجلو

يزابلا

أنجلو

موقفك ؟

: إني وأخي نستوى في هذا ، أى أننى لو كنت قد حكم على بالموت لحملت على جسمى آثار السياط القاطعة كأنها الياقوت ، ولآثرت أن أتجرد من ملابسى للقاء الموت تجرد الوستان لجّ به الشوق إلى الفراش ، على أن أسلم جسمى للخرى والعار .

إيزابلا

: إذن يجب أن يحل القضاء فى أخيك .

أنجلو

: وهذا أهون الشرين ، فخير للأخ أن يحل فيه القضاء المعجل من أن تموت أخته إلى الأبد فى سبيل خلاصه .

إيزابلا

: أولست إذن قاسية قسوة الحكم الذى نددت به ذلك التنديد ؟

أنجلو

: الفدية الشائنة والعفو الكريم أمران مختلفان ، ذلك أن الرحمة المشروعة لا تمت بسبب إلى الفداء الدنس .

إيزابلا

: لقد بدا من أمرك بالأمس أنك صورت القانون فى صورة الطاغية وجنحت إلى القول بأن زلة أخيك كانت أقرب إلى اللهو منها إلى الرذيلة .

أنجلو

: مولاى عفوك ، فإن المرء كثيراً ما يتكلم كلاماً لا يعنيه إذا شاء أن يحصل على ما يبغي ، وإنى لأتسامح أحياناً وأتقبل ما أكره فى سبيل من أخلص له الحب .

إيزابلا

: ما نحن جميعاً إلا بشر ضعاف .

أنجلو

إيزابلا

: وإلا فليمت أخى إن لم يكن له شريك فى إثمه ، وكان هو وحده الذى يتصف بضعف الرجال .

أنجلو

: بل إن النساء ضعيفات أيضاً .

إيزابلا

: أجل ضعيفات ضعف المرايا التى يتطلعن فيها إلى أنفسهن : فما أيسر أن تنكسر وما أيسر أن تعكس الصور . النساء ! رحماك يارب ! إن الرجال يفسدون طبيعة النساء باستغلال ضعفهن ، أجل ، قل إن النساء ضعيفات وكرر هذا القول مرات ، فإننا رقيقات كركرة طبائعا نستجيب لأى مؤثر وإن كان زائفاً مصطنعاً .

أنجلو

: إن هذا هو ما أعتقده حقاً ، ولأستمد الشجاعة من شهادتك هذه فى جنسك ، فأخذك بقولك ما دمت أعتقد أننا لا نبلغ من القوة ما يعصمنا من أن تهز الذنوب كياننا . ألا فلتكونى كما خلقت ، أى كونى امرأة ، فإن زدت فلن تكونى شيئاً ، أما إن كنت ، وهو ما نتم عنه جميع مظاهرك بأجلى بيان ، فأفصحى عن حقيقتك الآن بلبسك لبوس جنسك الضعيف .

: ليس لى إلا لسان واحد ، فأتوسل إليك يا مولاي الكريم أن تعود إلى سابق لغتك .

إيزابلا

: فلاأصرحك القول ، إني أحبك .

أنجلو

: لقد أحب أخى جوليت ، فقلت لى أنه سيدفع حياته ثمناً لحبه .

إيزابلا

أنجلو : لن يموت يا إيزابلا إذا بذلت لى حبك .
 إيزابلا : إني لأعلم أن صلاحك يتخذ لوناً من الفجور يبدو أكثر من حقيقته لتستدرج به الآخرين .

أنجلو : صدقيني ! فقساً بشرفى إن كلامى يعبر عن غرضى .
 إيزابلا : ألا ما أقل هذا الشرف إن أنا صدقتك ، وما أنخبث هذا الغرض باللرياء ؟ يا للرياء ؟ سأفضحك يا أنجلو ، فخذ حذرك ؟ وقع لى فى الحال أمراً بالعفو عن أخى ، وإلا أعلنت على الملأ بأعلى صوتى أى طراز من الرجال أنت .

أنجلو : ومن ذا الذى يصدقك يا إيزابلا ؟ إن اسمى الطاهر ، وحياة الصرامة التى أحيها وإنكارى لادعائك ، ومكانتى فى الدولة ، كل ذلك سيعلو على اتهامك فىغص حلقك بأقاويلك وتفوح منك رائحة الإفك والبهتان ، لقد بدأت ، - وإنى لأطلق الآن لشهوى العنان فأحملى نفسك على إرضاء نزوى المتأججة ، ودعك من الخفر وكل ما فيه من دلال وإمعان فى التمتع ، فإنه يذهب بالغرض الذى يسعى هو إليه . أفتدنى أخاك وسلمى جسمك لإرادتى ، وإلا فإن أخاك لن يقاسى الموت الذى سيحل به فحسب ، بل إن قسوتك سوف تنتزع منه الحياة قطرة قطرة فيطول عذابه . ألا فلتردى على غداً ، وإلا فبحق الحب الذى يمتلك الآن قيادى سأكون له الجبار الذى لا يرحم ، أما من ناحيتك فلتقولى

ما شاء لك القول ، فإن باطلی س يظهر على حقلك .

(يخرج)

: لمن أشكو ؟ ومن يصلقني إذا رويت هذه القصة ؟ إيه أيتها

إيزابلا

الأفواه الموكلة بالبلاء تنطوين على لسان ، لسان واحد يقضى بالإدانة ويقضى بالبراءة ، ويجعل القانون مطية لإرادته ويعلق الحق والباطل بالشهوات تسيرهما كيفما شاءت ! لأذهبن إلى أخي فإنه وإن كان قد استجاب لنداء الجسد فإن فيه من الغيرة على الشرف ما لو أوقى معه عشرون رأساً لقدمها راضياً إلى عشرين نطعاً مخضبة بالدماء ولا تسلم أخته جسمها لهذا الدنس البغيض . إذن فلتعيشي يا إيزابلا طاهرة نقية ، ولت أيتها الأخ ، فإن عفتنا أئمن من أئينا . ولأنخبرن أخي برغبة أنجلو ، وأهيئه لتقبل الموت حتى تستريح نفسه .

(تخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

باحة أمام السجن

(يدخل الدوق متخفياً ، وكلوديو والمهافظ)

- الدوق : إذن فأنت ترجو العفو من اللورد أنجلو ؟
- كلوديو : ليس للشقى من دواء إلا الأمل ، وإني لآمل أن أعيش وإن كنت مستعداً للموت .
- الدوق : وطن نفسك على الموت ، وسواء كتبت لك الحياة أو الموت فإن ذلك أعذب عندك وأشهى . ولتجادل الحياة بهذا المنطق : إنني إذا فقدتك فقدت شيئاً لا يتشبه به إلا الحمقى ، فما أنت إلا نفس يتردد ، تتحكم فيه كل المؤثرات السماوية ، ولا تنقطعين ساعة عن تعذيب ذلك الجسم ، إنك لست إلا حمقاء يعذب بك الموت تجاهدين في سبيله بمحاولتك الفرار منه ، فتزدادين سعياً إليه على الدوام . ثم إنك لست نبيلة ، لأن كل ما تحملين من بهاء وجلال قد شب وترعرع في أحضان الخسة والدناءة . وليس فيك من الشجاعة

شيء ، لأنك تخافين لسان الدودة^(١) الحفيرة المتشعب على نعومته ورقته . إن راحتك الكبرى في النوم ، تستجليه كثيراً ، فلم تفرّقين من الموت ، وهو لا يزيد على النوم في شيء . إن مظهرك أيتها الحياة غير مخبرك ، لأن وجودك قائم على ذرات لا تحصى خلقت من تراب . وأنت لا تنعمين بالسعادة ، لأن ما ليس في يدك تجاهدين وتدابين على الجهاد للحصول عليه ، وما في يدك تنسينه . ثم إنك لا تستقرين على حال ، لأن مزاجك يتقلب تقلب عجيبة بتغير وجوه القمر . وأنت في غناك فقيرة ، لأنك كمثّل الحمار ينوء ظهره بسبائك الذهب ، تحملين أثقال ثروتك إلى حين ، ثم يأتي الموت فيجردك من حملك . وليس لك من صديق . لأن أمعاءك نفسها التي تعرف بأنك مولاتها وسيدتها ، أمعاءك التي خلقتها من صلبك أنت ، تلعن النقرس والسعقة والزكام لأنها لم تعجل بالقضاء عليك . وليس لك شباب ولا شيخوخة ، وماهما في الحق إلا نوم يدرك المرء بعد العشاء فيحلم بالاثنتين جميعاً ، ذلك أن شبابك السعيد كله يصبح وكأنه الشيخوخة يلتمس الصدقة لكهل أعجزه الشلل ، وإن كنت عالية السن غنية فقدت حميتك والتهاب عاطفتك وقوتك وجالك

(١) يريد الحية .

وأصبحت فلا تستطيعين الاستمتاع بثروتك . فإذا بقي لك من هذه التي يسمونها الحياة ؟ على أن هذه الحياة تختفي في أحشائها ألف ميتة . وبعد ذلك كله تختفى الموت الذي يسوى بين هذه المتناقضات جميعاً .

كلوديو : أشكرك شكر العاجز عن إيفائك حقك ، لقد وجدت أن رغبتى فى الحياة تسعى بى إلى الموت . وإنى إذا رغبت فى الموت كتبت لى الحياة . فرحى بالموت .

(قرع على الباب)

صوت من الخارج : إيه يا أهل الدار ! السلام عليكم ، وبارك الله فيكم وأصلح حالكم .

المحافظ : من بالباب (يفتح الباب الخارجى) ادخلى فإن تمنياتك جديدة بأن تجعلك أهلاً للترحيب .

(تدخل إيزابلا)

الدوق : لن أغيب عنك طويلاً ياسيدى العزيز حتى أعود إلى زيارتك .

كلوديو : أشكرك ياسيدى الأجل الأقدس .

إيزابلا : لقد أتيت لأحدث كلوديو حديثاً جد قصير .

المحافظ : بكل سرور وارتياح - هاك ياسيدى أختك .

الدوق : أيها المحافظ إن لى كلمة معك .

المحافظ : تكلم كما تشاء .

الدوق

: لتذهب بي إلى حيث أسمع كلامهما ولا يرباني .

(يخرج الدوق والحافظ)

كلوديو

: إليه يا أختاه ، أى عزاء جئت به إلى ؟

إيزابلا

: عجباً ، عزاء ككل عزاء ، فيه كل الخير ، كل الخير حقاً . إن

اللورد أنجلوه مع السماء شأن وصلة ، وقد اعترم أن يوفدك
على عجل سفيراً له فيها ، لتقيم هناك وكيلا عنه إلى ما شاء الله
فيأدر ما وسعك إلى التجهز لرحلتك ، فإن موعدك غداً .

كلوديو

: أما من حيلة ؟

إيزابلا

: كلا ، اللهم إلا أن تشطر قلباً شطرين لتنفذ رأساً من الهلاك .

كلوديو

: ولكن ، هل من حيلة ؟

إيزابلا

: أجل يا أخي ، قد تكتب لك الحياة ، فإن القاضي قد أوفى

رحمة كرحمة الشيطان إذا فرغت إليها أنقذت حياتك ،
ولكها تكبلك بالأغلال حتى تموت .

كلوديو

: أهي السجن المؤبد ؟

إيزابلا

: أى نعم ، لقد أصبت ، إنها السجن المؤبد ، بل هي قيد

يضعك في حيز محدود وإن كان العالم كله ملك يديك .

كلوديو

: ولكن بأية وسيلة ؟

إيزابلا

: إنها وسيلة لو رضيت بها لسلبت الدوحة التي تنتمى إليها من

الشرف وتركتك عارياً لا يسرك شيء .

كلوديو

: أفصحى

إيزابلا : أواه ، إني أخشى عليك يا كلوديو ، وأشفق من أن تؤثر حياة حافلة بأسباب القلق والاضطراب تمد في أجلك ست سنين أوسبعاً ، على أن تحفظ شرفك على مر الأيام . أفلا تجرؤ على ملاقة الموت ؟ إن خشية الموت تملك علينا تفكيرنا ، والحشرة الحفيرة نطأها بأقدامنا يقاسى بدنها من ألم التزع ما يقاسيه الرجل الجبار حين يلفظ أنفاسه .

كلوديو : لماذا تلحقين بى هذه الوصمة ؟ أوتظنين أننى أستطيع أن أستمد القوة والعزم من مخلوقة فى رقتك وعدوبتك ؟ إننى إذا حقّ على الموت لقيت وحشته كأنها عروس وأخذتها بين ذراعى .

إيزابلا : لأنت بهذا الحديث أخى حقاً ، بل إني لأسمع صوت أبى ينبعث من قبره . أجل لقد حق عليك الموت ، فإنك لأنبل من أن تتشبث بحياة المركب إليها ملطخ بالدنايا . ذلك أن هذا الذى يتولى الحكم فينا نيابة عن الدوق ما هو إلا شيطان بدا فى صورة قديس ، يستل بوجهه الهادئ الرزين وكلامه القاطع البات سورة الشباب من الرءوس يحمد الحماقات فى الصدور كما يفعل البازى بالطير ، ولو أنه قذف بما فى جوفه من أقذار لكانت بركة حمته قرارها كقرار الجحيم .

كلوديو : أنجلو ذلك القديس !

إيزابلا : أواه إنها ثياب المكر والخبث يخلعها الجحيم على الأجسام التى

كتبت عليها اللعنة الأبدية فتبدو في مسوح الرهبان الأبرار !
أتصور هذا يا كلوديو ؟ أفن أسلمت له بكارتي تحرت أنت
من إسارك ؟

كلوديو : رحماك أيها السموات ! إن هذا مستحيل .
إيزابلا : بل إنه سوف يبيع لك نتيجة لجرمى المخلة بالشرف أن تستحل
إنك وتلج فيه . والليله هو الأجل الذى ضربه لى ، فإما
فعلت ما أستنكر أن أفوه به وإما لاقيت أنت مصيرك غداً .
كلوديو : إنك لن تفعل هذا أبداً .
إيزابلا : أواه لو أن الأمر يتعلق بحياتي فحسب ، لنبذتها في سبيل
نجاتك نبذ النواة .

كلوديو : شكراً لك يا عزيزتى إيزابلا .
إيزابلا : فلتهى نفسك للقاء الموت غداً يا كلوديو .
كلوديو : أجل . أو تقوده شهواته إلى الاجتراء على القانون في اللحظة
التي ينفذ فيها أحكامه ؟ تالله إن جريرتي ليست من الإثم في
شيء ! أوهى أهون الكبائر السبع جميعاً .

إيزابلا : أيها تقول إنه أهونها ؟
كلوديو : إذا كان هذا الإثم من الآثام التي حقت عليها اللعنة ، فكيف
به ، وهو العاقل العظيم الحكمة ، يرضى لنفسه العذاب المقيم
إشباعاً لشهوة عابرة ؟ أواه يا إيزابلا !
إيزابلا : ما الذى ترمى إليه يا أخى ؟

: إن الموت شيء مخيف .

كلوديو

: و حياة العار ممقوتة مدمومة .

إيزابلا

: أجل ، ولكن أن نموت ونذهب إلى حيث لا ندرى ، ونهجع

كلوديو

في يرد الجمود ويحل بنا الفساد ، ويستحيل هذا الجسم
الحساس الحى الذى تشيع فيه الحرارة كومة مختلطة من
تراب ، وتسيح تلك النفس التى ألقت المرح والانشراف في
طوفان من نار ، أو تستقر في صعيد يكتنفه سور من الثلج
سميك ، فتتفض وترتجف ، أو تصبح حبيسة لتلك الرياح
الخفية تهب عاصفة لا تهدأ حول هذه الأرض المعلقة في
الفضاء ، أو تكابد من البلاء ما يزرى بما يتصوره أصحاب
الأفكار الضالة المضطربة من عذاب ألم - ألا ما أفضع
الموت ! إن أشد ما قد ترمينا به الحياة الدنيا إنقالاً على النفس
وتنفيراً لها كالشيخوخة والألم والحرمان والسجن هو الفردوس
إذا قيس إلى ما نلاقه من خشية الموت .

: وا حسرتاه ، وا حسرتاه !

إيزابلا

: أيتها الأخت الحبيبة ، ابق على حياتى ، فإن ما تقترفينه من إثم

كلوديو

لإنقاذ حياة أخيك لتغفره لك الطبيعة حتى لتجعل منه
فضيلة .

: تبا لك من وحش ! وتبا لك من جبان خسيس ! ثم تبا لك

إيزابلا

من شقى تجرد من الشرف ! أو تريد أن تصبح رجلاً بفضل

رذيلتي ؟ أليس من استباحة المحارم أن تستمد حياتك من عار يلحق بأختك من أمك وأبيك ؟ حاشا لله أن تكون أُمي قد خانت فيك أبي ماذا عساي أقول ؟ فإن مثل هذه السقطة الشائنة لم تكن قط من شيعته . حاشاي أن أقبل منك أية نصيحة فت ، وأهلك ! ألا فلينفذ فيك القضاء وإن لم يكلفني رده إلا أن أنحني . سأصلي ألف صلاة مبتهلة أن يحل بك الموت ، ولن أَلْفِظ كلمة واحدة في سبيل إنقاذك .

كلمديو

: بل اصغ إلى يا إيزابلا .

إيزابلا

: تَبَّأُ لك ، تَبَّأُ لك ، تَبَّأُ لك ! إن ذنبك ليس وليد الصدفة ، بل هو سَنَة أَلْفَتَهَا ودرجت عليها . ولو بسط لك جناح الرحمة لدنسته بإثمك ، فمن الخير أن يدركك الموت سريعاً .

(تبتعد عنه)

كلوديو

: بالله عليك يا إيزابلا اصغ إلى !

(يتقدم الدوق)

الدوق

: اسمحي لي بكلمة أيتها الأخت الصغيرة ، كلمة واحدة

إيزابلا

: ماذا تريد ؟

الدوق

: هلا استغنيت عن وقت راحتك ، فإني أود أن أتحدث إليك بعد قليل . وإن ما أرجوه معك من خير سيعود بالفائدة عليك .

إيزابلا

: ليس لدى فسحة من الوقت ، فإن بقاءى يقتضي أن أجور

على شئون أخرى ، على أننى سابقى معك لحظة .

الموق : (ياخذ كلوديو وينتهى به جانباً) يا بنى ، لقد سمعت عرضاً ما دار

بينك وبين أختك . إن أنجلو لم يدر بخلده أن يفسدها ، وكل ما فعله هو أنه أراد أن يختبر عفتها حتى يستطيع أن يتولى القضاء وهو عالم بطباع البشر ، أما هى فقد فطرت نفسها على الشرف فتلقت عرضه بإباء كريم اغتبط له أيما اغتباط . إننى أنا الذى يعترف أنجلو على يديه ، ولذلك أعلم أن ما قلت هو الحق فاستعد إذن للموت ولا تمنين نفسك بالآمال الكذاب ، إذ لا مناص من أن تموت غداً ، فاركع وتجهز للقاءه .

كلوديو : دعنى أسأل أختى الصفيح ، فقد سئمت نفسى الحياة حتى

لأتمنى الخلاص منها .

الدوق : لتجعل هذا ديدنك ، أستودعك الله .

(كلوديو يخرج والمحافظ يدخل)

أيها المحافظ لى كلمة معك !

المحافظ : ماذا تشاء يا أبت ؟

الدوق : أما وقد وصلت فلترحل ، وخلّ بنى وبين هذه الفتاة لحظة .

إن خلقى فى طهارة مسوحى ، ولن ينالها سوء من صحبتى .

المحافظ : على الرحب والسعة ، وليكن ما تشاء .

(يتصرف)

: (يلتفت إلى إيزابلا) إن اليد التي أبدعت حسنك قد أنعمت عليك بالصلاح والطهر. والصلاح إذا صحبه جمال برخصه في نظر الناس لم تدم هذه الصحة طويلاً ، ولكن الحسن الأني الذي تنطبق به ملامحك خليق بأن يصون جمال حيائك فلا يفسد أو يزول . وقد شئت المقادير أن تحمل إلى نأ تهجم أنجلو عليك ، ولو لم تكن لسقطته أمثلة تنم عن ضعف الطبيعة البشرية لعجت لمسلكه . فعلام عولت لإرضاء هذا الذي يحكمنا نيابة عن الدوق وإنقاذ أخيك ؟

: أنا ذاهبة الآن لأبلغه جوابي . وإني لأؤثر أن يموت أخى بحكم الشرع على أن يولد لي ولد يأباه الشرع . ولكن ، أواه ، لشد ما المنخدع الدوق الصالح في أنجلو ! ولو قدر للدوق أن يعود يوماً ، وقبض لي أن أكلمه فلن أحرك شفقي بلغو الحديث بل سأكشف له عن سوء حكم نائبه .

: لن تخطئي كثيراً بهذا الفعل . إلا أنه ، والأمور على ما هي عليه الآن ، سيروغ من اتهامك له ، ويزعم أنه إنما كان يختبر عفنتك . فأنصتي جيداً لنصحي . إن الرغبة التي تملكني لفعل الخير تهديني إلى علاج لهذه الحال . ولدي ما يحملني على الاعتقاد بأنك سوف تقومين بعمل صالح غاية الصلاح تسدين به فضلاً مشكوراً إلى سيدة بائسة مظلومة ، وتخلصين أخاك من شر هذا القانون الغاشم ، وتتقذين شرفك الرفيع من

الدنس ، وترضين الدوق الغائب عناكل الرضا لو قدّر له أن يعود يوماً ويستمع إلى هذه القصة .

إيزابلا : زدنى إيضاحاً أيها الأب ، فإن لدى من الشجاعة ما يمكننى

من الإقدام على أى عمل لا يبدو نجساً أمام ضميرى الحق .

الدوق : الفضيلة شيمتها الشجاعة ، والصلاح لا يهاب شيئاً قط .

أولم تسمى بماريانا أنخت فردريك ذلك الجندى العظيم الذى ضل فى البحر؟

إيزابلا : سمعت بتلك السيدة ، وقد اقترن اسمها بعبارات المديح والثناء .

الدوق : لقد كان من الواجب أن يتزوجها أنجلو هذا ، ذلك أنه قد

عقد خطبته عليها وتحدد يوم الزفاف ، إلا أن أخاها فردريك

غرق فى البحر فى المدة ما بين الخطبة والزفاف ، وضاعت

بائنتها فى سفينته التى ابتلعها اليم ، فانظرى هول الصدمة التى

نزلت بهذه المرأة الطيبة المسكينة ، فقد رزئت بموت أخ نبيل

استطارت شهرته وكان يكنّ لها أصدق ما يمكن أن يكنه أخ

لأخته من حب ، وفقدت بموته ذلك الجزء من ميراثها الذى

تعتمد عليه فى حياتها ، ألا وهو بائنة زواجها ، وبفقدتها

انفلت منها ذلك الزوج المخادع الذى ارتبط بها بهذا الرباط

المقدس .

إيزابلا : أمن الممكن أن يحدث هذا؟ أو هجرها أنجلو على هذا النحو؟

الدوق

: تركها تسكب الدمع ، ولم يرقأ دموعه واحدة بعزاء أو سلوى ،
وتنكر لعهوده جميعاً مدعياً أنه كشف من أفعالها ما يحدش
الشرف . وصفوة القول أنه أغرقها في أحزان لا تزال تكادها
من أجله ، ووقف هو جامداً كالصخر تغسله دموعها فلا يتأثر
أويلين .

إيزابلا

: ألا ما أجزل نعمة الموت تخلص هذه الفتاة المسكينة من
الدنيا ! وما أقيح هذه الحياة التي تبقى على مثل هذا الرجل !
ولكن كيف تستفيد هي من هذا المأزق ؟

الدوق

: إنه جرح يسهل عليك شفاؤه ، وعلاجه لا يتخذ حياة أخيك
فحسب بل يحفظ عليك شرفك أيضاً إن فعلت ما أشير به .
: خبرني كيف يكون ذلك أيها الأب الصالح .

إيزابلا

: لا يزال قلب هذه العذراء التي رويت لك قصتها مقيماً على
حبها الأول ، وقد كانت قسوة حبيبها الغليظة خليفة من جميع
الوجوه أن تطفئ نار حبها ، ولكن هذه القسوة كانت كالعائق
يقف في طريق التيار فيزيده شدة وجموحاً ، ألا فلتذهبي إلى
أنجلو وأرضي رغبته متدعة بتلك الطاعة التي يرضى الناس
ظاهرها وأجيبه إلى كل ما يطلب ، ولكن اشترطي عليه أولاً
ألا يطول بقاءك معه ، وأن يسود الظلام والسكون وقت
لقاءكما ، وأن يكون مكان اللقاء مريحاً مناسباً . فإذا أجابك
إلى طلبك هذا في حينه ، وأعقب ذلك كل ما دبرناه ،

الدوق

وأوعزنا إلى تلك الفتاة المظلومة أن تني هي بموعذك وتحل محلك حتى إذا اقتضح أمر هذه الخلوة فيما بعد أصبح من الممكن أن يضطر إلى تعويضها ، وعندئذ يتيسر بذلك إقناذ حياة أخيك ، ويسلم شرفك من الأذى وتنال ماريانا المسكينة بغيثها ، وتحل الوصمة بهذا النائب الفاسد . وسأهين الفتاة لهذا الأمر وأعدّها للقيام بهذه المحاولة . فإن رأيت أن من الخير أن تنفذى هذه الخطة وأنت قادرة عليها ، فإن المنفعة التي تعود على الطرفين تجرد هذه الخدعة من أسباب الملامة . فما قولك في ذلك ؟

إيزابلا : إن فكرة هذه الخدعة قد رضيت عنها نفسى بالفعل ، وإني لأعتقد أنها خليقة بأن تؤتى أطيب الثمرات .

الدوق : إن عماد نجاحها في يديك . فعجلى بالذهاب إلى أنجلو فإذا دعاك إلى فراشه الليلة ، مني بالرضا . أما أنا فسأذهب من فوري إلى قرية القديس لوقا ، وهناك تقيم ماريانا التي هجرها حبيبها في البيت الريفي المنعزل الذي يكتنفه الخندق . فاسألني عنى في هذا المكان ودبري الأمر مع أنجلو بحيث يتم لنا ما نريد بلا إبطاء ولا إهمال .

إيزابلا : شكراً لك على هذه الطمأنينة التي بعثتها في نفسى وأستودعك الله أيها الأب الصالح .

(تخرج)

المشهد الثاني

(يدخل إلبو مع بعض الضباط وفي صحتهم يومى مقبوضاً عليه)

إلبو : تالله لو لم يكن لك من سبيل إلا أن تشتري الرجال والنساء
وتبيعهم بيع السائمة لأصبح الناس جميعاً يحتسون النبيذ
الحلو ، أبيضه وأسمره .

الدوق : رياه ! ما هذا الذى أرى ؟

يومى : لم يبق فى الدنيا شىء من المرح ، ذلك أن السبيين الباعثين
عليه وهما الفجور والربا ، قد قضى على أشدهما مدعاة له ،
على حين أباح القانون لشر السبيين أن يتدثر برداء من الفراء
يبقى عليه نعمته ، بل إن جلد الحمل قد اكسى أيضاً بفراء
الثعلب علامة على أن المكر ، وهو آئمن من البراة ، قد اتخذ
أداته للتجميل والزينة .

إلبو : امضى فى طريقك ياسيدى - وأنت أيها الأب الأخ^(٢)
الصالح فليباركك الله .

الدوق : وليباركك الله أيضاً أيها الأخ الأب الصالح . أية جريمة
اقرنها هذا الرجل فى حقك ياسيدى ؟

(٢) الأخ فى الجملتين تعنى الراهب والفكاهة تظهر أكثر وضوحاً فى الفرنسية .

إلبو : تالله يا سيدى إنه أجرم فى حق القانون ، ونحن يا سيدى نعتقد

أنه لص أيضاً يا سيدى ، ذلك أننا وجدنا معه يا سيدى آلة عجيبة لفتح الأقفال بعثنا بها إلى النائب الحاكم .

الدوق : تباً لك وسحقاً ! قواد وقواد أنتم ! إن الشر الذى تسبب فيه

هو سبيلك إلى الحياة . فهلا فكرت ولو قليلاً فى الحال من يملأ بطناً ويكسو ظهرأ من مثل هذه الرذيلة الدنسة . ألا فلتخاطب نفسك وقل لها إننى أشرب وأطعم وأكتسى وأعيش من علاقات الناس البهيمية الممقوتة . أوتظن أن حياتك حياة وهى تعتمد على هذه الأقدار البالغة الحقارة ؟ اذهب وأصلح من شأنك ، اذهب وأصلح من شأنك .

هومي : الحق يا سيدى أن حياتى قدرة من بعض النواحي ، على أننى مستعد مع ذلك أن أثبت . .

الدوق : حاشا ، فلو أن الشيطان أمدك بالحجج تؤيد بها المعصية

لوجدت له عذراً يبرر معصيته - امض به إلى السجن أيها الضابط فلا مناص من أن يتكاتف التأديب والتهديب على إصلاح حال هذا البهم الوقح .

إلبو : يجب أن يمثل بين يدى نائب الحاكم يا سيدى ، فقد بعث

إليه يستدعيه ، ذلك أنه لا يطبق أن يسمع بوجود قواد . فإن كان قواداً ومثل بين يديه فإن من الخير ألا يقدم قط على رحلته .

الدوق : ليتنا كنا جميعاً أبرياء من الإثم كما يزعم البعض منا ، وبإلتنا
نبراً من النفاق إن عصينا وأخطأنا !

إليو : سيسعى عنقه إلى خاصرتك يا سيدي يستعير منها الحبل الذي
تمنطق به .

برمي : إني لألح العون مقبلاً ، وأستصرخ طالباً الكفالة ، هاكم
سيداً هو صديق لي .

(يدخل لوشيو إلى ساحة السجن)

لوشيو : ما بالك يا يومي أيها الرجل النبيل ! أتراك في عجلة قيصر؟

أم تراك أسيراً مسوقاً في موكب النصر؟ ماذا أرى ، وهل
أقفرت ساحتك الآن من نسوة برثن على صورة تمثال
بيجماليون وقد ذبت الحياة فيه حتى تضع يدك في جيبيك
فتخرج مليئة بالمال؟ إيه ما جوابك؟ وما قولك في هذا للحن
ومعدنه وطريقته؟ يا سبحان الله ، أولم تبدده الأمطار
الأخيرة فيما بددت؟ ما قولك أيها الرجل العتيق في الصنعة؟
وهل الدنيا كما كانت يا صاح؟ وكيف حالها؟ أهى حزينه
شحيحة؟ أما ماذا؟ وما مزاجها؟

الدوق : إن حالها دائماً بين هذا وذاك ، بل إنها لترداد سوءاً على
الدوام .

لوشيو : وكيف حال بنيتي العزيزة سيدتك؟ أو لا تزال تجلب النساء؟

يومي : الحق يا سيدي أنها قد استهلكت كل ما عندها من لحم ،

وأضحت هي نفسها غارقة في الدست .

لوشيو : وأيم الله ياسيدى ، إن هذا شيء جميل ، وهو الحق والعدل ، بل هو الشيء الذى لا دافع له . فلكل عاهر جديدة على الصنعة قوادها المخنكون ، وهذه نتيجة لا مفر منها ، وأمر لا محيص عنه . أذهب أنت إلى السجن يا بومبي ؟

بومبي : أجل وأيم الحق ياسيدى .

لوشيو : لعمرى ليس فى الأمر ما يسوء يا بومبي . أستودعك الله . امض إلى سبيلك وقل لهم إني أنا الذى بعث بك إليه . أمن أجل الدين تسجن يا بومبي ؟ أم لسبب آخر ؟

إليو : لأنه يحترف القوادة ، لأنه يحترف القوادة .

لوشيو : حسناً ، إذن ألق به فى السجن ، وإذا كان السجن جزاء القواد فلا عجب أن يحق عليه . إنه قواد لاشك فى ذلك ، وقواد عريق ، ولد فى أحضان القوادة . أستودعك الله يا بومبي أيها الرجل الطيب . سلامى إلى السجن يا بومبي . إنك ستغدو الآن رب بيت صالح ، فلا محيص لك من أن تلزم الدار .

بومبي : إني لآمل ياسيدى أن تضمنى

لوشيو : كلا ثم كلا يا بومبي ، لن أفعل هذا ، فإنه شيء لم يألفه الناس ، بل سأصلى يا بومبي مبتهلاً أن يزداد الحجر عليك ،

فإن لم تتحمله في صبر وجلد ازدادت أغلالك ضيقاً على
ضيق وداعاً يا بومبي أيها الرجل الأمين - بوركت أيها
الراهب .

: وبوركت أنت .

الدوق

: إيه يا بومبي ألا تزال بريدجيت دائبة على الرسم ؟

لوشيو

: امض لشأنك ياسيدي ، امض .

إلبو

: إذن فإنك لن تضمّني ؟

بومبي

: لا وقتئذ ولا الآن يا بومبي ؟ قل لي أيها الراهب ، أئمة أخبار

لوشيو

من الخارج ؟ هل من أخبار ؟

: امض لشأنك ياسيدي ، امض .

إلبو

: إلى حظيرة الكلاب يا بومبي ، اذهب .

لوشيو

(ينقل إلبو والضباط بومبي إلى السجن)

ما الأخبار أيها الراهب ، أعني أخبار الدوق ؟

: ليس لي علم بشيء منها . فهلا أنبأتني بشيء من أخباره ؟

الدوق

: يقول البعض إن الدوق مع إمبراطور روسيا ، ويقول آخرون

لرشيو

إنه في رومة ، ولكن قل لي في أي مكان تظنّه ؟

: لا أدري أين ، وإن كنت أرجو له الخير أينما كان .

الدوق

: لقد كانت منه خدعة حمقاء عجيبة أن ينسل من البلاد ،

لوشيو

ويتحل صفة السائل التي لم يخلق لها قط . إن لورد أنجلو

يحسن حكم البلاد في غيبته ، فهو يضيق على المذنبين أشد

التضييق .

الدوق

: إنه يحسن صنعاً بذلك .

لوشيو

: لو أنه تفرق بالدعارة أكثر مما فعل لما كان ذلك بضائره شيئاً ، فهو قد أسرف بعض الإسراف في الشدة أيها الراهب .

الدوق

: لقد عمّت هذه الرذيلة حتى وجب أن تعالج بالشدة .

لوشيو

: أجل ، فلا ريب أيها الراهب أن لها شعبة غفيرة العدد وحلفاء أقوياء ، ولكن من المستحيل استئصال شأقتها إلا إذا حرمنا على الناس المأكول والمشرب . وقد لهجت الأكنسة بأن أنجلو هذا لم يولد من أب وأم بالطريق المستقيم على نحو ما يولد الناس . فهل تظنن أن هذا صحيح ؟

الدوق

: إذن كيف ولد ؟

لوشيو

: يقول البعض إن حورية من حوريات الماء قد باضته ، ويقول آخرون إنه ولد في حضن سمكتين من السمك المقدد ، على أن من المحقق أنه إذا تبول خرج بوله ثلجاً جمداً ، وإني لوائق من ذلك . وهو من شخوص (الكراقرز) ، ولا شك في هذا .

الدوق

: إنك لفكك تسرف في الحديث يا سيدى .

لوشيو

: عجباً ، أية قسوة هذه التي تملكك قلبه فجعلته يقضى على حياة رجل غلبته شهوته على أمره ! أو تظنن أن الدوق الغائب كان يفعل ذلك ؟ لقد كان لا يشق رجلاً خلف مائة ولد سفاح إلا بعد أن يكفل ألفاً من أمثال هؤلاء . لقد كان يعرف

الدوق

لوشيو

الدوق

لوشيو

الدوق

لوشيو

الدوق

لوشيو

الدوق

لوشيو

الدوق

طعم الحوى ويدرك سر الغرام فاهتدى إلى الرحمة .

: ما سمعت قط أن الدوق الغائب عنا قد عرف عنه الولع
بالنساء فإن ذلك لم يكن من شيمته .

: لعمرى ياسيدى إنك لخذوع فيه .

: هذا لا يمكن أن يكون .

: لا يمكن بالنسبة للدوق ؟ بل هو الواقع فإن دوقك هذا الذى

يتخفى فى زى سائل فى الخمسين من عمره قد جرى على أن

يضع فى طبقها الذى تستجدى به «دوكات» ذهبية ، ثم إنه

كانت له أطوار غريبة ، فقد كان بسكر أيضاً ، وهذا

ما أستطيع أن أوكدك لك .

: لعمرى إنك لتظلمه .

: سيدى ، لقد كنت صديقاً حميماً له ، وكان الدوق حياً

خجولاً ، وإنى لأحسب أننى أعرف سبب تخليه عن الحكم .

: هلا تفضلت فذكرت لى السبب ؟

: كلا ، وأرجو ألا تؤاخذنى ، فإن ذلك سريجب أن أحبسه فى

صدرى ، على أننى أستطيع أن أثبتك بأن جمهور الشعب

كان يؤمن بأن الدوق رجل حكيم .

: حكيم ! عجباً ، لا شك فى أن هذا كان شأنه .

: بل هو رجل غاية فى الفسولة والجهل والطيش .

: لا يقول هذا القول إلا حاسد أو أحمق أو ظالم . فإن سيرته

نفسها والأعمال التي أداها لتشهد له بخير من ذلك إن كان في حاجة إلى شهادة . فدع أعماله وحدها تتحدث عنه . وهو خَلِيقٌ عِنْدُكَ بَأَن يَبدو في عين الحسود عالماً ورجل حكم وجندباً . إنك إذن تتحدث عن جهل ، أو قل إنك إذا كنت تعرفه أكثر من ذلك فإن سوء طويتك تعمى بصيرتك .

لوشير

: سيدى ، إننى أعرفه وأحبه .

: ' أن من يجب يتحدث عن معرفة أكبر ، ومن يعرف يفصح عن حب أعظم .

الدوق

: يقال يا سيدى فإنى أعرف عنه ما أعرف .

لوشير

: يصعب على أن أصدق ذلك ، فإنك لا تعى ما تقول ، على أنه لو قدر للدوق أن يعود ، وأسأل الله أن يستجيب لدعائنا فيكتب له العودة ، فإنى أحب أن تمثل في حضرته لتسأل عن أقوالك . فإن كنت صادقاً وانتك الشجاعة على تأييد ما قلت . وفى عنق عندك أن أسأل عنك فبالله عليك ما اسمك ؟

الدوق

: إن اسمى يا سيدى هو لوشير ، والدوق يعرفنى حق المعرفة .

لوشير

: سوف يزداد معرفة بك يا سيدى ، ولو قدر لى أن أعيش فأنبئه بأمرك ؟

الدوق

: لست أخشاك .

لوشير

: واهاً لك ! إنك لتأمل ألا يعود الدوق ، أو تظن أننى خصم

الدوق

لا يتالك منه أى ضرر . على أننى وأيم الحق أستطيع أن ألحق بك بعض الضرر ، وسوف تعود فتتكر ما قلت وتقسم على ذلك .

: الشئ أحب إلى من هذا ، إنك مخطئ فى الحكم على أيها الراهب . ألا فلتكف عن هذا الحديث . هلاً أخبرتنى أو يلاقى كلوديو حظه غداً أم لا ؟

لوشيو

: ولماذا يلاقى حظه يا سيدى ؟

الدوق

: لماذا ؟ لأنه ملأ زجاجة بقمع . ألا ليت الدوق الذى نتحدث

لودفيو

عنه كان قد عاد ، فإن نائبه هذا العنّين سيقفر هذه الولاية من الناس تعففاً وزهداً ، إن العسافير يجب ألا تبني أعشاشها فى طنوف بيته لأنها فاسقة داعرة . أما الدوق فكان يعاقب على الفعال السود خفية فى سواد الليل ، فلا يعرضها قط لضوء النهار . ليته عاد ! تالله إن كلوديو هذا قد قضى عليه بالموت لأنه زان . أستودعك الله أيها الراهب الصالح ، وأتوسل إليك أن تدعولى . وأعود فأكرر لك أن الدوق لا يصوم عن أكل لحم الضأن أيام الجمع ، فإنه لم يبلغ سن الصيام بعد . وأقول لك أيضاً أنه يتعفف عن تقبيل سائلة وإن فاحت منها رائحة الخبز الأسمر والثوم . فاذكر عني أننى قلت هذا ، وأستودعك الله .

(ينخرج)

الدوق : ما من قوى أو عظيم في هذه الدنيا يسلم من ألسنة الناس . فإن

الغبية تطعن من الخلف أنقى الفضائل وأطهرها . وأى ملك
مهما أوتى من سلطان يستطيع أن يتتزع سموم الحقد من ألسنة
العيابين المغتابين ؟ ولكن ، ترى من القادم علينا ؟

(يدخل إسكالس ، والمخافظ ومعهما ضباط يحرمون السيدة أوفردن)

إسكالس : اذهبوا ، وألقوا بها في السجن !

السيدة أوفردن : مولاي الكريم ، أحسن إليّ ، فقد عرُفتم فخامتكم بالرحمة ،
يا مولاي الكريم .

إسكالس : لقد حذرناك مثنى وثلاث ، وما زلت سادرة في غيك ! إن
هذا يحمل الرحمة على أن تسب وتلعن ويجعلها تلبس لباس
الطاغية المستبد .

المخافظ : عفوك يا مولاي ، إنها قوادة مارست صنعها أحد عشر عاماً
سويّاً .

السيدة أوفردن : مولاي إن هذا القول وشاية في حق من رجل يدعى لوشيو .
فقد حملت منه السيدة كيت كيداون في عهد الدوق ،
ووعدها بالزواج ، وسيلغ ولده منها سنة وربع سنة في عيد
أول مايو وقد كفلته أنا نفسي ، ومع ذلك انظر كيف يسعى في
الإساءة إلى !

إسكالس : إن هذا الرجل فاجر داعر ، فليستدع للمثول بين أيدينا ،
وخذوا هذه المرأة إلى السجن !

(ثم يوجه كلامه إلى السيدة أولردن)

هلمى ولا تريدى حرفاً .

(يمرحا الضباط إلى الخارج)

أيها المحافظ لقد أبى أخى أنجلو أن يعدل عن حكمه ،
ولا مناص من أن يلقي كلوديو الموت غداً . فاعملوا على أن
ترودوه بالأسرار الربانية ليتبها للقاء ربه ولا تبخلوا عليه بشيء
في هذا السبيل . ولو أن شفقتى به ورثاى لحاله قد رققا عليه
قلب أخى لما انتهى إلى هذا المصير .

: عفوك يا مولاي ، فإن هذا الراهب كان في صحبته ، ووعظه
بما يؤهله للقاء الموت .

المحافظ

: طاب مساؤك أيها الأب الصالح !

إسكالس

: باركك الله وأنعم عليك بنعمة الصلاح !

الدوق

: من أى بلد أنت ؟

إسكالس

: لست من أهل هذا البلد ، وإن كانت ظروفى تفتضينى أن أبقي

الدوق

فيها إلى حين ، إننى راعب أتمنى إلى طائفة كريمة ، وقد جئت
أخيراً من رومة في مهمة خاصة تدبى لها صاحب القداسة
البابا .

: وما أخبار العالم خارج هذا البلد ؟

إسكالس

: ما من خبر إلا أن حمى الفضيلة قد استعرت استعاراً لا شفاء

الدوق

لها منه إلا بموتها . ولم يعد للناس من شاغل إلا السعى وراء

كل جديد . وإن من الخطر أن يداوم المرء على سنة واحدة لا يتحول عنها قط ، كما أن من الفضيلة أن يثبت على أى عمل يضطلع به . ولم يبق في الدنيا من الحق الذى يحفظ على الجماعات أمنها وسلامتها إلا القليل النادر ، ولكن فيه من الضمانات إلى عهود الصداقة ما يجعل الصداقات لعنة من اللعنات . وإن ما في العالم من حكمة يجرى على هذا النحو من الأنغاز والغموض . هذه أخبار قديمة غاية في القدم ، ومع ذلك فهي أخبار كل يوم . بالله يا سيدى خبرنى كيف كانت حال الدوق ؟

إسكالمس : كانت حاله حال من يضع جهاده في سبيل معرفة نفسه خاصة فوق كل جهاد .

الدوق : ترى أية متعة أخلد إليها ؟

إسكالمس : متعة من يرى أن سرور غيره أحب إليه من أى شيء يجلب إلى

نفسه السرور . إنه رجل فاضل أخذ نفسه بالاعتدال في كل الأمور . ألا فلنتركه لشونه ، وحسبنا أن نبتهل إلى الله أن يكتب له التوفيق فيها ، واسمع لى أن أسأل عن كلوديو وكيف تهيأ للقاء الموت ، فقد أنبت أنك تفضلت عليه بالزيارة .

الدوق : إنه يقول إن قاضيه لم يجر عليه في الحكم ، وهو يستسلم لحكم القضاء بنفس راضية ، ولكن ضعف النفس البشرية قد زينت له التعلق بكثير من آمال الحياة الكذاب ، وقد

استطعت بفضل ما اتسع لى من وقت ، أن أبصره بحقيقة هذا
السراب فأصبح الآن مستعداً للقاء الموت .

إسكالس : لقد أديت واجبك نحو الله ، ووفيت للسجين بالدين الذى
فرضته عليك رسالتك المقدسة . ولقد جاهدت فى سبيل هذا
السيد المسكين إلى أقصى ما تبيحه لى حدود الحشمة والوقار .
ولكنى آنت فى زميل القاضى من الصرامة ما دفعنى إلى
القول له بأنه حقاً مثال للعدالة .

الدوق : إذا كانت حياته الخاصة تمشى مع استقامته فى تصريف أمور
الناس فأنعم به وأكرم . أما إذا قدر له أن يزل ويضعف فقد
حكم على نفسه بنفسه .

إسكالس : إنى لذهاب لزيارة السجين . أستودعك الله .

الدوق : سلام الله عليك !

(إسكالس والحافظ يدخلان السجن)

إن الذى يحمل سيف السماء يجب أن تكون طهارته فى مثل
صرامته وأن يجعل نفسه مثلاً للناس حتى يعلم كيف يجب أن
تكون الرحمة ، وأى طريق يجب أن تسلكه الفضيلة . وأن
يحاسب الناس على ذنوبهم بمثل ما يحاسب به نفسه على ذنوبه
بلا زيادة أو نقصان . ولبئس الرجل يبور فى حكمه جوراً
فيقتل الناس بذنوب يطيب له أن يتردى فيها ! وليخسأ أنجلو
ثم ليخسأ ويخسأ ، يستل رذيلة غيره ويمد الحبل لرديلته هو !

ألا ما أكثر ما يظن الإنسان من الشر وإن ظهر في ثياب
 الملائكة ! وما أكثر ما يرتكبه من الجرائم من يتشبهون بغيرهم
 ويظهرون على غير حقيقتهم ويخادعون الزمان بأفعالهم فتسج
 من خيوط العنكبوت الواهنة شباكاً تطوق بها أكبر الأشياء
 وأجلها شأناً ! ألا فلأسلط الدهاء على الرذيلة . إن أنجلو
 سيفضاجع الليلة خطيبته التي يبغضها . وهكذا يلقي المخادع على
 يد المخدوع ختلاً يجازيه على ما أخلف من وعد ويستنجزه
 مانكث به من عهد قديم .

(ينصرف)

الفصل الرابع

المشهد الأول

حديقة البيت الربيعى الذى يكتنفه خندق - ساعة متأخرة من العصر

(ماريانا جالسة ومعها غلام)

الغلام : (يغنى) أبعدى بالله عنى هاتين الشفتين ، أبعديهما فما أعذبها
من ناكرتين للعهود والمواثيق ، وهاتين العينين تسطعان كفلق
الصبح فتضللان بأنوارهما ضوء النهار . ولكن ردى إلى
قبلاقى ، ردى إلى قبلاقى ، فقد ضاعت عهود الحب وولت
كأنما لم يكن لها وجود .

(يدخل اللوق إلى الحديقة متخفياً كما كان من قبل)

ماريانا : (تنهض) ألا فلتكف عن غنائك وعجل بالانصراف فها هوذا
رجل العزاء والسلوى قد أقبل ولطالما هذأ بنصحته ومشورته نار
السخط تضطرم فى قلبى

(يدخل الغلام فى البيت)

أسألك المغفرة يا سيدى ، وكم كنت أود ألا تجدى هنا على
هذه الحال وقد استخفى الطرب لسماع الموسيقى ، فاعذرني
وصدقني إذا قلت لك إنها لم تفعم قلبى بالمرح ولكنها خفت

من أشجاني .

الدوق : أصبت وإن كانت الموسيقى كثيراً ما يكون لها من السحر ما يجعل الشر خيراً ، ويدفع الخير إلى الإضرار بالناس .
خبري بالله ألم يسأل عنى أحد هنا اليوم ؟ فقد تواعدت مع شخص أن ألقاه قرابة هذه الساعة .

ماريانا : لم يسأل عنك أحد بعد ، ذلك أننى لم أبرح مكافى هذا طول اليوم .
(تدخل إيزابلا)

الدوق : إنى أثق فيك كل الثقة ، وقد حان حين موعدى ، فهلا تفضلت فتتحيث عن هذا المكان قليلا ، ولربما دعوتك بعد حين لشأن فيه مصلحتك .
ماريانا : إنى رهن إشارتك دائماً .
(تدخل ماريانا البيت)

الدوق : (محاطباً إيزابلا) لقد جئت فى وقتك فرحياً بك . ما أخبار هذا .
النائب الفاضل ؟

إيزابلا : إن للنائب حديقة مسورة بالآجر يكتنف جانبها الغربى من الخلف كرمه دونها باب من ألواح الخشب يفتح بهذا المفتاح الكبير ، أما هذا المفتاح الآخر فبيمين على باب صغير يؤدى إلى الحديقة عن طريق الكرمه . وقد وعدته أن أزوره هناك فى منتصف الليل .

الدوق : ولكن ، هل تستطيعين أن تهتدى إلى الطريق معتمدة على

معرفتک به ؟

ایزابلا : لقد بذلت فی ذلك ما ينبغي من يقظة والتفات ، فقد دلتني على الطريق مرتين وهو يهمس بالكلام ويتحسس سبيله ومنحنياته بيده تحسس المذنب العريق .

الدوق : ألم تتفقا على علامات أخرى يجب عليك أن تهتدي بها ؟

ایزابلا : كلا ، لم نتفق على شيء من ذلك قط اللهم إلا أن نلتقي في الظلام ، وقد أبلغته بأن مقامي لا بد أن يكون قصير الأمد ، ذلك أنني أنبأته بأن خادماً ستصبحني وتنتظرنني ، وهي تعتقد أنني جئت أقبله في شأن يخص أخى .

الدوق : لقد أحسنت صنعا . وإنني لم أنبئ ماريانا بحرف واحد من

هذا السر - عجباً ؟ من بالداخل ! تعال !

(ماريانا تعود)

أرجوك أن تتعرفي بهذه الفتاة فقد جاءت لأمر فيه مصلحتك .

ایزابلا : وهذه هي رغبتى .

الدوق : هل أنت واثقة أنني أعمل لحريك ؟

ماريانا : أيها الراهب الصالح ، إنني أعرف فيك هذا ، وقد تبينته

الدوق : خذى إذن بيد رفيقتك هذه ، فإن في جعبتها قصة تود أن تلتقي

بها إلى سمعك ، وسأنتظر حتى تعودا ، ولكن عجلاً فقد آن

للليل المرطوب أن يرخي سدوله .

ماريانا : هلا تفضلت بأن تتحنى ناحية ؟

(نخرجان)

الدوق : إيه أيها المنصب ، وإيه أيها الجاه ! إن ملايين العيون ترقبكما بنظراتها الضالة ، وتتعقب فعالكما جحافل من الشائعات تسير في ركب من الإفك والتجسس بشتى أنواعه . إن ألف شطحة من الشطحات التي تجمع بها أفكار الناس تجعلكما مسئولين عن أحلامهم الفارغة وتشقيكما بما يراود هذه الأفكار من أوهام وخيالات .

(تعود ماريانا وإيزابلا)

مرحى بكما ، وعلام اتفقتما ؟

إيزابلا : لقد قبلت أن تأخذ على عاتقها تنفيذ الخطة يا أبت إن ارتضىته أنت .

الدوق : إني لا أرتضيه فحسب بل أتمس منها أن تفعله .

إيزابلا : ما عليك عندما تغادرينه إلا أن تقولى له في صوت رقيق خافت « تذكر الآن أخى » .

ماريانا : لا تخشى على شيئاً .

الدوق : وأنت يا ابنتى الرقيقة لا تخشى شيئاً قط فإنه زوجك بسابق العقد ، والثام شملكما على هذا النحو لا معصية فيه لأن حقك في الانتساب إليه يبرر الخديعة . فهيا وللمض لشأننا ولنبذر الحب في الأرض البور قبل أن نحصد منها قمحاً .

(ينصرفون)

المشهد الثاني

غرفة الحراس في السجن ، بابان ، أحدهما يفتح على ساحة السجن
والآخر يؤدي إلى غرفة المساجين - منتصف الليل
(بدخل المحافظ وفي أعقابهم يومي)

المحافظ : (يجلس) إذن منى يا سيدى ، أنتستطيع أن تقطع رأس رجل ؟

يومي : أنتستطيع يا سيدى إذا كان الرجل أعزب ، أما إذا كان متزوجاً

فإن رأسه لا يكون رأسه هو بل رأس زوجته ، وأنا لا أستطيع
أن أقطع رأس امرأة .

المحافظ : الزم الجلد يا سيدى ، ودعنى من نكاتك ، وأجبنى إجابة

صريحة ، فإن كلوديو وبارناردين سيفخذ فيهما حكم الإعدام

في صباح الغد . ولدينا هنا في السجن جلاّد عام يحتاج في

قيامه بعمله إلى مساعد . فإذا تعهدت بمساعدته تخلصت من

أغلالك وإلاّ قضيت في السجن جميع المدة التي حكم بها

عليك ، ولا يطلق سراحك إلا إذا جلدت في غير رحمة

لأنك كنت قوّاداً سيّئ السمعة قبيح الصيت .

يومي : لقد كنت يا سيدى قوّاداً خارجاً على حدود الشرع منذ زمن

لا تعب ذاكرتى ، على أنه يطيب لى أن أغدو جلاّداً يرضى عنه

الشرع . ويسرنى أن ألتقى شيئاً من العلم بالصنعة على يد

زميلي .

المخاطب : (يشخص إلى الباب وينادي) أنت يا من هناك ! أبورسن ! ترى أين يكون أبورسن !

(يدخل أبورسن)

أبورسن : أتناديني يا سيدى ؟

المخاطب : هاك يا سيدى رجلاً سيعاونك غداً فى تنفيذ حكم الإعدام ، فاتفق معه على أن يعمل معك مسانئة إذا رأيت فى ذلك مصلحة ، ودعه يقيم معك هنا ، وإلا فاستخدمه هذه المرة ثم سرحه ، وهو لا يستطيع أن يحتج بأنه اكتسب سمعة سيئة بالعمل معك ، فإنه كان قواداً .

أبورسن : قواداً يا سيدى ؟ ألا لعنة الله عليه فإنه ميشين مهتنا .
المخاطب : حسبك يا سيدى فإن كفتيكما متعادلتان حتى أن الريشة لكفيلة بترجيح إحدى الكفتين .

(يخرج)

بورمي : بالله خبرنى يا سيدى ، وأنت الرجل المصحح الكرم ، ولا شك يا سيدى فى أن وجهك وجه سمح كريم وإن كانت نظراتك تنم عن حب للشئ ، أو تسمى عملك مهنة ؟
أبورسن : أجل يا سيدى هو مهنة .

بورمي : لقد سمعت يا سيدى أن صبيغ الوجوه مهنة ، والعاهرات يا سيدى وهن من أرباب صنعتنا ، يصبغن وجوههن فيشبتن من ذلك أن صنعتنا مهنة . ولكننى لا أستطيع أن أنجيل أن

الشنق مهنة ، وإن شنقت أنا نفسى .

: سيدى ، إنها مهنة .

أبهورسن

: وما برهانك ؟

يومى

: إن حلة أى رجل تُؤاتم اللص .

أبهورسن

: فإن كانت أضيق من أن تتسع للصوص ظنها الرجل الشريف

يومى

واسعة فضفاضة ، وإن كانت أوسع من اللص ظنها اللص

أصغر من أن تتسع له ، وهكذا تُؤاتم اللص حلة كل رجل

شريف .

(يعود المحافظ)

: هل اتفقتما ؟

المحافظ

: أجل ياسيدى سأخدمه ، فإنى أجد أن مهنة الجلاد أحق

يومى

بالتوبة من مهنة القواد ، ذلك أن الجلاد أكثر طلباً

للمغفرة^(١) .

: عليك يا هذا أن تزود بنطعك وبلطتك فى الرابعة من صباح

المحافظ

الغد .

: هلم أيها القواد ، فسأعلمك مهنتى ، اتبعنى .

أبهورسن

: إنى لمشوق إلى التعلم ياسيدى ، وأرجو أن تجدنى رهن

يومى

إشارتك إذا عن لك يوماً أن تنتفع بى . لأن لك ياسيدى فى

(١) كان من عادة الجلاد أن يطلب الصفح من المجرم قبل أن يشنقه أو يقطع رأسه .

عنق معروفاً حقاً يقتضيني أن اردّ لك ما أسديت من جميل .

: على بERNARDIN وكلوديو .

المحافظ

(يخرج أبورسن ويومي) .

إني أرتي لحال أحدهما ولا أرتي مقدار خردة لحال الآخر ،

ولو كان أخى ، ذلك لأنه قاتل

(يدخل كلوديو) .

انظر يا كلوديو ، هاك أمر القاضى بإعدامك ، وها هوذا الليل

قد انتصف تماماً ، ويجب ألا نحل الساعة الثامنة من صباح

الغد حتى تكون فى عداد الأموات^(٢) أين بERNARDIN ؟

: لقد راح فى سبات عميق كأنه المسافر أضناه السعى البرىء

كلوديو

حتى هدّ كيانه فاستلق بلا حراك ، ولا يريد أن يفيق .

: ومن ذا الذى يستطيع إصلاح حاله ؟

المحافظ

هلم اذهب واستعد .

(يسمع طرق من الخارج)

ولكن اصغ ! ترى ما هذا الصوت ؟ أسأل الله أن يتزل

السكينة على قلوبكم .

(كلوديو يدخل السجن ويشند الطرق لينفض المحافظ)

إني مدركك حالاً أيها الطارق ، وأرجو أن تكون قد جئت

(٢) فى الأصل immortal ولكنه يعنى بالطبع dead .

بعفو عن كلوديو الحلو الشمالك ، أو أمر بإرجاء تنفيذ الحكم فيه .

(يفتح الباب الخارجى ويدخل الدوق متخفياً)

مرحباً يا أبت

الدوق : ألا فلتحطك أفضل أرواح الليل وأطهرها أيها المحافظ الصالح

من الذى جاء إلى هنا أخيراً ؟

المحافظ : لم يأت أحد مذ قرع جرس النذير .

الدوق : ولا إيزابلا

المحافظ : ولا هى

الدوق : سيوزورونك إذن فى القريب العاجل .

المحافظ : وهل من شىء تطيب به نفس كلوديو ؟

الدوق : إن ثمة أملاً .

المحافظ : يا له من نائب صارم !

الدوق : ليس الأمر ما تقول ، ليس الأمر ما تقول ، فإن حياة النائب

لتناسب وقضاءه النافذ وما اختطه لنفسه من شدة فى الحق ،

فهو يكبح بتقشفه وزهده ما فى نفسه من شهوات يستلها من

نفوس الناس بسطوته وسلطانه . ولو أن فيه من المعايير

ما يسعى إلى تقويمه فى الناس لكان طاغية مستبدّاً . أما والأمر

كما ذكرت فإنه رجل عادل . . ها هم أولاء قد أقبلوا .

(يسمع طرق آخر ، ويدخل المحافظ إلى السجن)

إن هذا المحافظ رجل وديع مهذب ، ويندر أن يكون السجان
الغليظ القلب صديقاً للناس .

(الطرق يشند ويشند)

عجباً ! ما هذه الضوضاء ؟ إن ذلك الذى يوهن الباب
الحلقى الصلد بضرباته لشخص تملك روحه العجلة .

(الحافظ يعود)

الحافظ : يجب أن يبقى هناك حتى ينهض الضابط فيدخله ، وهم الآن
يستدعون .

الدوق : ألم يصلك بعد أمر ينقض الأمر الأول الخاص بكلوديو ؟
أليس ثمة مفر من أن يموت غداً ؟

الحافظ : لم يصلنى شيء يا سيدى ، لم يصلنى شيء .

الدوق : لقد أوشك الفجر أن يطلع أيها المحافظ ، ومع ذلك فسيأتيك
نبأ آخر قبل أن ينبلع الصبح .

الحافظ : لعلك تعرف أمراً ، ولكنى أعتقد أنه لن يأتى أمر ينسخ
الأول ، فإننا لم نألف حدوث شيء من هذا القبيل ، ثم إن
اللورد أنجلو قد جهر فى مجلس القضاء نفسه بعكس ما تقول .
(بدخل رسول)

هذا هو رسول اللورد .

الدوق : وها هوذا أمر العفو عن كلوديو .

الرسول : (يسلم كتاباً) لقد بعث مولاى اللورد بهذه الرسالة إليك ،

وحملنى أيضاً هذا التكليف بألا تحيد قيد أنملة عما جاء بها
سواء من حيث الزمان أو المضمون أو غير ذلك من الظروف .
عم صباحاً ، فإن النهار فيما يبدو لى قد أوشك أن يطلع .
(يتصرف الرسول)

: سأمثل لأمره .

المحافظ

(يقرأ الخطاب)

: (بينه وبين نفسه) هذا هو العفو عنه ، وكان ثمنه معصية اقترفها
صاحب العفو نفسه . وهكذا تنتشر الجريمة بسرعة إذا
ما ارتكبتها صاحب السلطان . وإذا صدرت الرحمة عن
الرذيلة ، فاضت هذه الرحمة حتى ليصادق الناس المجرم من
أجل الجريمة . إيه يا سيدى ما الأخبار ؟

الدوق

: إن القول ما قلت لك ، ولعل اللورد أنجلو قد ظن أننى أهمل
فى القيام بواجب منصبى ، فأراد أن يستحشى بهذا التنبيه
الذى لم يكن له ما يبرره . وإنى لأرى أن ذلك غريب منه
لأنه لم يفعله معى من قبل .

المحافظ

: أرجوك أن تتلو على مسامعى رسالته .

الدوق

: (يقرأ) «اعمل على إعدام كلوديو فى الساعة الرابعة ، وإعدام
برناردين بعد الظهر مهما بلغك من أوامر تخالف ذلك . وإذا
شئت أن ترداد حظوتك عندى فابعث إلى برأس كلوديو قبل
أن نحل الساعة الخامسة . وعليك بتنفيذ ما أمرتك به على خير

المحافظ

وجه ، واعلم أنه يترتب على ذلك أمور كثيرة لست في حل من أن أفضي بها إليك الآن . فلا تهمل في أداء واجبك ، وإلا عرضت حياتك للهلكة .
فما قولك في ذلك يا سيدى ؟

الدوق : ومن يكون برناردين هذا الذى يجب إعدامه بعد الظهور ؟
الحافظ : رجل متحرر بالفطرة من كل قيد ، ولكنه نشأ هنا وترعرع ، فقد قضى في السجن تسع سنين .

الدوق : وكيف اتفق أن الدوق الغائب عنا لم يطلق سراحه أو يقض بإعدامه ؟ لقد سمعت أن هذا كان وكده وديده .

الحافظ : لا يزال أصدقاؤه يستمهلون تنفيذ الحكم فيه ، والحق إن جريمته لم تثبت إلى الآن ثبوتاً قاطعاً حتى في عهد حكومة أنجلو .

الدوق : وهل ثبت الآن ؟

الحافظ : قد ثبتت ثبوتاً لا شك فيه ، ولم ينكرها هو نفسه .

الدوق : وهل أظهر الندم في السجن ؟ وإلى أى حد بدا أنه تأثر به ؟

الحافظ : إنه رجل لا يهاب الموت بأكثر مما يهاب أن يتام مخموراً ، فهو مهمل مستهتر ، لا يخشى الماضى ولا الحاضر ولا المستقبل ، ولا يابى بالحياة ولا يبالي بمصيره إذا مات .

الدوق : إنه في حاجة إلى النصح .

الحافظ : لقد صم أذنيه عن كل نصح ، وظل يمرح في السجن ،

ولو قد خلى بينه وبين الحرب لما فعل . وهو قد دأب على الشراب عدة مرات كل يوم ، بل كان يمضى أياماً عدة غملاً لا يفيق . وكثيراً ما كنا نوقفه من غفوته ونوهمه بأنه يساق إلى الإعدام ، ونطلعه على أمر زائف بإزهاق روحه فلا يتأثر بذلك مطلقاً .

الدوق : سنعود إلى سيرته بعد قليل . إن الأمانة والوفاء لمخطوطان على جيبينك أيها المحافظ . فإن أنا لم أستطع أن أقرأهما حق القراءة فإن مهارق الأولى تكون قد خانتني . ولكن ثقتي في حسن تدبيرى تدعوني إلى أن أكشف عن دخيلة نفسى مع ما فى ذلك من مجازفة . إن كلوديو الذى تلقيت أمراً بإعدامه لم يجرم فى حق القانون أكثر مما أجرم أنجلو الذى أصدر الحكم عليه ، وإني إذ أجعلك على بينة من هذا الأمر لأطلب منك مهلة قدرها أربعة أيام فقط فتؤدى لى بذلك خدمة عاجلة وخطرة فى آن واحد .

المحافظ : أرجوك يا سيدى أن تفصح بأى شىء أخدمك ؟
الدوق : بتأجيل الإعدام .

المحافظ : وآسفاه ، وكيف يتأتى لى ذلك ، وقد حددت ساعة الإعدام وصدر لى أمر صريح بأن أرسل رأس كلوديو إلى أنجلو ليراه وهددت بالعقاب إن أنا خالفت هذا الأمر ؟ وقد أتعرض لمثل ما يتعرض له كلوديو إذا أنا خالفت حرفاً واحداً مما أمرنى به

أنجلو .

الدوق : قسمًا بالعهد الذى عهدت عليه طائفتى لأكفلن لك السلامة

إذا اتخذت ما أوصيك به مرشداً لك . ألا فلتعمل على إعدام
برناردين فى هذا الصباح ، ثم ابعث برأسه إلى أنجلو .

المحافظ : لقد رأى أنجلو الشخصين ، ولا شك أنه سيعرف وجهه .

الدوق : عجباً لك ، إن الموت ليغير سحنة المرء تغييراً عظيماً ، وفى

وسعك أن تضيف شيئاً من عندك . أخلق شعر رأسه وشذب

لحيته وقل إن المذنب قد رغب فى أن يلقى الموت حليقاً ،

وأنت تعلم أن العرف جرى بهذا ، فإن أصابك من جرائه

شئ غير الحمد والعطايا الجزيلة قسمًا بالقديس الذى نذرت

نفسى له لتكونن حياق فداء لك .

المحافظ : عفوك أيها الأب الصالح ، فإن فيما تطلب حثاً بقسمى .

الدوق : وهل أقسمت بيمين الولاء للدوق أو لنائبه ؟

المحافظ : أقسمت للدوق ونائبه .

الدوق : ألا تظن أنك لا ترتكب إثماً إذا أيد الدوق عدالة تصرفك ؟

المحافظ : ولكن أى احتمال ينطوى عليه قولك هذا ؟

الدوق : إنه ليس احتمالاً بل يقيناً . على أنى إذ أراك وجلاً حتى عزّ

على أن أستميلك فى يسر بمظهرى واستقامتى وحججى فإنى

سأجاوز الحد الذى رسمته لنفسى لأنتزع من نفسك كل

ما ساورها من مخاوف . انظر يا سيدى ، هاك خط الدوق

وخاتمته ولا شك عندى فى أنك تعرف كتابته ، وليس خاتمه
بالغريب عليك .

: إني أعرفهما جميعاً .

المحافظ

: إن مضمون هذه الرسالة ينبئنى بعودة الدوق . وسوف تقرأها
من فورك كما يحلو لك فتبين أن الدوق سيعود فى خلال
يومين ، وهذا الأمر لا يعلمه أنجلو ، ذلك أنه سيتلقى فى يومنا
هذا رسائل فيها أنباء عجيبة ، بعضها يزعم أن الدوق قد
مات ، وبعضها يقول إنه دخل ديراً من الأديرة ، على أنه لم
يقع شيء مما ورد فى هذه الرسائل . انظر ترى نجم الصبح قد
ظهر ينادى الراعى ، ولا يأخذنك العجب لوقوع هذه
الأحداث ، فكل صعب يهون إذا عرف أمره . فناد جلاذك
وأطح برأس برناردين . وإني لذهاب من فورى لأعده
للموت وأهديه إلى حياة هى خير وأبقى . على أنك لازلت على
عجبك ، ولكن هذا من شأنه أن يقضى على شكوكك قضاء
مبرماً . هيا بنا فقد أوشك الفجر أن يطلع .

الدوق

(بجرجان)

المشهد الثالث

حجرة أخرى في السجن

(يدخل يومي)

يومي : إني لمعروف هنا حق المعرفة كما كنت معروفاً في البيت الذي كنا نمارس فيه مهنتنا ، حتى لأحسب أنني في دار السيدة أو فردين نفسها ، ذلك أنني أرى هنا كثيراً من زبائنها الأقدمين ، أرى أولاً السيد الشاب الطائش الذي حلّ في السجن ، لأنه عجز عن الوفاء بسلعة من الورق الأسمر^(٣) والزنجبيل الفاسد ثمنها سبعة وتسعون ومائة جنيه لم يقبض منه إلا ثلاثة جنيهات وستة شلنات وثمانية بنسات . والحق إن الزنجبيل لم يكن بضاعة رائجة لأن المنية كانت قد أدركت النسوة العجائز جميعاً . وأرى أيضاً السيد المرح الذي ألقى به في السجن على إثر دعوى أقامها عليه تاجر الحرير الفارق في

(٣) يرى بعض النقاد أن عبارة brown paper يمكن أن تستبدل بها عبارة black peper أى الفلفل الأسمر . ولكن أغلب النقاد يفسرون هذه العبارة على ضوء القانون الذي كان قائماً في ذلك العهد والذي كان يحدد الفائدة على القروض بعشرة في المائة . وقد درج الدائنون على التحايل على هذا القانون فكانوا يلزمون المقرض بالآيكتي بأن يأخذ القرض نقداً ، بل يشتري إلى جانبه بضاعة لا قيمة لها كالورق الأسمر والزنجبيل وغير ذلك .

المحمل النفيس وفاةً لمن أربع حلال أو نحوها من الأطلس
 الخوخى اللون ، وهو الآن يقاضيه على فقره واستجدائه .
 وأرى السيد الأحقق الشاب ، والسيد العاشق الحديث
 السن ، والسيد المتكبر ، والسيد الخادم الجائع رب السيف
 والخنجر ، وأرى الشاب المبذر الذى قتل الرجل البدين
 القوى ، والسيد المقدام المناجز ، والسيد الجوّاب الجرىء ،
 والرحالة العظيم ، والسيد القصير الهمجى الذى طعن
 القدور ، بل إنى لأظن أنه يوجد عدا هؤلاء أربعون شخصاً
 آخرون كلهم من كبار زبائننا ، وقد أضحوا الآن يتسولون
 ويقولون « الله » ^(٤) !

(يدخل أبورسن)

أبورسن : يه يا هذا ، انت برناردين إلى هنا .

بومي : (يفتح الباب المؤدى إلى غرف المساجين) يا سيد برناردين لقد حق

عليك أن تنهض لتشقى يا سيد برناردين !

أبورسن : أنت يا برناردين !

برناردين : (من الداخل) ألا فلتغص حلوقكم بالطاعون ! من أولاء الذين

يوضوئون هناك ؟ ومن أنتم ؟

بومي : أصداؤك ياسيدى - الجلاد . فهلا تفضلت ياسيدى

ونفضت لتقتل .

(٤) كانت هذه صرخة المدينين وهم فى السجن يسألون المارة الصدقات .

برناردين : إليك عني أيها الوغد ، إليك عني ! فإن الكرى يأخذ بمعاقد أجفاني .

أهورسن : قل له إن عليه أن يستيقظ ، وأن يستيقظ سريعاً .
يومي : أتوسل إليك يا سيد برناردين أن تستيقظ حتى تعدم ثم نم بعد ذلك .

أهورسن : اذهب إليه واث به .
يومي : إنه قادم يا سيدي ، إنه قادم ، وإني لأسمع حفيف قش فراشه .

(يدخل برناردين وهو يغرنح)

أهورسن : هل البطلة على النطم يا هذا ؟
يومي : إنها على أتم استعداد يا سيدي .
برناردين : (وهو يرت على كفه) كيف حالك يا أهورسن ؟ وما وراءك ؟
أهورسن : تالله يا سيدي إني لأرجو أن تعمد إلى الصلاة ، فهناك الأمر قد أتى .

برناردين : أيها الوغد ، لقد قضيت الليل بطوله في الشراب ولست مستعداً لما تقول .

يومي : عجباً يا سيدي ! هذا خير لك ! فإن من يشرب طول ليله ثم يشق في الصباح الباكر لخلق بأن يستغرق في النوم سحابة اليوم التالي .

(يدخل الدوق متخفياً)

أهورسن : انظر يا سيدى ، ها هوذا أبوك المقدس قد أقبل . أوتظن أننا لا نزال نمزح ؟

الدوق : بلغنى يا سيدى أنك مزع الرحيل على عجل ، فأتيت إليك مدفوعاً بعاطفة البر لأعظك وأنزل السكينة على قلبك وأصلّى معك .

برناردين : أيها الراهب ما أنا براحل ، فقد أدمنت الشراب طول الليل ، ولا بد لى من فسحة من الوقت أنهيها فيها للرحيل وإلا حطموا رأسى بالهراوات . وما من شك فى أننى لن أرضى بالموت اليوم .

الدوق : عجباً يا سيدى ، لا مناص من موتك ، فأرجوك أن تنهيًا للرحلة التى أنت مقدم عليها .

برناردين : إني لأقسم أننى لن أموت اليوم ، وهيات أن يستميلنى إلى ذلك أحد .

الدوق : ولكن اسمع . .

برناردين : ولا كلمة ، وإذا كان لديك ما تقوله لى فتعال إلى غرفتى فلن أبارحها فى يومى .

(يتصرف) - (يدخل الخلف)

الدوق : لا يصلح للحياة ولا للموت . يا القلب قدّ من صخر ! عليكما به يا صاحبي . واثنيا به إلى النطع .

(أهورسن وبومى يتبعان برناردين)

- الحافظ** : وبعد يا سيدى فكيف وجدت السجين ؟
- الدوق** : مخلوق لم يتها للموت ولا هو يصلح له ، وحرام أن نبعث به إلى العالم الآخر بالحالة النفسية التى هو عليها الآن .
- الحافظ** : لقد حدث هنا فى السجن يا أبت أن قضت حمى شديدة على رجل يدعى راجوزين ، وهو قرصان بلغ الغاية فى سوء السمعة وسنه فى مثل سن كلوديو ، ولون شعره ولحيته كشره ولحيته سواء بسواء فإذا علينا لو تغاضينا عن هذا الشق حتى تنهيا نفسه تماماً للقاء الموت وأرضينا نائب الحاكم فحملنا إليه وجه راجوزين وهو أكثر شبهاً بوجه كلوديو ؟
- الدوق** : تالله إنها عناية السماء قد ساقط لنا هذا الحادث ، فابعث برأسه من فورك ، فإن الأجل الذى ضربه أنجلوبات قريباً . اعمل على تنفيذ ذلك وابعث بالرأس إليه امتثالاً للأمر الصادر إليك ربمّا أقنع هذا الجلف التعس بقاء الموت راضى النفس .
- الحافظ** : سيتم ذلك أيها الأب الصالح على الفور ، على أن برناردين يجب أن يعدم بعد ظهر اليوم . وماذا نفعل لنبقى على كلوديو بحيث أتجنب الخطر الذى قد أتعرض له لو ذاع أمر وجوده على قيد الحياة ؟
- الدوق** : افعل هذا الذى أقوله لك ! ضع برناردين وكلوديو جميعاً فى غرفتين خفتين ولسوف تبين سلامتك قبل أن تدور الشمس

دورتين من دوراتها اليومية الذى تحبى به أهل النصف الآخر
من الكرة الأرضية .

: إننى خادمك المطيع .

المخافظ

: هلم وعجل بإرسال الرأس إلى أنجلو

الدوق

(ينصرف المخافظ ويجلس الدوق إلى منضدة ويكتب)

سأكتب الآن رسائل إلى أنجلو يحملها المخافظ معه ، وسينبئه
فحواها بأننى قريب من الديار وأن ثمة بواعث قوية تحملنى
على دخول المدينة جهاراً . وسأفصح له عن رغبتى فى أن
يلقانى عند النبع المقدس على مسيرة فرسخ إلى الجنوب من
المدينة ، ومن ثم نتولى أمره برفق وروية مع المحافظة على
المظاهر .

(يعود المخافظ حاملاً سلة)

: هاك الرأس ، وسأحملة بنفسى .

المخافظ

: حسن تفعل ، وعجل بالعودة ، فإنى أود أن أفضى إليك
بأمور لا ينبغي أن يسمعها سواك

الدوق

: سأعجل ما وسعنى الجهد .

المخافظ

(ينصرف)

(صوت من الداخل) ألا فليحل السلام فى هذا المكان !
: إنه صوت إيزابلا ، وقد جاءت لتبين هل وصل أمر العفو عن
أخيها إلى هنا . ولكننى سأخفى عنها الأمر الذى فيه سعادتها

الدوق

حتى يتزل على قلبها الخبر بعد يأس برداً وسلاماً وهي أبعد
ما تكون عن توقعه .

(يستمّر في الكتابة)

(تفتح إيزابلا الباب وتدخل)

إيزابلا : إيه يا سيدى ، سألتك المَعذرة !

الدوق : صُبِّحت بالخير يا ابنتى المليحة الكريمة .

إيزابلا : أنعم به من صباح يتمناه لى رجل فى مثل قداستك ، ترى هل

بعث نائب الحاكم بأمر العفو عن أخى ؟

الدوق : لقد أراحه يا إيزابلا من هذا العالم ، فقد أطيح برأسه وحمل
إلى أنجلو .

إيزابلا : حاشا لله ، ولعل الأمر خلاف ما تقول .

الدوق : بل هو ما أقول بلا خلاف ، فأظهرى حكمتك يا ابنتى بالصبر
والجلد الشديد .

إيزابلا : أواه ، إنى لذهابة إليه لأنترع منه عينيه ،

الدوق : لن يسمح لك بالمثل أمام ناظرية .

إيزابلا : ما أتعسك يا كلوديو ! وما أشقاك يا إيزابلا ! وما أظلمك

يا دنيا ! وما ألعنك يا أنجلو !

الدوق : ليس هذا بضارّه شيئاً ، ولا هو عائد عليك بأية منفعة فكُفّى

عما أنت فيه إذن ، وأسلمى أمرك لله ، وخذى عنى ما أقول ،

وستلمسين الصدق فى كل حرف من كلامى ! إن الدوق

سيعود غداً إلى الوطن ، أجل سيعود ، فكفكفى دمعك ،
وقد أنبأني بنجر عودته أحد رهبان طائفتي ، وهو القس الذي
يعترف الدوق بين يديه ، وقد بلغ هذا الخبر إلى إسكالس
وأنجلو ، وهما يتأهبان للقاءه عند باب المدينة ليسلماه مقاليد
الحكم الذي وكلهما به . فإن استطعت أن تلزمي جانب
الحكمة وتسيري في ذلك الطريق القويم الذي أود لك أن
تسلكيه فافعل ، ولسوف تشفين نفسك من هذا الشق وتنالين
رضا الدوق ، وتروين غليل انتقامك . وتردّين شرفك أمام الناس .

: لقد أسلمت زمام أمري إليك .

إيرابلا

: فلتحملي إذن هذه الرسالة إلى الراهب بطرس فإنه هو الذي
بعث إليّ ينبئني بعودة الدوق . وقولي له مستشهدة بهذه
الأمانة ، بأنني ملاقيه في منزل ماريانا الليلة ، وسأطلعه على
قضيتك وقضية ماريانا جملة وتفصيلاً ، وهو الذي سيدبر
لك أمر المثل بين يدي الدوق لتصبي على رأس أنجلو التهم
وتضيق عليه الخناق . أما عن شخصي الضعيف فإني مرتبط
بعهد مقدس ولن أحضر مجلسه . فامض بهذا الخطاب
واحسبي دموع الغيظ التي تنهمر من عينيك بقلب خال من
المهوم والأفكار . ولتفقدى الثقة بالرهينة المقدسة التي أنتمى
إليها إذا أنا أضللتك عن طريقك - من القادم ؟

الدوق

(يدخل لوشيو)

- لوشيو : طاب مساؤك أيها الراهب ، أين المحافظ ؟
- الدوق : ليس هنا يا سيدى .
- لوشيو : يه أيها المليحة إيزابلا ، إن قلبى لينفطر إذ أرى عينيك يعلوها كل هذا الاحمرار . ألا فلتجمل بالصبر ، وإنى لأقنع من غدائى وعشائى بالماء والنخالة خشية أن يلهب رأسى إذا امتلأت معدتى ، وإن أكلة واحدة طيبة لخليقة بأن تخرجنى عن وعيى . على أنهم يقولون إن الدوق سيعود غداً . تالله يا إيزابلا إنى كنت أحب أخاك . ولو كان الدوق الغريب الأطوار حاضراً ، وهو الذى ألف أن يلوذ بالأركان المظلمة ، لكبت لأخيك الحياة .
- (إيزابلا تنصرف)
- الدوق : إن أقوالك يا سيدى لا تنطبق على الدوق إلا فى القليل الذى لا يؤبه له ، بل إنه لحسن الحظ برىء مما تنعته به من صفات .
- لوشيو : إنك أيها الراهب لا تعرف الدوق عن ثقة كما أعرفه أنا ، فهو أطول باعاً فى الصيد والقنص مما تحسب .
- الدوق : على رسلك ، وستسأل عن ذلك يوماً . أستودعك الله .
- (يهم بالانصراف)
- لوشيو : لا بل انتظر ، فإننى سأمضى معك ، وفى وسعى أن أقص عليك نوادر لطيفة عن الدوق .

- الدوق : لقد رويت لى منها أكثر مما ينبغي ياسيدى إن صحت ، فإن
لم تصح فلن تبلغ الكفاية مهما رويت .
- لوشيو : لقد مثلت بين يديه يوماً لأن فتاة حملت منى .
- الدوق : أوفعلت هذا ؟
- لوشيو : أى والله فعلته ، ولكن الظروف حملتنى على الإنكار ، ولولا
إنكارى لزوجونى هذه الفاكهة العفنة .
- الدوق : إن صحبتك ياسيدى فيها من المتعة أكثر مما فيها من
الإخلاص والأمانة فالسلام عليكم .
- (يفتح الباب)
- لوشيو : تالله لأمضين معك إلى آخر الزقاق ، وإذا كان حديث الفجور
يؤذى شعورك فلتتخفف منه ونكتفى بأقل القليل . أجل إننى
رجل ثرثار وسيظل هذا وكدى وديدنى .

المشهد الرابع

غرفة في منزل اللورد أنجلو

(أنجلو وإسكالس)

- إسكالس : إن كل كتاب كتبه ينقض غيره .
- أنجلو : إنه يكتب بطريقة تنم عن شدة الاضطراب وشرود الذهن ،
 فما أن أفعاله تدلّ على ما يشبه الخبل . نسأل الله ألا يكون
 عقله قد أصابته لوثة ! وما الحكمة في أن نلقاه عند أبواب
 المدينة ، ونرد إليه مقاليد الحكم هناك ؟
- إسكالس : لست أدرى .
- أنجلو : وكيف يقتضينا أن نعلن قبل دخوله المدينة بساعة أن كل من
 يريد أن يحو ظلماً ألم به فعليه أن يرفع التماسه في الطريق ؟
- إسكالس : إنه يعلل ذلك بقوله إن هذا الإجراء من شأنه التعجيل برفع
 الشكاوى وحايثنا مما قد يدبر لنا من مكائد فيما بعد ، ويجرد
 الكائدين من الحجج التي تنهض ضدنا .
- أنجلو : إذن أرجوك أن تعلن هذا في الصباح الباكر ، وسأزورك في
 بيتك وأخطر وجوه القوم والأعيان ممن يقتضى الأمر أن يكونوا
 في استقباله .
- إسكالس : سأفعل يا سيدى وأستودعك الله .

: طابت ليلتك

(ينصرف إسكالمس)

إن هذه الفعلة قد غيرت حالى كل التغيير فسلبتنى القدرة على
أى عمل وزهدت فى كل أمر من الأمور . فتاة تفض
بكارتها ! ويرتكب ذلك رجل عظيم وكُلّ بإنفاد القانون
فيمن يقترف هذا الإثم ! ترى ماذا كانت تقول فى حقى لولا
حياؤها الذى يمنعها أن تعلن أن عفتها قد ثلمت . على أن
مقتضيات الحكمة تجعلها لا تجرؤ على الإفصاح ، ذلك أن
سلطانى يكسبني هبة عظيمة لا يمكن أن تنال منها يوماً أية
فضيحة ، بل إن هذه الهبة لخليقة بأن تلجم من يطلق لسانه
فى . لقد كان من الواجب أن يظل على قيد الحياة ، لولا أن
سورة شبابه مقترفة بهذا الباعث الخطير كانت حرية بأن تدفعه
فى يوم من الأيام إلى أن يثأر للحياة الشائنة التى فرضت عليه
والتي افتداها بالخزى والعار . ومع ذلك فليته عاش !
وآسفاً ! فإننا إذا نسينا فضائلنا مرة التوى علينا الأمر كله
وتأرجحنا بين الخير والشر .

(يخرج)

المشهد الخامس

نبيع مقدس على مسيرة فرسخ من المدينة
(الدوق وقد أسفر من بعد تخفيه وأرتدى لباسه الأول ثم الراهب بطرس)

الدوق : (يتناول الراهب بعض الأوراق) سلمنى هذه الرسائل^(٥) فى الوقت المناسب إن المحافظ يعلم غرضنا وخطتنا . أما ونحن بسبيل إنقاذ ما دبرنا ، فالزم ما أشرنا عليك باتباعه ، ولا تحذ قط عن خطتنا وإن كان فى مقدورك أن تعدل عن أمر أو آخر فى تفاصيلها بحسب ما تملية عليك الظروف . امض إلى بيت فلاقيوس ، وأنبه بمكان إقامتى ، وافعل مثل ذلك مع قالنتيوس ، ورولاندى ، وكراسوس ، وقل لهم أن يأتوا بالنافخين فى الأبواق إلى الباب ، وابعث إلى بفلاقيوس أولاً .

الراهب بطرس : سأبادر إلى قضاء ما وكلت إلى على خير وجه .

(ينصرف) - (يدخل قاريوس)

الدوق : شكراً لك يا قاريوس ، فقد أظهرت سرعة محمودة هيا بنا

(٥) يلاحظ أن بطرس لم يسلم هذه الرسائل إلى الدوق قط ، وإنما روى قصته من غير أن يبرز تلك الوثائق المثبتة لشخصيته ، وكأنما نسى الشاعر الحيلة التى دبرها .

ولنمض على الأقدام . . فإن بعض أصدقائنا الآخرين سيقبلون
 للترحيب بنا هنا يا عزيزي قاريوس
 (بنصر فان)

المشهد السادس

(إيزابلا وماريانا)

إيزابلا : إن نفسي لتعاف اللف والدوران في الحديث على هذه الصورة ، وسوف أقول الحق ، أما اتهمه بتلك التهمة فأمر موكلوك إليك . على أنه نصحنى بأن أفعل لأخفى عنه ، على حد قوله ، ما دبر من خطة كاملة .

ماريانا : فلتبتدى بهديه .

إيزابلا : ثم إنه قال لى إنه لو اتفق ونال منى أمام خصمى فليس لى أن أعجب من ذلك ، فهو دواء مر ولكن عاقبته خير .

ماريانا : وددت لو أن الراهب بطرس . .

إيزابلا : صه ! فإن الراهب قد أقبل .

(يدخل الراهب بطرس) .

الراهب بطرس : هيا بنا ، فقد وجدت لكما مكاناً صالحاً كل الصلاحية ، تطلآن منه على الدوق بحيث لا يخطئكما ، لقد دوت الأبواب مرتين ، وهرع خير النبلاء والأعيان إلى الأبواب ، ولن يلبث الدوق أن يدخل المدينة . فهيا بنا ، وعجلا .

(ينصرفون مهرولين)

الفصل الخامس

المشهد الأول

مكان عام خارج أبواب المدينة ، جمهور من المواطنين

(أنجلو وإسكالس ومعهم المحافظ والضباط متأهبون لاستقبال الدوق ، لوشيو بالقرب منهم ، إيزابلا وماريانا محجبتان ومعها بطرس وقد لزموا مكانهم ، يقرب الدوق ومعه فاريوس وغيره من الضباط)

الدوق : مرحى يا ابن العم الأجل ! وأنت يا صديقنا القديم الأمين ، إنه لتسرنا رؤيتك .

أنجلو وإسكالس : نحمد الله على سلامتكم يا صاحب السمو !
الدوق : أشكركما شكراً جزيلاً من صميم القلب ، لقد كنا نسأل عنكما فسمعنا الثناء المستطاب على عدلكما حتى أنه لا يسعنا إلا أن نزجي لكما الشكر علناً وهو شكر له ما وراءه من جزاء .
أنجلو : إنكم لتضاعفون الدين الذي في عني لكم .

الدوق : حسبك ، فإن فضلك ليفصح عن نفسه بأجلى بيان ، وإني لأسىء إلى هذا الفضل إذا أنا حبسته في مكنون صدرى ، وهو جدير بأن ينقش بحروف من نحاس وأن يودع في مكان عزيز يقيه شر الزمن وعوادي النسيان . هات يدك وليرى الملاء هذا حتى يعلموا أن المجالات العلنية خلقة بأن تفصح عن

أفصال أسرها في قلبي ، تعال يا إسكالس وسر إلى جانبنا
الآخر ، فإن كلاكما نعم المعين .

(يقدم الراهب بطرس وإيزابلا)

الراهب بطرس : الآن قد حانت فرصتك ، فارفعي صوتك واركمي بين يديه .

إيزابلا : ناشدتك العدل يا صاحب السمو الدوق ! اشمل بنظرك

- مظلومة ، وقد كنت أود أن أقول عذراء ! إيه أيها الأمير

الجليل ، صن عينيك عن النظر في أي أمر حتى تسمع

شكواي الصادقة وتنصفني ، فالإنصاف ، الإنصاف ،

الإنصاف !

الدوق : قصي علينا مظلمتك ، وفيم ظلمت ، ومن ظلمك ؟

أوجزي ، وهاهوذا اللورد أنجلو منصفك ، فاكشفي له عن

ذات نفسك .

إيزابلا : إيه أيها الدوق الجليل ، إنك لتدعوني إلى طلب النصفة من

الشیطان ، فاستمع إلى أنت نفسك فإما عاقبتني على ما وجب

على أن أقوله ، إذا أنكرته ، وأما حق عليك أن ترفع عني

ظلمي . فاستمع إلي ، بالله استمع إلي في هذه الساحة !

أنجلو : مولاي ، إني لأخشى أن يكون بعقلها خبال ، فإنها كانت قد

سعت إلى تلتمس الإبقاء على حياة أخيها الذي أعدم بحكم

من القضاء . . .

إيزابلا : بحكم من القضاء !

: وستحدث بحديث غاية في العجب ، يفصح عن شدة المارة والضغينة .

أنجلو

: أجل ، سأحدث بحديث غاية في العجب ، ولكنه غاية في الصدق فأقول إن أنجلو حانث بيمينه ، أليس هذا بعجيب ؟ وإن أنجلو قاتل ، أليس هذا بعجيب ؟ وإن أنجلو لص فاسق ، ومنافق يسطو على أعراض العذارى ، أليس هذا بعجيب ، وعجيب ؟

إيزابلا

: أجل إنه لعجيب ، جد عجيب !

الدوق

: إن القول بأن أنجلو هو أنجلو بعينه لا يزيد نصيبه من الصدق عما تتسم به أقوال جميعاً من حق وغبابة أجل إنها الحق الذي لا يعلى عليه ، والحق هو الحق ما بقيت هذه الدنيا .

إيزابلا

: خذوها ! يا للمسكينة ، إنها تقول هذا القول عن لؤثة أصابت عقلها .

الدوق

: إيه أيها الأمير . إني لأستحلفك بحق إيمانك بوجود حياة غير

إيزابلا

هذه الحياة ، ألا تتخلى عني بحجة أن عقلي قد أصابته لؤثة ! ألا تقولن إن هذا الذي يبدو بعيد الاحتمال أمر مستحيل الحدوث . فليس من المستحيل أن يبدو رجل هو أخبث الماكرين على ظهر الأرض في مثل حياء أنجلو ورسائته وعدله وكما له . بل إن أنجلو هذا قد يكون وغداً زنياً على الرغم من كل ما يتوفر له من جلال المنصب وما يعرف عنه من

خصال ، وما ينعم به من ألقاب وتشريف ، صدقني
يا صاحب السمو الأمير ، فلو أنه كان دون ما صورت لما كان
ثمة شيء يشينه ، ولكنه خليق بأكثر مما قلت ، وهيات أن
يسعفني اللفظ فأصف الشر بأكثر مما وصفت .

الدوق : قسماً بشرفي لو أنها مجنونة ، ولا أخالها إلا كذلك ، فإن
جنونها يبدو في أغرب صورة من صور الفهم والإدراك فهي
ترتب الشيء على الشيء بما لم أسمع بمثله في الجنون قط .
إيزابلا : أيها الدوق الكريم ، دعك من هذه النعمة ولا تجعل علو
مركزه يميل بك عن شرعة الإنصاف بل اتخذ من عقلك سبيلاً
إلى جلاء الحق الذي يبدو خافياً واقض على الباطل الذي
يلبس ثوب الحق .

الدوق : إن كثيراً من العقلاء ليفتقرون حقاً إلى مثل هذه الرجاحة في
العقل - ما قولك ؟

إيزابلا : إنني أخت رجل يدعى كلوديو حكم عليه بالإعدام عملاً
بقانون الزنا والذي قضى في أمره هو أنجلو ، وقد أوفدني أخى
إليه ولما أتجاوز طور الاختبار في الرهينة وكان رسول كلوديو
إلى رجلاً يدعى لوشيو .

لوشيو : (متدفعاً إلى الأمام) عفوك يا مولاي ، إنه أنا ، وقد جئتها موفداً
من قبل كلوديو وسألتها أن تسعى لديه سعيها الحميد حتى يعفو
عن أخيها المسكين .

- إيزابلا : إنه هو حقاً .
- اللعوق : لم يؤذن لك بالكلام .
- لوشيو : أجل يا مولاي الكريم ، ولا أمرني أحد بأن ألزم الصمت .
- اللعوق : إذن فإني آمرك الآن بأن تلزمه ، وأرجوك أن تراعى ذلك ،
- فإذا كان لك شأن خاص بك ، ناشدتك الله أن تلزم حدود الكمال .
- لوشيو : إني أعاهد فخامتكم على ذلك .
- اللعوق : إن العهد موكل بك ، فضنه .
- إيزابلا : لقد روى هذا السيد طرفاً من قصتي .
- لوشيو : هذا صحيح
- الدوق : قد يكون هذا صحيحاً ، ولكنك أخطأت بالكلام قبل أن ينبغي دورك - استمرى .
- إيزابلا : لقد قصدت هذا النائب الدنيء المفسد .
- اللعوق : هذا قول فيه حمق وشطط .
- إيزابلا : اغفر لي ذلك فإن عبارتي تناسب الحال .
- الدوق : أقول لك مرة أخرى : إلزمي حدود الأدب . ولتدخل في صميم الموضوع ، استأنفي حديثك .
- إيزابلا : إني إذ أوجز القول وأدع التفاصيل التي لا يقتضيها المقام ، وأمرٌ مر الكرام بما جرى ، وكيف حاولت إقناعه ، وكيف ابتهلت إليه وركعت بين يديه ، وكيف ردّني ، وكيف أجبتّه

مما يطول شرحه ، ولأبدأ بالخاتمة الدنيئة لقصتي شاعرة بالأسى
والخزى فى الإفصاح عنها ، لقد أبى أن يعفو عن أخى إلا إذا
بذلت جسمى الطاهر لشهوته البهيمية المنطلقة ، وبعد صراع
طويل أشفقت على أخى وتغلبت رحمتى به على شرفى ،
فاستسلمت له . ولكنه ما إن لاح صبح اليوم التالى وقضى منى
وطره حتى بعث بكتاب يقضى بأن يطاح برأس أخى .

: هذا جائز جداً !

الدوق

: لهف نفسى ، ليته كان جائزاً بقدر ما هو حق !

إيزابلا

: تالله أيتها الشقية الحمقاء إنك لتعرفين بما لا تعرفين ، أو تسعين

الدوق

إلى النيل من شرفه مدفوعة بمؤامرة دنيئة فهو أولاً رجل أمين
شريف لا تشوب صفحته شائبة ، ثم إنه لا يجوز عقلاً أن
يسعى بهذه الغيرة التى تسقط عيوب الناس والعيوب فيه ولو أنه
ارتكب الإثم الذى تؤاخذينه عليه لأتسى بذنبه عن ذنب
أخيك ، وأمسك عن الإطاحة برأسه . لقد حرّضك بعض
الناس عليه ، فقولى الحق ، وأفصحى عن أشار عليك
بالقدوم إلى هذه الساحة للشكوى منه .

: أو هذا كل ما تأخذوننى به ؟ إذن فرحاك أيتها الملائكة

إيزابلا

الأطهار فى عليائك ، هيبنى الصبر ، وعجلى بكشف النقاب
عن الباطل الذى يلبس هنا ثوب الحق - وإنى وقد ظلمت
وأيتم تصديق قولى لأذهب إلى حال سبيلى سائلة الله أن يحفظ

عظمتكم من كل شر!

الدوق : إني لأعلم بأنك قد عزمت على الرحيل - علينا بضابط !
(يقبض عليها الضابط)

خذوها إلى السجن !! أوبلغ بنا الأمر أن ندع سموم هذه
الريح من الإفك والبهتان تلفح وجهه على قرب منزلته منا ؟
تالله إنها لمؤامرة . من ذا الذى يعلم بنواياك وقدمك إلى هذه
الساحة ؟

إيزابلا : رجل تمنيت أن يكون مائلاً هنا ، إنه الراهب لودويك
(يسعد الضابط وإيزابلا بإشارة من الدوق)

الدوق : لعله راهب موهوم ، من يعرف لودويك هذا ؟
لوشير : مولاي ، أنا أعرفه ، فهو راهب متطفل يتدخل فيما لا يعنيه .
وأنا لا أحبه ، ولو أنه كان من غير رجال الدين يا مولاي
لضرت ضرباً موجعاً على ما بدر منه من كلام نال به منكم في
غيبتكم .

الدوق : كلام نال به منا ! يا له من راهب صالح ! أوبلغ من أمره
أن يحرض هذه المرأة الشقية المائلة أمامنا على نائبا ! اتتوني
بهذا الراهب .

لوشير : لقد رأيتها بالأمس فقط صحبة هذا الراهب في السجن - إنه
راهب وقع ، بل هو غاية في الخسة والدناءة .

الراهب بطرس : (يتقدم) ألا فليبارككم الله يا صاحب السموم ! لقد كنت

أقرب هذا المشهد يا مولاي ! وبلغ أذنى ما خدش سمع سموكم من كلام بذيء . لقد أخطأت هذه المرأة أشنع الخطأ بآثام ناثبكم ، فهو لم يمسهها أو يلوث شرفها ، بل هو برىء من ذلك براءتها هي من ولد لم تنجبه .

الدوق : إن اعتقادنا بذلك ليس أقل من اعتقادك ، أوتعرف ذلك الراهب لودويك الذى تتحدث هي عنه ؟

الراهب بطرس : أعرف عنه أنه رجل صالح تقى نقى ، لا هو بالوقع ولا هو بالمتطفل الذى يدس أنفه فى أمور الدنيا كما قال عنه هذا السيد ، بل هو بشرفى رجل لم يذكر فخامتكم بسوء قط كما زعم .

لوشيو : مولاي ، إنه شرير كأقصى ما يكون الشر ، صدقنى .

الراهب بطرس : قل ما تشاء ، فإنه قد يأتى فى الوقت المناسب ليبرى نفسه ، ولكنه الآن مريض يا مولاي بحمى عجيبة ، وقد بلغه أن ثمة شكوى يراد تقديمها فى حق اللورد أنجلو ، فجئت إلى هنا بناء على رغبته الخاصة لأتحدث بلسانه عما يعلم من الحق ومن الباطل ، وهو يعتزم أن يوضحه بأجلى بيان مقسماً على ذلك بالأيمان ومستشهداً بكل برهان فى أى وقت يسأل فيه . ولنبدأ بهذه المرأة لندافع عن هذا السيد الجليل الذى اتهم فى شخصه بأخطئ التهم . وستسمعون أباطيلها وهى تفند فى وجهها حتى تعترف بالحقيقة .

: أيها الراهب الصالح دعنا نسمع أقوالها .

(نفاق إيزابلا محروسة وتقدم ماريانا) .

ألا يحملك هذا على الابتسام يا اللورد أنجلو ؟ يا إلهي من غرور
الحمقى التعساء ! علينا بمقاعد - هلم يا ابن العم أنجلو ، فإني
لن أشترك في هذه المحاكمة ، ولتحكم أنت في قضيتك .
(يأتي الخنم بمقاعد ، ويجلس الدوق ، وتقضم ماريانا بجوار الراهب بطرس)

أهذه هي الشاهدة أيها الراهب ؟ فلتكشف أولاً عن وجهها ثم
تتكلم .

: عفوك يا مولاي ، لن أكشف عن وجهي حتى يأمرني زوجي .

: عجباً ، أمتزوجة أنت ؟

: لا يا مولاي .

: أعذراء ؟

: لا يا مولاي

: إذن فأنت أرملة ؟

: ولا أرملة يا مولاي .

: عجباً ، فأنت لا شيء إذن ، لا أعذراء ولا أرملة ولا زوجة ؟

: لعلها عاهر يا مولاي ، فإن كثيرات منهن لسن عذراوات ،

ولا أرامل ، ولا زوجات .

: أسكتوا هذا الشخص ، ألا ليت له قضية يثرثر بها دفاعاً عن

نفسه .

ماريانا

الدوق

ماريانا

الدوق

ماريانا

الدوق

ماريانا

الدوق

لوشيو

الدوق

- لوشيو : ليكن يا مولاي .
- ماريانا : إني لأعترف يا مولاي بأنني لم أتزوج أبداً ، كما أعترف فوق هذا بأنني لست عذراء . ولقد عرفت زوجي ، إلا أنه لا يدري قط أنه عرفني .
- لوشيو : إذن ، فقد كان ثملاً يا مولاي ، ولا يمكن أن يكون غير هذا .
- الدوق : ليتك كنت ثملاً أيضاً حتى ننعم بسكوتك !
- لوشيو : الأمر أمرك يا مولاي .
- الدوق : لا يصح أن تشهد هذه على لورد أنجلو
- ماريانا : سأكشف لك الآن عن سر الأمر يا مولاي . إن المرأة التي تهمه بالزنا إنما تتهم زوجي باتهامها هذا ، والوقت الذي قالت إنه اقترف فيه فعلته هذه هو على ما أوكدته لك يا مولاي الوقت الذي كان فيه بين أحضاني ييثنى لواعج حبه .
- أنجلو : ترى أتتهم بذلك شخصاً سواي ؟
- ماريانا : هذا ما لا أعرفه .
- الدوق : حقاً ؟ ولكنك تحدثت عن زوجك .
- ماريانا : عجباً ، إن ما قلته هو الحق يا مولاي ، ومن تحدثت عنه هو زوجي الذي وهم الذي يظن أنه ليس له عهد يجسدى قط وإن الجسد الذي خبره هو جسد إيزابلا

أنجلو

: إن هذا الخداع عجيب - دعينا نرى وجهك .

ماريانا

: لقد أذن زوجي ، فلأسفرن (تسفرن وجهها) هذا هو الوجه الذي أقسمت يوماً أيها القاسي أنجلو بأنه جدير بأن تتملى به . وهذه هي اليد التي وضعتها في يدك واستمسكت بها وقطعت على نفسك العهد والميثاق ، وهذا هو الجسد الذي أحلّ إيزابلا من وعدّها ووافاك في بيتك الخلوي وأشيع رغبتك في شخصها الموهوم .

الدوق

: أتعرف هذه المرأة ؟

لوشيو

: بالجد على حد قوطا .

الدوق

: حبسك أيها الغر !

لوشيو

: حسي يا مولاي .

أنجلو

: مولاي ، أرى لزماً على الإقرار بأنني أعرفها ، فقد دار حديث بيني وبينها عن الزواج منذ خمس سنوات ، إلا أن العقد فسخ ، وبعض السبب في ذلك راجع إلى أن البائنة التي وعدتني بها جاءت دون ما اتفقنا عليه . أما السبب الجوهري فهو أن سمعتها قد شابتها شبهة من خفة وطيش . وإني لأقسم بديني وشرفي أنني ما تحدثت إليها قط أو رأيتهَا أو تحدثت إليّ منذ خمس سنوات خلت .

ماريانا

: (نحجو) أيها الأمير الكريم ، كما أن النور ينبعث من السماء

والألفاظ تخرج مع الأنفاس وكما أن في الحقيقة معاني وفي
الفضيلة حقائق ، فكذلك أنا زوجة هذا الرجل بقدر
ما تستطيع الكلمات أن تعبر بأفصح بيان عن العهود والمواثيق .
وقد عرفني زوجة له يا مولاي الكريم في ليلة جد قريبة هي ليلة
الثلاثاء الماضي ، وكان ذلك في بيته الخلوى ، فإن كان
ما قلته هو الحق فإنني أسأله الله أن يهني القدرة على النهوض
سائلة من ركمي ، وإلا فليضرب على الجمود في هذا المكان
لا أريم عنه قط ، كأني تمثال من المرمر .

أنجلو

: إنني لم أزد بعد على الابتسام ، والآن يا مولاي الكريم اجعل
لي ولاية القضاء ، فقد نفذ صبري مما سمعته هنا . وإنني لأشعر
أن هاتين المرأتين المسكيتين اللتان هما ليستا إلا أداتان
سلطهما على شخص أقوى منها بأساً وأشد سلطاناً . فاسمح لي
يا مولاي أن ألتبس السبيل إلى الكشف عن هذه المؤامرة .

الدوق

: (ينهض) أي نعم ومن كل قلبي ، وعاقبها بما يشفي منية نفسك
وأنت أيها الراهب الأحمق ، وأنت أيتها المرأة الشريرة يا من
تآمرت مع تلك التي غادرت مجلسنا ، أتظنان أن أيمانكما وإن
استترلت القديسين من السماء واحداً بعد واحد بقادرة على
أن تنتقص من قدره وفضله اللذين ثبتا بالبرهان والدليل ؟ أما
أنت يا لورد إسكالس فاجلس مع ابن المم أنجلو وأعنه بجهلك
الكريم على الكشف عن هذه المؤامرة ومعرفة مصدرها .

وهناك راهب آخر حرّضهما على ما أقدمتا عليه ، فأرسلوا في طلبه .

الراهب بطرس : ليته كان هناك يا مولاي ! فإنه هو حقاً الذى حرّض المرتأتين على هذه الشكوى . ومحافظك يعلم أين يقيم وهو يستطيع أن يأتي به

الدوق : اذهب واثبت به في الحال .

(ينصرف المحافظ)

أما أنت يا ابن العم النبيل الذى أضع فيه كل ثقتي والذى يعنيه أن يسمع هذه الدعوى حتى تبلغ بها النهاية فاقض فيها بما قد يترأى لك من عقاب يجازى ما لحق بك من ضرر . وسأترككما إلى حين ، فلا تمضيا حتى تفصلا في أمر هؤلاء المفترين النمامين .

إسكالس : سنفعل يا مولاي ونبذل في ذلك غاية ما في وسعنا

(ينصرف الدوق ويجلس أنجلو وإسكالس)

ياسيد لوشيو ، أو لم تقل إنك تعلم عن الراهب لودويك أنه رجل بعيد عن الصدق والأمانة ؟

لوشيو : ليس الراهب بقلنسوته ؟ وهو لا عهد له بالصدق والأمانة إلا في ملابسه ، وقد تقول على الدوق ورماء بأخبث الكلام وأسفله .

إسكالس : نرجوك أن تبقى هنا حتى يأتي وتحمله على الاعتراف بتخريصاته

- ولسوف نجد أن هذا الراهب رجل له شأنه واعتباره .
- لوشيو : كأي فرد من قينا بشرفي .
- إسكالس : على بتلك المرأة نفسها التي تدعى إيزابلا ، فإني أود أن أتحدث معها . وأرجوك يا مولاي أن تأذن لي بسؤالها وسترى كيف أتصرف معها .
- لوشيو : لن نتصرف معها خيراً منه بشهادتها هي .
- إسكالس : ماذا تقول ؟
- لوشيو : تالله يا سيدى إني لأحسب أنك لو تصرفت معها على انفراد لبادرت بالاعتراف . إما إذا عاجلت أمرها جهاراً فقد نخجل .
- إسكالس : سأتولى أمرها في الخفاء .
- لوشيو : هذا هو السبيل ، فإن النساء تحف عقولهن إذا انتصف الليل (يقرب المحافظ ومعه اللوق متخفياً في مسوح راهب)
- إسكالس : تعالى يا سيدى - فهالك امرأة فاضلة تنكر كل ما قلت .
- لوشيو : مولاي ، هاهوذا اللوغد الذى تحدثت عنه قد أقبل (يشير إليه) صحبة المحافظ .
- إسكالس : لقد جاء في إبانة ، فلا تتحدث إليه حتى نطلب إليك ذلك .
- لوشيو : سألوذ بالصمت .
- إسكالس : (إلى اللوق) تعال يا سيدى . هل حرصت هاتين السيدتين على الوشاية في حق اللورد أنجلو؟ لقد اعترفنا بأنك فعلت .
- الدوق : إنها لفرية

إسكالس

: عجباً ! أوتعلم في أى مكان أنت !

الدوق

: إنى لأجل ساحتكم الرحبية أو لندع الشيطان يوماً يحظى
بالاحترام من أجل عرشه الملهب ! أين الدوق ؟ فإنه هو
الذى يجب أن يستمع إلى قولى .

إسكالس

: إن الدوق المائل في شخصنا ، وسنسمع نحن أقوالك فاحرص
على أن تكون منصفاً فما تقول .

الدوق

: بل شجاعاً على الأقل - ولكن ، لطفى عليكما أيها النفسان
المسكيتان أوجئتما تسعيان إلى استخلاص الحمل من برائن
الدثب في هذه الساحة ؟ ألا فلتستودعا الله العدل
والإنصاف ! أوقد رحل الدوق ؟ إذن فقد ضاعت قضيتكما
أيضاً . إن الدوق قد ظلمكما إذ نخلى عن مظلمتكما التى
رفعتماها إلى ساحته أمام الملأ وعلّق القضاء فيها بكلمة تخرج
من فم هذا النذل الذى أتيتما إلى هنا لاتهامه .

لوشيو

: هاكم الوغد ، إنه هو الذى حدثتكم عنه .

إسكالس

: ما بالك أيها الراهب المحقر الدنس تقول هذا القول ، أو لم
يكفك أنك حرّضت هاتين المرأتين على اتهام هذا الرجل
الجليل حتى تطلق لسانك القذر فيه وتصفه بالندالة على
مسمع منه ؟ ثم تميل عنه إلى الدوق نفسه وترميه بالظلم ؟ -
خذوه إذن وقيدوه إلى « المخلعة » ! سنشد مفاصلك مفصلاً
مفصلاً . ثم إننا سنعرف خبيثة نفسك .

الدوق : لا تكن ظالماً ! تباً لك ! إن الدوق لا يمرؤ على شد إصبعي
 بأكثر مما يمرؤ على شد إصبعه هو . فإني لست من رعاياه
 ولا أنا خاضع للسلطة الدينية في هذه المدينة . وقد قيضت لي
 مهمتي في هذه الولاية أن أقف موقف المشاهد هنا في قينا ،
 فرأيت الفساد يرغبى ويزيد حتى فاض به الرجل . قوانين
 تعاقب على الجرائم جميعاً ، وجرائم تلقى من التشجيع ما جعل
 الشرائع الصارمة تقف كالأسنان المخلوعة تعلق في حانوت
 الخلاق للسخرية كما تعلق للفت الأنظار^(١) .

إسكالس : تقذف في حق الدولة ! خذوه إلى السجن !
أنجلو : ما الذى تستطيع أن تشهد به عليه ياسيد لوشيو ؟ أهذا هو
 الرجل الذى حدثتنا عنه ؟

لوشيو : إنه هو يا مولاي - ادن منى أيها الأصلع الطيب ، أو تعرفنى ؟
الدوق : أذكرك ياسيدى من نبرات صوتك ، لقد قابلتك في السجن
 في أثناء غيبة الدوق

لوشيو : حقاً . أوتذكر هذا ؟ وهل تذكر ما قلت في الدوق ؟ .
الدوق : حق الذكر ياسيدى .

(١) هكذا تفسرها طبعة كيمبريدج ولكن في إحدى الطبعات الأخرى تقول إن بعض القواعد والقوانين كانت تلف وتعلق في حوائط الخلاقين ليطلع عليها روادها الكثيرون . وإن كان أحد من هؤلاء الرواد لا يعنى قط بإطاعتها .

لوشيو

: أوحقاً تذكره ؟ وهل كان الدوق قوَّاداً ، أحمقاً ، جباناً كما قلت فيه ؟

الدوق

: يجب يا سيدى أن نتبادل شخصينا قبل أن تدعى أننى قلت هذا . لقد قلت أنت حقاً هذا القول فيه بل أكثر من ذلك كثيراً وأفطع .

لوشيو

: ثباً لك من ملعون ! أولم آخذ بأفك جزاء ماقلت ؟

الدوق

: إنى لأؤكد أننى أحب الدوق حى لنفسى .

أنجلو

: انظروا كيف يريد الوغد أن يختم كلامه الآن بعد سبابه الذى ينم عن الخيانة !

إسكالس

: إن مثل هذا الشخص لا يصح الحديث معه ، خذوه إلى السجن ! أين المحافظ ؟ أحمله إلى السجن ، وأحكم إغلاق الباب عليه ، ولا تدعه يتفوه بكلمة أخرى - وخذ هاتين الفاجرتين أيضاً ، ومعهما شريكهما الآخر فى المؤامرة !
(يضع المحافظ يديه على الدوق)

الدوق

: صبراً يا سيدى ، رويدك قليلاً .

أنجلو

: عجباً أيقاوم ؟ - عاونه يا لوشيو .

لوشيو

: هيا يا سيدى ، هيا يا سيدى ، هيا يا سيدى ، هلم يا صاح ! عجباً أيها الأصلع الوغد الكذاب ، لابد أنك مقنع ، أليس كذلك ؟ أكشف عن وجهك النكد قبحك الله ! ألا تريد أن تخلع هذا القناع

(يخلع قناع الراهب فيكشف عن الدوق ، ويبس إسكالس واقفاً ، ويلبث أنجلو في مقعده وقد غلكه الدهول)

الدوق : إنك لأول وغد جعل منى دوقاً دعنى أيها المحافظ أتكفل بهؤلاء الثلاث الطيبات .

(ثم يوجه الخطاب إلى لوشيو)

لا تتسل يا سيدى إلى الخارج ، فلا مناص من أن يدور بينك وبين الراهب حديث - اقبض عليه (يقبض على لوشيو) .

لوشيو : قد يسفر هذا عن شيء أسوأ من الشق .

الدوق : (إلى إسكالس) إني أغفر لك ما قلت فاجلس وسنستعير مكانه (إلى أنجلو) سيدى فلتأذن لى .

(يجلس في مكان أنجلو)

هل من كلمة ، أو رأى ، أو صفاقة تستطيع أن تلمس منها العون ؟ فإن كان لديك منها شيء فاركن إليه حتى تسمع قصتي ولا تلج في موقفك من بعد

أنجلو : عفوك يا مولاي الجليل إن موقعي ليكون أشد نكراً من ذنبي

الذى اقترفته إذا حسبت أن جرمي يمكن أن يظل خافياً وأنا أدرك أن فخامتكم قد راقبتم فعلى كأنكم القدرة الإلهية . فيا أيها الأمير الكريم اعفوني من جلسة تقام لتشهد حزبي وعارى وحسبكم من محاكمتي قبول اعترافي وكل ما أرجوه من

فضلكم أن تقضوا في قضاءكم وتردوه بالموت .

: ادن منى يا مريانا أجبنى ، أوم يعقد لك قط على هذه المرأة ؟

: أجل يا مولاي قد عقد

: إذن خذها وتزوجها في الحال وقم بمراسم الزواج أيها

الراهب ، وعد به إلى هنا بعد انتهائك منها - اذهب معه أيها

المحافظ .

(ينصرف أنجلو وماريانا والراهب بطرس والمحافظ)

: مولاي ، إن عجبى لو ضاعفته ليفوق عجبى من غرابة

ما انحط إليه من ضعة وهوان .

: إلى يا إزابيلا فقد أصبح راهبك أمير أحلامك . وإني إذ كنت

معنياً بقضيتك أميناً عليها لباقي على عهدى في رعاية أمرك ولم

يتغير قلبي بتغير ثوبى .

: عفوك يا مولاي ، فقد سخرتك وأنا فرد من أفراد رعيتك ،

وأتعبتك ولم أكن أعلم بخليل مقامك وسمو مترلتك !

: لقد عفونا عنك يا إزابيلا والآن يا فتاتى العزيزة ، فلتعودى إلى

سابق عهدك معنا وارفعى الكلفة وإني لأعلم أن موت أخيك

يحز في نفسك وقد تعجبين من أمر إخفائى شخصيتى سعياً إلى

إنقاذ حياته ، وكيف أحجمت عن أن أندفع إلى إظهار

صولتى المكنونة وآثرت أن أدعه يموت هذه الميته يا أكرم

الفتيات ، لقد كان موته الباكر العاجل الذى كنت أظن أنه

الدوق

أنجلو

الدوق

إسكالس

الدوق

إزابيلا

الدوق

قد يبطئ عنه أكثر مما تصورت ، هو الذى أوحى إلى بخطتى .
 ألا رحمة الله عليه ! إن تلك الحياة التى لا يخشى فيها المرء
 الموت لخير من حياة لا تفارقه فيها هذه الخشية ولتكن سعادة
 أخيك عزاءً لك وسلوى .

: سمعاً وطاعة يا مولاي .

إيزابلا

(يعود أنجلو وماريانا والراهب بطرس والحافظ)

: لقد حقّ عليك ، إكراماً لماريانا ، أن تصفحني عن هذا
 الزوج الحديث العهد المقبل علينا ، وإن كانت أفكاره الدنسة
 قد أساءت إلى شرفك الذى أحسنت الدفاع عنه . أما وقد
 قضى على أخيك بالموت ، فقد أثمّ وعليه وزران : انتهاك
 حرمة العفة والنكث بالعهد الذى تعلقت به حياة أخيك وإن
 الرحمة نفسها التى أباحها القانون لتصرخ بأعلى صوتها ، بل
 بلسانه هو ، قائلة « أنجلو بكلوديو ، والنفس بالنفس ! »
 والعجلة دائماً تهب عجلة ، والريث يهب ريثاً ، والشئ
 بمثله ، ودقة على الدوام بدقة ، أما أنت يا أنجلو وقد تجلى
 ذنبك ولن يجديك إنكاره وإن حاولت ، فإننا نحكم عليك
 بأن تحمل إلى ذلك النطع نفسه الذى أسلم إليه كلوديو رأسه
 مستقبلاً الموت وأن يعجل بك كما عجلت به خذوه !
 : مولاي الأجل الأكرم أرجو ألا تسخر مني فتهني زوجاً
 موهوماً .

الدوق

ماريانا

: إنه زوجك الذى سخر بك فأعطاك زوجاً موهوماً . لقد
حسبت أن الزواج أصلح لك فرضيت به صوناً لشرفك ،
والا كان فى أهامك له بأنه عرفك ما يشين حياتك ويقضى
على ما ترجينه من خير فى مستقبل أيامك . أما ماله وإن يثول
إلينا بالمصادرة فإننا نهبه لك ونجعل لك فيه حق الأرملة يموت
عنها زوجها حتى توفى إلى زوج أفضل منه .

الدوق

: يا مولاي العزيز إن نفسى لا تتوق إلى غيره ، ولا إلى من هو
أفضل منه .

ماريانا

: ارجعى عنه بتاتاً ، فإن حكمتا لا معقب له .

الدوق

: يا مولاي الرحيم (توكل)

ماريانا

: إنما تبدلين الجهد فيما لا طائل تحته خذوه إلى حتفه !
(ثم يوجه الحديث إلى لوشيو) .

الدوق

والآن ياسيدى لقد جاء دورك .

: مولاي الكريم ! - أيتها العزيزة إيزابلا ضمى صوتك إلى
هيبى ركبتيك فأهب حياتى كلها ما بقى لى من عمر فى سبيل
خدمتك .

ماريانا

: إنك تلحقين عليها فى الرجاء مخالفة كل ما يقضى به العقل
والوجدان ولو أنها جثت طالبة الرحمة فى هذا الجرم ، لقام
طيف أخيها من مرقده المسجى وملاها رعباً وفزعاً

الدوق

: إيزابلا ، يا إيزابلا العزيزة ، إني لا أطلب إليك إلا أن تركعى

ماريانا

بجوارى وترفعى يديك ، ولا تقولى شيئاً ، وسأتولى
أنا الحديث كله وقد قيل إن خير الناس هم أولئك الذين
صهرتهم الذنوب وأن معظمهم يزدادون فضلاً ، لما كان فيهم
من السوء القليل وهكذا قد يكون شأن زوجي بالله يا إيزابلا
هلا وهبتي إحدى ركبتيك ؟

: ليقتلن جزاء له على قتل كلوديو .

الدوق

: (ترجع) مولاي الأعز الأكرم هلا تفضلت فنظرت إلى هذا
الرجل الذى قضيت فيه قضاءك كما لو كان أخى حياً يرزق .
فإني أظن بعض الظن أن أفعاله كان يهيمن عليها ماحق عليه
من أمانة وإخلاص حتى وقع نظره على . أما وهذا شأنه
فلا تقضى بموته . فإن أخى إنما نال جزاءه الوفاق على فعلة
استحق من أجلها الموت . أما أنجلو فإن فعلته لم تحقق ما أضمر
من سوء النية ، ومن ثم وجب أن توارى على أنها نية فعحسب
لقيت حشوها وهى بعد فى سبيل التحقيق فالأفكار ليست فعلاً
وما النيات إلا أفكار

إيزابلا

: حقاً يا مولاي ، إنها لا تعدو ذلك .

ماريانا

: إن قضيتك خاسرة وإني لآمرك بأن تنهضى لقد اتجه تفكيرى
إلى جرم آخر أيها المحافظ ، كيف حدث أنكم أطعتم برأس
كلوديو فى وقت لم يجربه العرف ؟

الدوق

: لقد صدر الأمر إلىّ بذلك .

المحافظ

الدوق : هل كان لديك أمر معين شرعى يطلب إليك أن تفعل هذا الفعل ؟

الحافظ : لا يا مولاي الكريم ، لقد كان ذلك بناءً على رسالة خاصة .

الدوق : ومن أجل ذلك أعفيتك من منصبك ، سلم مفاتيحك .

الحافظ : اغفر لى يا مولاي النبيل لقد دار بجلدى أن ما فعلت كان

خطأ ، ولكنى لم أكن موقناً من ذلك ، على أننى ندمت عليه

بعد روية وتفكير والدليل على ذلك أننى أبقيت على حياة

نزير آخر من نزلاء السجن كان يجب أن يعدم بمقتضى ذلك

الأمر الخاص .

الدوق : ومن يكون ؟

الحافظ : اسمه بارناردين

الدوق : ليتك فعلت هذا مع كلوديو اذهب واثنى به ودعنى أراه

(يخرج الحافظ)

إسكالس : إني لآسف يا لورد أنجلو أن يزل رجل بلغ من العلم والحكمة ما

لم يبلغه أحد حتى اليوم ، هذه الزلة الخطيرة من سورة الشباب

أو ما أعقب ذلك من قضاء اتسم بالرعونة والشطط .

أنجلو : وإني لآسف إذ تسببت في هذا الأسى الذى تغفل فى أعماق

قلبي التادم حتى أننى أحن إلى الموت أكثر مما أتطلع إلى الرحمة

لقد حق على الموت ، وإني لأنتمه

(يعود الحافظ ومعه بارناردين وكلوديو متخفياً ، ثم جوليت)

: أيها هذا الذى يدعى بارناردين ؟

الدوق

: هذا هو يا مولاي .

الحافظ

: لقد حدثني راهب بأمر هذا الرجل يا هذا ، لقد زعموا لي أيها الأحق أن لك نفساً متمرده لا تدرك شيئاً يتجاوز حدود هذا العالم وأنت ترتب حياتك على هذا . لقد حكم عليك بالموت ولكني أغفر لك كل ما ارتكبت من ذنوب دنيوية ، وأرجو أن تفيد من هذه الرحمة فتصلح من شأنك في مستقبل أيامك عظه أيها الراهب ، فإني أترك أمره إليك - ومن يكون هذا الذى جاءنا متخفياً .

الدوق

: هذا سجين آخر أبقيت على حياته وكان قد حق عليه الموت عندما أطيح برأس كلوديو وهو عظيم الشبه به حتى كأنه كلوديو نفسه (يكشف عن وجه كلوديو)

الحافظ

: (محاطاً بإزابيلا) إن كان شبيهاً بأخيك فإني أصفح عنه إكراماً لك ، هبني يدك بحق ما أكنه لك من حب ، وقول أنك تقبلين أن تكوني لي ، أما هو فإنه أخى أيضاً - ولندع ذلك إلى وقت أنسب وبهذا أدرك أنجلو أنه أصبح في مأمن فإني لأحسب أن عينيه تومضان إيه يا أنجلو إن الشر الذى أتيت به قد عاد عليك بالخير فاحرص على حب زوجتك فهي بك جديرة وإني لأنس من قلبي الرحمة على أنني أجد في هذه الساحة رجالاً لا يستطيع الصفع عنه

الدوق

(عاطباً لوشيو) إيه أيها الإنسان لقد قلت فيّ إنني أحمق ، جباناً
مستسلماً للملذات ، وإنني حمار معتوه فهاذا أجرت حتى
أستحق منك كل هذا المديح الذي تغدقه عليّ ؟

لوشيو : الحق أنني قلت ما قلت جرياً على ما ألفناه في شباب اليوم فإن
شئت شئتني على ما أجرت ، فلك ذلك ، ولكني أؤثر أن
أجلد إذا تفضلت .

الدوق : فلتجلد أولاً ياسيدي ثم تشق ، أيها المحافظ أعلن في أرجاء
المدينة أنه إذا كان ثمة امرأة أساء إليها هذا الفاسق ، وقد سمعته
يقسم بأن إحداهن قد حملت منه فلتكشف عن أمرها ،

وليتزوجها ، ثم ليجلدن ويشنقن بعد انقضاء مراسم الزواج
لوشيو : أتوسل إليك يا صاحب العظمة ألا تزوجني بعاهر فقد بدر
منكم للتو واللحظة أنني قد جعلت منكم دوقاً فلا تكافئني
يا مولاي الكريم بأن تجعل مني ديوثاً .

الدوق : قسماً بشرقي لأزوجكن إياها إني لأغفر لك ما وصمتني به من
شنع وأتبع مغفرتي بالصفح عن ذنوبك الأخرى خذوه إلى
السجن واعملوا على تنفيذ ما أمرنا به هنا .

لوشيو : مولاي إن الزواج بعاهر هو الموت هرساً^(٢) ، والجلد ،

(٢) في هذا القول إشارة إلى عادة قديمة هي قتل الشخص بوضع أنقال كبيرة على جسمه ويقول
بعضهم إن شكسبير يشير هنا أيضاً إلى قانون كان معمولاً به في المقاطعات ، والكيسة الإيطالية تحيز العفو
عن المجرم إذا تزوج بعاهر

والشئى .

: إن العيب فى أمير حقيق بهذا الجزاء .

الدوق

(يخرج الضباط ومعهم لوشيو)

أما أنت يا كلوديو فاعمل على أن ترد إلى من أسأت إليها كرامتها وعزتها ، ولتنعمى بالسعادة يا ماريانا ! أشملها بحبك يا أنجلو ، فقد اعترفت على يدى ، وأنا واثق من طهارتها بعفتها ، وشكراً لك يا صديق إسكالس على ما فىك من ضية عظيمة . وإن الأيام المقبلة لتدخر لك المزيد من تقديرنا وثنائنا ، وشكراً لك أيها المحافظ على ما بذلت من اهتمام وما حفظت من سر ولسوف نوليك منصباً أجدر بك وأليق واغفر له يا أنجلو إن جاءك برأس راجوزين بدلاً من رأس كلوديو ، فإن هذه الإساءة كان لها ما يبررها - أما أنت أيتها العزيزة إيزابلا فإن لدى فكرة فيها خيرك ، إن أعرتنى لها أذنأ صاغية ، إن ما عندى ملك لك وما عندك ملك لى فهلما بنا إلى قصرنا لنزوى لكم ما يجب أن تعلموه جميعاً من خفايا هذه القصة .

العبرة بالخواتيم

ترجمة وتقديم

عباس حافظ

مراجعة:

شفیق غربال - محمد بدران



موضوع القصة ومن أين اقتبسها شكسبير

استقى شكسبير موضوع هذه القصة من الأديب الإيطالى بوكاشيو ، الذى ألف قصة «ديكاميرون» وأجراها على نسق كتاب «ألف ليلة وليلة» وجعلها نوادر تقص تباعاً يوم بعد آخر ، وفى اليوم الثالث يحكى المؤلف القصة التاسعة وتكاد فى جملتها وجوهرها تماثل مسرحية شكسبير .

وقد اقتبسها الشاعر من ترجمة ليوكاشيو أصدرها «وليم بينتر» فى عام ١٥٦٦ ، مع قصص أخرى ، جعل عنوانها «قصر اللذات» .
وفى بلى خلاصة القصة كما كتبها بوكاشيو :

كان «إيزناردو» كونت روسيليون ، أحد أشراف فرنسا ، رجلاً اصطلحت العلل عليه فدعا إليه طبيباً يدعى «جيرادودى ناربونا» ليلازمه ويشرف على تطبيبه ، وكان له ولد لم ينجب سواه ، فنشأ الغلام وترعرع بجانب ابنة الطبيب وهى «جيليتا» ، فأحبته الصبية ولكنها لم تكاشفه ، بل كتمت حبها فى صدرها إذ أدركت الفارق الاجتماعى الكبير بينها وبين الأمير الصغير .

وقضى الكونت نخبه ، فأصبح ابنه فى رعاية ملك فرنسا ، بحكم التقاليد ، إذ كان أبناء الأشراف حين يموت آباؤهم ، وهم بعد فى سن الحداثة ، أو مطالع الصبا ، يوضعون فى حماية الملك ورعايته ، فانتقل الفتى إلى باريس

ليقيم في البلاط ، ولم تستطع «جيليتا» أن تتبعه ، ولكنها علمت أن الملك يشكو من «خراج» ألیم في الصدر عجز الأطباء عن إبرائه منه ، فانتوت الفتاة الاستعانة بوصفه دواء كان أبوها قد تركها من بعده ، على علاج الملك من علته ، فسافرت إلى باريس ، وتمكنت من المشول بين يديه ، وإقناعه بتجربة دوائها فإذا برئ من المرض ، كافأها ، على جهدها ، وقد اشترطت أن يأذن لها في اختيار زوج لها من بين الأمراء الشباب في حاشيته ، فرضى الملك ووعداها إذا برئ من علته أن يكون لها ما طلبت .

وقد شفى الملك حقاً ، وير الملك بوعده ، فدعا إليه الشباب ، واختارت «جيليتا» فتاها من بينهم ، فغضب «بلترامو» - الكونت الصغير - واستعفى ، ولكن الملك أصر على أن تكون له زوجاً ، فلم يجسر على مخالفة أمره . ولم يكذب الاحتفال بالقران ، حتى لاذ الشاب بالفرار إلى «تسكانيا» ليحارب في صف دوق فلورنسا ، وكان في قتال حبال أهل مدينة إيطالية أخرى تدعى «سينا» ، بينما رجعت جيليتا إلى قصر «روسيليون» حيث استقبلت استقبال «الكونتة» الصغيرة ، وعكفت على إدارة ضياع زوجها بحكمة بالغة حتى ظفرت بقلوب الزراع ، واكتسبت إعجابهم وبعثت برسولين إلى «بلترامو» ترجو إليه أن يعود ، فرد عليها مع الرسولين قائلاً : «لتفعل ما تشاء لأنى لن أعاشرها حتى تلبس هذا الخاتم في إصبعها ، وتحمل بين ذراعيها ولداً تلده منى . . .»

واشتد بها الأسى حين عرفت هذين الشرطين واعتزمت أن تقضى بقية العمر بتولا ناسكة ، ثم تزيت بزى الحجاج ، وشخصت إلى فلورنسا ، حيث عرفت

أن « بلترامو » يحب فتاة فقيرة ولكنها طاهرة الجيـث عفة ، وتقيم مع أمها في المدينة ، فذهبت إليها وقصت عليها القصص ووعدت الفتاة مهراً سخياً إذا هي وأمها قبلتا ما هي عارضة عليها قائلة : « أريد أن توفدا رسولاً موثقاً به إلى الكونت لينبئه أن الفتاة تحت أمره ، وأنها لكي تستوثق من أنه يحبها دون سواها ترجو أن يرسل إليها خاتماً لتلبسه في إصبعها ، وهو خاتم سمعت بأنه شديد الاعتزاز به ، فإذا أرسله إليها ، أخذته أنا منها ، وتتولى هي إرسال كتاب إليه تقول فيه إنها لا تتردد في التزول على مشيئته ، وتعين له في فخمة الليل موعداً للخلوة بها ، فإذا جاء حللت أنا محلها ، ومن يدري لعل الله مقبض لى ولداً منه ، فيتم ما اشترطه ، وهو الخاتم في إصبعي ، والولد بين ذراعي ، ولعل بهذا مستردة زوجي بفضلكما . . »

ولكن والدة الفتاة ترددت في بداية الأمر متكرهة ، ثم ما لبثت أن أقبلت الفكرة ، وحقق الله للزوجة المقصية سؤلها ، فولدت منه ولدين ، وتكررت الخلوات على الأيام وهو في كل مرة لا يدري أنها زوجته ، بل يحسبها المرأة التي أحبا .

وعلم الكونت « بلترامو » أن زوجه قد غادرت قصر أبويه فعاد إليه ، في حين لبثت « جيليتا » مقيمة في فلورنسا حتى وضعت « توأمها » ، فعادت وهي لا تزال في زى الحجيج إلى القصر في وقت كان الكونت يقيم فيه ولمة كبيرة فدخلت إلى البهو ، وتقدمت نحوه ، فجثت عند قدميه وشرحت له كيف نفذت شرطيه وانثنت قائلة ، والآن فلترتضيئي لك زوجاً إن كنت لوعدك منجزاً . .

وروت له ما جرى ، فهت ، مما سمع ، وتأثر بما علم ، وأقبل عليها معانقاً راضياً .

وقد ختم بوكاشيو القصة بهذه الكلمات :
ومن ذلك اليوم أحبا وكرمها نكرم زوج لزوجة عزيزة وفية . . »

براعة شكسبير

في صياغة القصة والزيادة عليها

ويقول الثقات إن القصة ، كما بدت في ترجمة «وليم بيتز» لم تكن بارعة في التأدية ، ولا رائعة من حيث الأسلوب ، ولكن شكسبير التزم حوادثها من حيث هي ، ومضى يتوسع في مشاهدتها ، ويدخل عليها أشخاصاً من براعة ابتكاره ، وحسن تأديته ، وجمال شعره ، وروعة حكمته ، كشخصية «الكونتة» أم برترام ، والأمير الشيخ «لافيه» الثرثار ، و«لاهاش» المضحك المهذار ، و«بارولس» الجبان الكذاب ، فكانت هذه الزيادات التي «طعم» بها شكسبير القصة ، تطعيم البستاني المار والعيدان والأزهار ، أحلى شخصياتها ، وأعذب مشاهدتها ، وأبدع أجزائها المليئة بالحكمة والكلمات الجوامع التي ذهبت مذهب الأمثال .

وقد وضع الشاعر هذه القصة ، فيما يقول الرواة ، خلال الفترة بين عامي ١٩٥٨ و ١٦٠٨ ، وهي الفترة التي دخلت فيها عبقريته دور النضوج ، وأخرج خلالها طائفة من خيرة رواياته ، وروائع آياته ، وأكبر الظن أنه كان يريد بها أن

تكون أختاً لقصة « خاب معى العشاق » حتى لقد سماها فى بداية الأمر « أفلىح معى العشاق ». وإن كانت هذه أرفع من تلك إنتاجاً ، وأسمى مرتبة ، ولا يدرى أحد ما الذى حمله فيها بعد على تغيير عنوانها ، وإن كان المرجح أنه وجد فى عنوانها الحالى مثلاً سائراً فى أيامه ، فاعتقد أنه أرى للأنتظار . وأجلب للشهرة فاختاره .

وقد رأيناه يجعل المحور الجدى فى هذه الرواية « الفكهة » يدور حول « هيلين » التى كرمها زوجها من ساعة قرانه بها ، ترفعاً عنها ، وتسامياً بمكانه الرفيع عن مكانتها ، فاحتملت مرارة الحية ، وما زالت بلطف حيلتها ، وفضل ذكائها وفطنها ، حتى استعادته فى النهاية ، فكانت العبرة بالخواتيم كما آثرنا أن ندعو القصة بهذا العنوان .

وقد أراد شكبير فى تصويره لشخصية هيلين على هذا النحو أن يدلل على أن حب المرأة وصبرها يتصران فى النهاية على سوء استغلال الرجل لقوته وسلطانه ، وإن شهدنا قصصاً أخرى لإعداد لها ، تذهب غير هذا المذهب ، فتصور المرأة فى صورة الماكرة ، الخداعة ، الخلية من الثبات والصبر والوفاء . وكان خيراً لشكبير أن ينسب ذلك الحوار الطويل الذى دار بين « بارولس » فى الفصل الأول وبين هيلين عن « العذرة » واستمسك العذارى بعفافهن ، وترددن فى أمر الزواج ، إلى شخصية أخرى غير ذلك « الماخن » الكذوب الدعى ، ولكنه مع هذا ضمنه كلاماً بديعاً ، ومجوناً بارعاً ، وفلسفة فكهة ، ترضى السامعين والقارئین ، وإن رأى بعض النقاد أنه كان أولى بجذف المشهد من الرواية بجملته .

أما شخصية-الأم - وهى الكونتة العجوز - فقد أجاد الشاعر فى رسمها أبلغ الإجادة ، وقد رأيناه فى أكثر من قصة يضى على الأمهات وأمثلة لونا من الوقار يأخذ بالألباب ولا يجعل الفتنة والإعجاب ، وفقاً على الغوانى والشواب الحسان ، وإن نصائح هذه الأم الرؤوم لابنها قبل انتقاله إلى البلاط لى على إنجازها أدنى من حيث الحكمة والروعة إلى حديث الحكيم بولونيوس مع «لايرت» فى قصة «هملت» .

ويبدو الملك فى روايتنا هذه مع مرضه فيلسوفاً ، صادق النظرة ، فإن الحوار الذى دار بينه وبين الشاب «برترام» بسبيل اعترازه برفعة المنبت ، وعراقه المختد ، قطعة ملأى بالقوة وأصالة الرأى .

أما شخصية «بارولس» فهى صورة فذة منقطعة النظير ، فقد صورته الشاعر ، رقيقاً ، كذاباً ، رعيدياً ، مدعياً ما ليس فيه ، حتى ليستشير منا الرثاء له حين يفتضح أمره ، وتتكشف خليفته ، على فرط هذه المعايب التى تجتمع فيه ، وتسترع منا الضحك والسخرية منه ، وحين يصفه الأمير الشيخ الماجن «لافيه» بقوله : «لا يمكن أن تكون فى هذه البندقة حبة ، فإن كل روحه هى ثيابه» .

ولسنا ننسى شخصية «المهذار» فى هذه القصة ، فهو ناحية بمفردها من نواحيها الفكهة ، ولا سيما حين يقول : «إن لديه جواباً يصلح لكل الأسئلة» ، وحين يتطلق فى نكاته البارعة ، وتورياته المتقنة ، ومجمونه البديع .

وعند تقدير مفاتن هذه المسرحية ، لا يصح أن نغفل الإشارة إلى ذلك المشهد الفاتن الذى يخلو فيه الشاب النبيل «برترام» بالفتاة «ديانا» لإغرائها

بالاستجابة إلى غزله ، والاستماع إلى نداء شهوته ، ولا نحسب ثمة مقالاً في طهارة العذارى ، والحرص على العرض ، والحفاظ ، أروع ولا أبلغ من مقالها وهي نحاجه ، وتأتي مطاوعة رغبته ، ولا نعتقد أن هناك نصيحة إلى الفتيات الحسان ، والعذارى المليحات ، أسدى ولا أحجى مما جرى على شفيتها ، حتى ليتجاوز في جلاله كل ما كتبه الفلاسفة ، أوقاله الحكماء .

لقد كان شكبير في جملة رواياته « معلم أخلاق » ، فن قرأه بغير نظر إلى هذه المزية فيه ، لم يستفح به ، وفاته « المفتاح » الذي يفتح له الطريق إلى مغاليق هذه الحكمة المستترة في هزله ودعايته .

وقد لا تخلو هذه القصص الروائع من عبارات « مكشوفة » أو أفكار جافية ولكن لا يستطيع أحد أن يعثر خلالها على « مبادئ » خاطئة ، أو نظرات تصطدم بكرائم الأخلاق . . .

عباس حالمظ

شخصيات المسرحية

ملك فرنسا

دوق فلورنسا

برترام كونت رسيون

لافيه : لورد متقدم في السن

بارولس : تابع لبرترام

رئيس الخدم في قصر الكونتيسة روسيون

مهرج :

١ - السيد ج . ديمان

٢ - السيد ب . ديمان

وصيف

الكونتيسة روسيون : أم برترام

هيلين : فتاة في رعاية الكونتيسة

أرملة عجوز : فلورنسا

ديانا : ابنتها

فيولنتا وماريانا : من جيران الأرملة وصديقاتها

الفصل الأول

المشهد الأول

روسيون - حجرة في قصر الكونتيسة

(يدخل برترام - والكونتيسة روسيون. وهلين. ولايه. وهم جميعاً في لياب الخلود)

الكونتيسة : إنني بانتزاع ولدى منى - أدفن زوجاً ثانياً .

برترام : وأنا يا سيدتى بذهاى أبكى أبى مرة أخرى ، ولكن يجب أن أمثل لأمر جلالته لأننى الآن تحت وصايته . بل أكثر من ذلك فى خضوع لمشيئته^(١) .

لايه : ستجدين فى الملك يا سيدتى زوجاً ، وأنت يا سيدى واجد فيه أباً . فن كان مثله خيراً مكرماً للناس أبداً ، لابد مظهر فضله نحوك ، مكرم بالضرورة لك ، وكونك العلا لهذا يدعو إلى تكريمك حتى من كان من الفضل خلياً ، فكيف وهو كثير الأفضال ، موفور المحامد والخلال .

الكونتيسة : وهل من أمل فى بوء جلالته . .

(١) كان كل «قاصره» من أبناء الأشراف يوضع تحت رعاية الملك ، فهو الوصى عليه وقد توفى الكونت روسيون من عهد قريب ، فأصبح غلامه برترام تحت وصاية الملك .

لافيه : لقد يشس أطباؤه ياسيدنى ، بعد أن بدد بالأمل الزمان ،
تحت علاجهم ، ولم يجد منه نفعاً ، غير فقدان الأمل على
الأيام^(٢) .

الكوتسة : لقد «كان» لهذه السيدة أب - أواه ، من كلمة «كان»
هذه . ما أقسى ذلك الحادث ، وكانت براعة طبه تكاد في
عظمتها تبلغ مبلغ صدقه ونزاهته ، ولو امتد الأجل بها إلى
أيامنا ، لجعلت الطبيعة البشرية متآبية على الفناء ، ولذهب
الموت يرتع ويلعب ، لتبطله من العمل وفراغه ، ليته من
أجل الملك كان حياً ! ولو كان لكان في حياته في أغلب
ظنى ، موت مرض الملك وهلك علته .

لافيه : وماذا كان اسم الرجل الذى يتحدثين عنه ياسيدنى . .
الكوتسة : لقد كان علماً ياسيدى في مهته ، وله الحق كل الحق في أن
ينال ما نال من الشهرة ، لقد كان يدعى «جيرار دى
ناريون» .

لافيه : لقد كان في الحق رجلاً ممتازاً ، وقد ذكره الملك من عهد
قريب بإعجاب به ، وأسمى عليه ، ولو استطاع العلم أن
يغالب الموت ، لكانت براعته كافية لأن يبقى حياً أبد الدهر .
برتورام : وم يشكو الملك وتذوى صحته ياسيدى الكريم . .

(٢) أى أنه لم يعد يرجو عند الأطباء برءاً ، بعد أن عذب نفسه بالأمل ، وجاء طول الانتظار مع
الزمن فأفقدته الأمل في الشفاء .

لايه : وددت أنك لم تسمع به الآن أو تعرفه ، هذه السيدة ابنة جبرار دى ناريون .

الكونتيسة : وحيدته ياسيدى ، وقد عهد بها إلى عنايتى ، وأن تربيتها لتبشر بالخير الذى أرجوه لها ، إن الميول والمنازع التى ورثتها لتجعل مواهبها الجميلة أكثر جمالاً وبهاءً ، وتبدى السجايا الحسان أشد حسناً ورواءً ، وحيث يحمل العقل الحلى من النقاء ، فضائل وحسن خلال ، تكن المدائح أسفاً لها وثناءً ، وهى فى هذه الحائق تكون فضائل ، وسجايا حسنة ، وهى أيضاً غواذر وخونة ، أما عندها ، فإن بساطة فضائلها ، تزيدها فضلاً ، لقد ورثت الوفاء ، واكتسبت بنفسها الطيبة .

لايه : إن مديحك ياسيدتى يسيل دموعها .
الكونتيسة : إن الدموع لهى خير ملح «تبل» به العذراء المديح الموجه إليها ، إن ذكرى أبيها لا تكاد تقرب من قلبها ، حتى تستبد بها الأحزان فتتزع كل سمات الحياة من خديها . حسبك يا هيلين وكفى دمعاً ، لئلا يظن أنك تتصنعين الحزن تصنعاً ، لا أنك .

هيلين : إنى ، حقاً ، أظهر الحزن ولكننى أكنه أيضاً .
لايه : إن الحزن المعتدل حق للموتى ، ولكن الأسى المفرط عدو للأحياء .

الكونتيسة : وإذا كان الإحياء للحرز أعداء ، فإن الإفراط فيه لا يلبث أن يودى بالحياة .

برترام : سيدنى ، أتمنى دعواتك الطاهرة .
لافيه : كيف نفهم هذا (٣) .

الكونتيسة : بوركت يا برترام ، ولتخلف أباك خلقاً وفضلاً ، كما خلفته صورة وشكلاً ، إن الدم الذى يجرى فى أعراقلك ، والفضيلة التى تزين أخلاقك ، تتنازعان السلطان عليك ، وطبيتك تتفق مع ما ورثته بمولذك ، أحبب الجميع ، ولا تتق إلا بالقليل ، ولا تنظم أحداً . . ولتكن لك مثل قدرة عدوك ، ولكن اجعل قدرتك عليه بأساً وسلطاناً ، ولا تستخدمها فى إيذائه ، وصن صديقك واحرص عليه ، بقفل حياتك ومفتاحها ، ولأن تعاب على الصمت ، خير لك من أن تعاب على الكلام ، وليكن لك ما تشاء السماء من زيادة فى الفضل ، وما فى دعوائى من قطوف الأمل ، وداعاً يا سيدى ، إنه سيكون فى بلاط الملك غير مجرب فكن له ناصحاً .

لافيه : لن يعوزه خير ما يسديه الحب من نصح .

الكونتيسة : ليباركه الله . . وداعاً يا برترام .

(تخرج الكونتيسة)

(٣) يشير هذا إلى حديث هيلين ولعله كان أفضل أن يأتى بعده مباشرة..

برترام : (هيلين) لتكن أطيب ما في خاطرك من أمانى ، سعاة في خدمتك أرعى أُمى مولاتك ، وزيدتها منك ولاء .

لأبيه : وداعاً أيتها الغادة الحسنة ، وصوفى لأبيك الفضل وحسن الثناء

(بفرجان)

هيلين : (وحدھا) لو كان هذا كل ما هنالك لما فكرت في أبى ، وإن

هذه العبرات الغزار لتريد ذكره جلاً ، أكثر مما ذرفت من قبل من عبرات ، ترى كيف كان سمته ؟ وكيف كانت صورته ، لست أدري فقد نسيت ، ولم يعد في خيالى شيء من ملامحه ، بل كل ما بقى فيه هو صورة برترام . . الويل ويلى ، لآ حياة لى ، وبرترام بعيد عني ، إن حبي إياه كحبي نجماً متلاًئلاً ، إن على أن أقنع بمشهد سنائه وخاطف ضيائه ، دون المقام في أفقه والعيش في نوره الساطع ، إن ما في حبي من طموح هو سبب ما ألاقه في هذا الحب من بلاء ، فالغزاة التي تطمع أن تقترن بالليث ، يقتلها حتماً هذا الحب ، وكان جميلاً ، وإن بدا أنيماً ، أن أشهده في كل ساعة ، وأن أجلس فأنقش حاجبيه المقوسين وعينه الحديدة ، كعين الصقر ، وغداؤه ، على صفحة الفكر ، ولوح القلب ، ذلك القلب القدير على تصوير كل معالم محياه ، ورسم كل فتنة من عذوبة حسنه ، وها هو ذا الآن قد ذهب ، وعن

العين احتجب ، فليقدس خيالي الوثني العابد ، وخاطري
الراكم الساجد ، صوره وآثاره ، أشد التقديس . . . من
هذا القادم ؟

(يدخل بارولس)

(لنفسها) أحد الذين سيراقدونه ، إننى أحبه لأجل خاطره ،
وإن كنت أعرفه كذاباً مشهوراً بكذبه ، وأحسبه مهذاراً إلى
حد كبير ، وجباناً من كل نواحيه ، وإن كانت هذه المساوئ
هى جزء من كيانه ، حتى لتبدو طبيعية فيه ، وعلى حين يبدو
الترمت فى الفضيلة رياءً ونفاقاً ، وكثيراً ما نشهد العاقل الرقيق
الحال فى خدمة الأحمق الظاهر الحاقة .

: سلام لك أينما الملكة الحسناء .

بارولس

: سلام عليك أيها الملك^(٤) .

هيلين

: لا . . .

بارولس

: ولا مثلها

هيلين

: هل تعترمين أن تبقى عذراء بلا زواج .

بارولس

: أجل - إن فيك شيئاً من صبغة الجندى ولونه ، فدعنى

هيلين

أسألك إن الرجل علو للعذرة ، فكيف نحصنها من شره .

(٤) يذهب أحد الشراح إلى أن مناداتها له « بالملك » بعد قوله لها « أينما الملكة » هى إشارة إلى
« موناركو » وهو إيطالى محبول كان فى حاشية الملكة إليزابيث ليليتها ويضحكها بمنون العظمة الذى كان
مرتبضاً به .

- بارولس : بإبعاده .
- هيلين : ولكنه أبداً مهاجم . وعذرنا على شجاعتها ، ضعيفة في الدفاع عن ذاتها ، فهلا كشفت لنا عن شيء من وسائل المقاومة القوية .
- بارولس : ليس ثمة وسائل ، إن الرجل منا ليرابط قبالتكن ، فيقوض كيانتكن وينسفكن نفساً .
- هيلين : حمى الله عذرنا المسكين من المقوضين والناسفين ، أليس ثمة سياسة حربية مرسومة ، تمكن العذارى من نسف الرجال .
- بارولس : لا تكاد العذرة تهوى حين ينسف الرجل حطاماً ، إن الاحتفاظ بالعذرة ليس من سياسة الطبيعة ولا صالحها ، إن فقدانها ربح معقول ، وزيادة حكيمة ، وما من عذراء تُؤلّد ، إلا بعد أن تضع العذرة أولاً وتفقدتها ، إنكن قد صنعتن من معدن يصنع بذاته العذارى ، فإن فقدت العذرة مرة ، فقد تسترد عشر مرات ، والحرص عليها مضیعة لها ، إنها لرفیق بارد ، فلتتخل عنها .
- هيلين : سأحرص « قليلاً » عليها ، وإن مت عذراء .
- بارولس : لا يكاد يوجد ما يقال في الدفاع عنها ، إنها ضد ناموس الطبيعة وشريعتها ، إن امتداح العذرة هو اتهام منكن لأمهاتكن ، وهو عقوب لا ريب فيه ، إن العذراء التي تأتي الزواج هي كالرجل الذي يشق نفسه ، ذلك أن العذرة تقتل

نفسها ، وأولى بها أن تدفن في الطرق العامة بعيدة عن كل مكان مقدس^(٥) لأنها أجزمت إجراماً شديداً في حق الطبيعة ، إن العذرة دود في ذاتها ، أشبه ما تكون بالجبن ، وتأكل نفسها حتى القشرة ، وهكذا تموت مائلة بطنها من غذاء لحمها وطعام جسمها ، والعذرة إلى جانب ذلك كله شرسة ، متعجرفة ، متبظلة ، صنعت من الأثرة وهي أشد الذنوب في الشريعة تحريماً ، فلا تمسكها عليك ، لأنك حتماً بها خاسرة ، اخرجي منها تجدديها بعد سنة واحدة قد ضاعفت نفسها ضعفين ، وهي زيادة كريهة ، ولن تكون يوشد أسوأ حالاً مما هي . . تخلى عنها .

هيلين : وكيف تفعل العذراء ياسيدى لكى تفقدها كما نحب ؟
 بارولس : دعيني أفكر ، في الحق أن من الشر أن ترضى بمن لا نحب ،
 إن العذرة سلعة تفقد بريق جدتها بطول البقاء ، وكلما طال أمد الاحتفاظ بها ، قل قدرها ، ونحس ثمنها ، هلمى تخلصي منها وهي لا تزال قابلة للبيع . أجبني الطلب في وقته ، ولي السؤال في حينه ، إن العذرة كرجل الحاشية المسن ، ترتدى قبة من طراز انتهى زمانه ، وقدم حينه ، ولئن صنعت من قماش جيد ، فإنها مع ذلك غير مناسبة لزمانها ، كمشبك

(٥) كانت العادة ألا يدفن المتحرون في المقابر العامة لأنهم اقرنوا جرماً في حق الحياة ، وقد شرح المؤلف هذه النقطة في الحوار بين اللحد وزميله في الفصل الأول من رواية « هملت » .

الصدر وفرشاة الأسنان^(٦) لم يعودا يلبسان الآن ، إنه لأفضل أن تكون تمرّة^(٧) في كمكتك وفطرك ، منها على خدك ، وإن عذرتك إذا طال عليها الدهر لأشبه بالكثرة الفرنسية الذابلة ، تبدو في الشكل القبيح ، وفي المذاق مجوجة ، وهي في الحق كمثرى ذاوية عفنة ، وكانت فيما مضى خيراً مما هي ، ولكنها في الحق كمثرى ذاوية ، فإذا تصنعين بها ؟

هيلين : ولكن عذرتي لم تبلغ هذا الحد بعد ، إنك لذهاب إلى بلاط^(٨) الملك حيث مولاك وأجد ألف حب ، أمّا ، وخليفة وصديقاً ، وعتقاء وقبطاناً ، وعدوّاً ، ومرشداً ، وربة ، وملكاً ، ومشيراً ، وخاتنة ، وغالية عزيزة ، وطموحاً ذليلاً ، وضعة متكبرة ، ووفقاً متنافراً ، وتنافراً موافقاً ، وإيماناً ، ومرارة حلوة ، وعالملاً من حسان غريرات ، ذوات أسماء مختارة ، وألقاب مصطفاة ينعم بها عليهم كيوييد الأعمى الذي يرعاهن ويتباهن^(٩) ، والآن فلست أدري ماذا سيفعل ،

(٦) كان الطراز السائد قبل أيام شكبير أن يوضع المشبك وفرشاة الأسنان في سلسلة فوق الصدر ثم انتهى هذا الطراز ، ومن هنا يقول إن بقاء الفتاة عذراء لا تريد الرجال هو طراز قديم انتهى عهده .

(٧) التمرة هنا من التمر أو البلح الذي يرشق فوق قطعة الفطير ولكن كلمة تمر في الإنجليزية لها معنى آخر وهو التاريخ أو الوقت المحدد ، وهنا تورية أى لا تدعى العذرة تفوت أوانها .

(٨) المتن هنا مضطرب ، وقد فقدت منه بعض سطور تعلق فيها هيلين على سفر برترام إلى بلاط الملك حيث يجد أحياء جدداً .

(٩) أى أنه سيجد ما يلهو به وكل هذه الأشياء التي عدتها هي نعوت الذين سيختلط بهم ، =

فليحسن الله وفادته ، إن البلاط معهد للتعليم ، وهو . .

بارولس : وهو ماذا بالله . . ؟

هيلن : من أتمنى له الخير للأسف . .

بارولس : للأسف مم . .

هيلن : إن أتمنى الخير لا شيء فيه يمكن أن يحس ، وإننا معاشر

المنحوسين من مولدنا ، تحتجرونا كواكب نحوسنا في خوالج

نفوسنا وأمانينا^(١) وقد تتبع أصدقاءنا ، من تأثير كواكبنا ،

ونبدى مانحن وحدنا نفكر فيه ونراه ، فلا نجد شكراً عليه

ولا عرفتنا .

(يدخل غلام)

الغلام : إن مولاي يدعوكم يا سيد بارولس .

(ينصرف)

بارولس : وداعاً يا هيلن الصغيرة ، سأفكر فيك ! إذا استطعت في

البلاط أن أتذكرك .

هيلن : يا سيد بارولس ، لقد ولدت تحت كوكب سعد .

= فقد ذكرت «أنا» أى امرأة في مثل من أنه ، كما ذكرت «العناء» وهو في البوابة «الفنفس» أى العناء وهو طائر خراف ، ثم جاءت بصفة أخرى على سبيل المقابلة في البالغة وهى قولها طموح دليل وصعة متكررة ، وبمثل ما بعدها «وفاً متافراً» وتنافراً موافقاً ، وكبيريد الأعمى « هو إله الحب ، الأحاديث عن أهل الغرام في البلاط

(١٠) أى لا تملك غير النعى .

- بارولس : أنا كوكبي المريخ^(١١) .
 هيلن : رأيي الخاص أنه كذلك .
 بارولس : ولم يكون المريخ كوكبي ؟ .
 هيلن : لأن الحروب شغلتك إلى حد لا مفر معه من القول أنك
 ولدت تحت كوكب المريخ .
 بارولس : وهو في أوجه .
 هيلن : بل أظن في تراجع^(١٢) .
 بارولس : ولماذا تظنين هذا ؟
 هيلن : لأنك تراجع كثيراً حين نحارب .
 بارولس : هذا مقصود لغرض .
 هيلن : وكذلك القرار حين يبشر الخوف بطلب السلامة ، ولكن
 شجاعتك وجبانتك اتفقتا على فضيلة خفة القدم ، وسرعة
 الخطى ، وإني ليروقني جداً هذا المظهر^(١٣) .
 بارولس : إن لدى من المشاغل ما يجعلني عاجزاً عن الرد عليك بما

(١١) إله الحرب ، يريد أن يقول إنه ولد ليكون جندياً .

(١٢) أراد بقوله « وهو في أوجه » إنه جندي عظيم ، ولكنها أجابت بقولها « بل في تراجع » أي أنه ليس إلا جندياً مخففاً ، يتراجع في القتال ويتقهقر ، وحين علل تراجع بقوله « هذا مقصود لغرض » كما يتراجع الجيش أحياناً لينخذ مواقع محصنة ، أو ليحرص على خط رجعت ، ذهبت إلى تحليل آخر بدعي وهو الجبن وطلب الفرار فقالت إن شجاعته وجبانه اتفقتا على الجري وسرعة الخطى .

(١٣) يبدو أن بارولس من المتأقين ، فهي تضيف إلى قولها السابق مواسية بارولس بالحديث عن تأقنه

يفحمك سأخلق بأخلاق حاشية الملوك ، وسيساعد علمي
على تغيير طبيعتك ، فتصبحين قديرة على أن تأخذى بنصيحة
للبلاطي العتيد ومشورته وتدركى ماذا تفرضه المشورة عليك ،
وإلا مت في جحودك ونكرانك ، وذهب بك جهلك ،
وداعاً ، وإن وجدت فراغاً من العمل ، فاعكفى على
صلاتك ، وإن لم تجدى فراغاً فاذكرى صحابك ، واظفرى
لنفسك بزواج طيب وعاملية بمثل ما يعاملك ، والآن وداعاً .
(مخرج)

هيلين

: إن دوائنا كثيراً ما يأتي من أنفسنا ، وإن عزوانا إلى السماء
أحياناً ، إن السماء التي يقال إنها تتصرف في أقدارنا قد
أتاحت لنا المجال واسعاً حراً ، فلا تردنا عما نبغى من خطط
مترامية ، إل حين تجدنا فاترين ، أى قوة هذه التي نجعلنى
أحب من هوشانه أعلى من شأنى ، وانظروا أمتع بمن يطالع
ناظرى ، إن الطبيعة ، على بعد المسافة بين الحظوظ
والأخطار ، تجمع بين الأشباه والنظائر ، حتى ليراءوا
أنداداً ، إن الفعال الجريئة لتبدو مستحيلة لمن يبالغون في
الخوف من جهدهم ، ويغالون بأخيلتهم في حساب متاعب
سعيهم ، فلا يحاولون أمراً لا يجدون أمثلة له أمام أعينهم ،
ويظنون أن ما كان لا يمكن أن يكون ، ومن تلك التي تجاهد

في إبراز مواهبها إذا كانت قد فشلت في الظفر بجيبها ، وقد
يخدعني مشروعي بشأن مرض الملك وعلته ولكن عزمي ثابتة
وطيدة فلن تخذلني .
(تمخرج)

المشهد الثاني

دق طبول

(يدخل ملك فرنسا - ممسكاً برسائل في يده ومن خلفه رجال حاشيته)

الملك : إن أهل فلورنسا ، وشعب سينا قد عادوا إلى الشقاق والقتال
ونماسكا بالآذان وكانت الحرب بينها سجالاً ، ولا يزالان في
حرب عناد وتحد .

الشريف الأول : بهذا وردت الأنباء يا مولاي .

الملك : أجل ، إنها أنباء يرجح صدقها كل الرجحان ، وقد أكدها لنا
ملك النمسا ابن عمنا ، ونهنا إلى أن صاحب فلورنسا سيطلب
إلينا عوناً عاجلاً ، ولقد سبقنا أعز أصدقائنا برأيه في موقفنا
ويبدو أنه يريد منا ألا نبعث مدداً .

الشريف الأول : إن حبه لجلالتك ، وأصالة رأيه التي ثبتت لديك يدعوان إلى
الثقة به .

الملك : لقد أيد ردنا ، فضنتا بالعون قبل أن يطلب إلينا ، ولكن من
يريد من أشرافنا أن يشهد الحرب الناشبة في تسكانيا فهو حر
في أن يذهب ، للاشتراك مع أى جانب من جانبيها .

الشريف الثاني : قد يكون ذلك بمثابة «معهد تدريب» لأشرافنا الذين يحنون
إلى العمل وإتيان الفعال الجسام .

الملك

: من القادم علينا . .

(يدخل برترام ولافيه وبارولس)

الشريف الأول : هذا هو الكونت روسيون أيها المولى الكريم ، الفتي برترام .

الملك

: أيها الفتي ، إن لك وجه أبيض ، إن الطبيعة الصراخ الصادقة

بدقتها وأنايتها ، لا تعجلها وسرعتها ، قد أحسنت صورتك

وأرجو أن تكون قد ورثت خلق أبيض مع حسن صورته ،

مرحباً بك في باريس .

برترام

: لك شكرى وطاعنى يا صاحب الجلالة .

الملك

: ليتنى الآن سليم البدن موفور العافية كما كنت أنا وأبوك ، حين

جمعت المودة بيننا ، نجرب لأول مرة فنون الحرب ، لقد

خدم طويلاً في عهده وأبلى ، وكان في مصاف أشجع

الشجعان وامتد به العمر ، ولكن الشيخوخة تسلت إلينا ،

كالعجوز الشمطاء في قبح صورتها ، وتنكر هيئتها فأعجزتنا

وأوهنت من بأسنا ، وإنه ليروقنى كثيراً الحديث عن أبيض

الكريم ، فقد كان له في شبابه هذه الفكاهة التى أراها اليوم

في معاشر الشباب من أشرافنا ، ولكنهم يتفكهون الآن حتى

لترتد سخريتهم إليهم وهم لا يشعرون ، قبل أن يستطيعوا

إخفاء خفتهم في شرف البسالة ، أما هو فكان مثال البلاطى

الحسن فلم تكن السخرية ولا الموجدة من شيمه ، ولا الحدة

من خيمه ، ولو بدرت يوماً منه ، فلا يكون ظهورها إلا أن

أنداده هم الذين استثاروها فيه ، وكان الشرف عنده كالساعة في دقتها ، يعرف اللحظة التي يستوجب منه الغضب الكلام ، فتطلق فيها لسانه ، وأما الذين هم دونه فقد كان يعاملهم كأنداده ، فكان ينحدر من عليائه إلى وهنتهم ويتزل من أوجه إلى حضيضهم ، فيجعلهم فخورين بتواضعه ، مزهوين بانحناءته ، وهو من مديحهم الذليل ، يبدو المستحي ، إن رجلاً من هذا الطراز خليق بأن يكون قدوة لشباب اليوم وفتيانهم ، ولو اقتدوا به لأثبتوا أنهم للسلف خير خلف .

: إن طيب ذكره يا مولاي في خاطري ، وحسن أثره في تقديرك لأغلى مما هو مكتوب على قبره ، وإن خير دليل على صفاته الطيبة هو حديثك الملكي لا النقش الذي على قبره .

برنارم

: ليتني كنت معه ، لقد كان يقول على الدوام ، وكأنني الساعة

الملك

أسمعه ، لا ينثر كلماته السديدة نثراً في الأسماع ، بل يغرسها ، لتنمو حيث غرسها وتؤتي ثمارها ، لا أود أن تطول حياتي - كان يقولها بعد أن يستمتع ببعض اللهو ويكتب لذهاب عهد عبثه ، لا أود أن تطول لي الحياة ، بعد أن تحبو جذوة العمر ، وينفذ الزيت من السراج ، حتى يسخر مني الشباب ، ويأنف مني الفتيان ، الذين يحترقون كل شيء ، إلا ما كان جديداً ، والذين لا يقدرّون على شيء إلا ابتداء

التياب ، وابتكار المطارف ، ويذهب الوفاء عندهم قبل أن
تتوارى الأرياء ، هذا هو ما كان يتمناه ، وهو ما أتمناه أيضاً
بعد ، وما دمت متعطلاً لا أخرج شمعاً ولا شهيداً ، فليتنى من
خليتي الراحل المسرع ، لأفسح مكاناً لبعض العاملين
والمتجدين .

الشريف الأول : إنك محبوب يا مولاي ، والذين هم أقل من سواهم حباً
لك ، سيكونون أول من يفتقدونك ، ويعز عليهم ذهابك .
الملك : إنني أعرف أني أملأ مكاناً ، نبثي يا كونت ، متى قضى
الطبيب الذي كان يقيم عند أبيك ، لقد كان ذائع الذكر .
برتوام : منذ ستة أشهر أوقرابتها يا مولاي .

الملك : لو كان حياً لجربت طبه ، مد لي يدك . لقد نهك الأطباء
الآخرون قواي بما جربه في من طبه كل واحد منهم ، إن
الطبيعة والمرضى يتنازعان الغلبة على مهل ، مرحباً بك
يا كونت إنك عزيز على كولدى .

برتوام : شكراً لك يا صاحب الجلالة .

(ينصرفون)

المشهد الثالث

(تدخل الكونتيسة ورئيس الخدم والمهرج)

الكونتيسة : سأسمع الآن ماذا أنت قائل عن هذه السيدة^(١٤) .
 رئيس الخدم : أرجو يا سيدتى أن يكون حرصى على إرضاء رغباتك تجديته
 مذكوراً فى جهودى الماضية ، ولو عملنا إلى نشر محامدنا ،
 والإعلان عن حسناتنا ، لأسأنا إلى حياتنا ، وأفسدنا علينا
 جمال تلك المحامد والحسنات .

الكونتيسة : ماذا يفعل هذا الحبيث هنا ؟ . . اذهب يا هذا عنا ، إننى
 لا أصدق كل تلك الشكاوى التى سمعتها عنك ، وما ذلك
 إلا لأننى فى الحكم وحلمى ، لأننى أعرف أنك لا تقتدر إلى
 الحياقة التى تدفعك إلى ارتكابها ولا تعوزك المقدرة على
 إتيانها .

المهرج : غير خاف عليك يا مولاتى أننى رجل فقير .
 الكونتيسة : حسن يا هذا ثم ماذا . .

المهرج : كلا يا مولاتى ، ليس حسناً أننى رجل فقير ، وإن شقى خلق
 كثير من الأغنياء ، ولكن إذا رضيت يا مولاتى لى الزواج

- استطعنا أنا وإيزابيل^(١٥) أن نعيش كما ينبغي .
- الكونتيسة : هل لابد لك أن تصبح « سائلاً » ؟
- المهرج : إنني « أسألك » الرضى فى هذا الأمر .
- الكونتيسة : فى أى أمر .
- المهرج : فى أمر إيزابيل وأمرى ، إن الخدم لا يركون ميراثاً ، وأحسبني لن أنال بركة الله ، حتى أرزق البنين ، لأنهم كما يقول الناس نعم وبركات^(١٦) .
- الكونتيسة : قس لى ما سبب رغبتكم فى الزواج .
- المهرج : إن بدنى يا مولاتى يتطلبه ، ومن يدفعه الشيطان إلى أمر ما فهو حتماً مندفع .
- الكونتيسة : أهذا هو كل ما لدى سيادتك من سبب لرغبتك فى الزواج ؟
- المهرج : يميناً يا مولاتى إن لدى أسباباً مقدسة أخرى .
- الكونتيسة : هل للناس أن يعرفوها . .
- المهرج : لقد عشت يا مولاتى إلى اليوم شريراً ، كما أنت وكما هو شأن كل من هو من لحم ودم ، وإنى أريد الزواج لكى أكفر عن ذنوبى .

(١٥) إيزابيل هى الوصيفة ، وكل الوصيفات فى العادة يسمين بهذا الاسم وللزواج فى الإنجليزية تعبير جميل وهو « الذهاب إلى العالم » ولعله يماثل تعبيرنا « الدخول إلى الدنيا » .

(١٦) كقول عامتنا عن الزواج إنه « استكمال لدينهم » ، وقوله إن الأولاد نعم وبركات اعتقاد دينى عام ، وانظر فى الحوار التالى كيف يعلل سبب رغبته فى الزواج ، فهو ملئ بالسخرية والتهمك المرير بالأزواج والحياة الزوجية .

الكونتيسة

المهرج

: ستكون على الزواج أسرع ندماً مما ستكون على السيئات .
: ليس لى صاحب يا مولاتى ، وأرجو أن يكون لى صاحب من
أجل زوجتى .

الكونتيسة

المهرج

: سيكون هؤلاء الصحاب أعداء لك يا أحمق .
: أنت يا مولاتى قليلة الخبرة بالصحاب الكبار ، إن أولئك
الحمقى الذين سأنصحهم سيأتون ليؤدوا عني ما قد تعبت
منه ، إن من يحرث لى أرضى ، يوفر لى سائمتى ، ويمكننى من
أن أجمع حصادى ، وإذا كنت أنا ديوتى ، فهو الكادح من
أجلى ، ومن يرح زوجتى يعزز لحمى ودمى ، ومن يعزز لحمى
ودمى يحب لحمى ودمى ، ومن يحب لحمى ودمى فهو
صديق ، أو بعبارة أخرى ، إن من يقبل زوجتى هو صديق ،
ولو قنع الناس بما هم فيه لما كان ثمة خوف من الزواج ، إن
الشاب المتزمت فى دينه والبابوى الشيخ المحافظ على صومه ،
مهما اختلف قلباهما فى المذهب ، وتباينا فى العقيدة ، فإن فى
رأسبها شيئاً واحداً ، وهو قرناهما ، يتلاقيان فيه ويتآثران ،
ككل الوعول فى القطيع .

الكونتيسة

المهرج

: أتأتى إلا أن تكون سليط اللسان سافلاً هجاء .
: نبى يا مولاتى ، أقول الحق من أقرب طريق ، وأردد
كالشادى ما الناس واجدوه ، الحق لا ريب فيه ، وهو أن
الزواج من صنع القدر ، وأن الوقوف بشدو بحكم الطبيعة .

الكونتيسة : اذهب يا هذا ، سأواصل الحديث معك بعد لحظة وجيزة .
 رئيس الخدم : هلا سمحت يا مولائي بأن يدعو هيلين إلى الحضور لأننى أريد أن أتحدث عنها .

الكونتيسة : قل يا هذا لوصيفتى ، أعنى هيلين ، أننى أريد أن أتحدث إليها .

المهرج : أكان هذا الوجه الجميل السبب الذى حمل الإغريق على تخريب طروادة ، حياقة منهم ، ونزقاً وتباهياً به واعتزازاً ، وهل كان هذا سر اغتيال الملك بريام وابتهاجه ، قالت هذا ثم تنهدت وهى قائمة ، وقالت هذه العبارة لو أن واحدة صالحة بين تسع طالحات ، وبين تسع طالحات واحدة صالحة ، لكنى أن تكون واحدة صالحة بين عشر طالحات (١٧) .

الكونتيسة : ماذا تقول يا هذا ، واحدة صالحة بين عشر ، إنك تشوه الأغنية .

(١٧) هيلين اسم مأخوذ من الإلياذة التى وضعها «هوميروس» شاعر اليونان القديمة لتخليد حرب طروادة ، وهذه العبارة كلها مقتبسة من القصة الإغريقية ، وقد غلغلها كليات اعتراضية كقولها «وكذلك قالت» وهذه العبارة بالدات مأخوذة من الشاعر مارللو الذى سبق شكبير بقوله : «أهذا هو الوجه الذى أنزل إلى البحر ألف جارية» ، وهى جملة مشهورة تتردد على الأفواه ، وفى هذا القول الذى جاء على لسان المهرج سطر مكرر عن «الواحدة الصالحة بين تسع طالحات» ، وأصل القصة أنه كان للملك بريام عشرة أولاد فى حصار طروادة كلهم أحسن البلاء إلا «باريس» فقد هرب ، ولكن للمهرج عكس الأمر وقلب الموضوع فجعله عن النساء ، وهذا ما جعل الكونتيسة تغيّب بقولها «ولقد شوهت المقال وأفسدت المثال» .

: امرأة صالحة بين عشر نساء يا مولاتي ، إن هذا تصحيح
للأغنية ليت الله يحبو العالم بهذا طيلة العام ! ولو أننى كنت
قسيساً لما وجدت بأساً فى المرأة العاشرة . يقول المرأة العاشرة
ولو ظفّرنا بمولد امرأة صالحة على مطلع كل كوكب سيار ،
أوهزة زلزال^(١٨) ، لتحسنت القسمة ، وصلاح
النصيب^(١٩) ، واستطاع الرجل منا أن يتترع قلبه ، قبل أن
يقتطف واحدة .

الكونتيسة

: اغرب عنا أيها الشقى ، وافعل ما أمرتك به .

المهرج

: إن خضوع الرجل لأمر امرأة ، لا بأس منه ولا ضير ولئن لم
يكن ثمة ترمت فى الوقاء ، فلن يتنج من هذا ضرولا أذى بل
إنها لترتدى الثوب البابوى المذل فوق الثوب الأسود الذى
يرمى إلى تفهم الغالية .

(تضرب الكونتيسة الأرض بقدمها)

إننى منصرف ، ومهمتى أن أدعو هيلين إلى الحضور .

الكونتيسة

: الآن هات ما عندك .

: أعرف يا مولاتي حق المعرفة حبك لوصيفتك .

رئيس الخدم

: يمين الله إنى حقاً أحبها ، فقد عهد أبوها إلى بها وهى إلى

الكونتيسة

(١٨) كانت النجوم المذنبة والزلازل تعد نذيراً بسوء أو حدث خطير كموت عظيم أو نحوه .

(١٩) أى لتحسنت الفرص للكسب فى «النصيب» وكانت سبة الربح فيها على عهد الملكة اليزابث

واحداً فى الأربعين

جانب مزاياها الأخرى وحسناتها ، جديرة بهذا الحب الذى
هى عندى واجدته ، إن ما يُعطى إليها قليل إلى جانب
ما تستحقه ، وستُعطى أكثر مما تطلب .

رئيس الحدم : لقد كنت فى الأيام الأخيرة يا مولاتى أقرب إليها مما كانت
تود ، فرأيته وحدها تناجى نفسها ، وتتحدث بلسانها ، إلى
سمعها ، وإنى لشهيد على أنها كانت تظن أن كلامها ،
وحديث نجواها ، لم يستره سمع ، لقد كان أمرها أنها تحب
ابنك ، وكانت تقول إن القدر ليس «إلهاً» رحيماً ، لأنه
أقام فارقاً بين مقامها ومقامه ، وإن الحب ليس ربّاً ذا
رحمة ، لأنه لا يمد سلطانه إلا حين تتأثل السجايا ، وتتشابه
الصفات ، وإن ديانا ليست ملكة العذارى ، لأنها تتخلى عن
فوارسها وأبطالها ، وتدعهن بغير نصير ، فى الاقتحام الأول ،
أوفى الفدية بعد ذلك ، وكانت تقول هذا وهى فى أشد
مرارة الأسى والعناء ، وأحزن ما سمعت فى حياتى من
عذراء ، فرأيت من واجب أن أبادر إلى إنهاء الأمر إليك ،
لأنه يهملك أن تكونى عليمة به ، قبل أن يحدث ما لا نحمد
عقباه .

الكوننسة : لقد أدبت واجبك مخلصاً ، فدع الأمر فى أطواء نفسك
ولا تبع لأحد به ، وقد رأيت من قبل عليه شواهد ، ولكنها
بقيت مترنحة فى كفة الميزان ، بين الشك عندى واليقين ،

والآن أرجو أن تنصرف عني ، وأكنتم الأمر في أعماق
صدرك ، وإني لشاكرة لك حرصك ووفاءك وسأحدث إليك
بعد قليل .

(يخرج رئيس الخدم ويدخل هيلين)

كذلك كان أمرى حين كنت في شبابه ، إن أجرينا على سنن
الطبيعة ، فهذا ما يصيبننا ، وما دام الدم يجري في عروقنا
فلا بد أن يكون الحب في دمنا فهو مظهر الطبيعة وخاتمها ،
حين تنطبع قوة الحب على صفحة شبابه ، ونحن حين نذكر
أيامنا الخالية ، نتبين أغلاطنا هذه وهفواتنا ، أو أننا لم نفكر
يومئذ في أنها أغلاط ، وإني أراها الآن قرحة العين من فرط
ما بها .

هيلين : ماذا تشاءين يا مولاتي ؟

الكونتيسة : أنت تعرفين يا هيلين أنني أم لك .

هيلين : بل مولاتي المعظمة .

الكونتيسة : كلا . بل أم . ولم لا ؟ . . بخيل إلى حين قلت أم كأنك

شهدت حية تسعى ، فإذا يخيفك من الأم ؟ إني أقول لك

إنني أمك وأضعك في مصاف من حملتهم في أحشائي ،

ولكم رأينا التبن^(٢٠) منافساً للبنوة ، والاصطفاء يؤتينا ثماراً

(٢٠) التبن والبنوة متنافسان ، تريد أن التبن لا يقل عن الأمومة ، وقد أرادت أن تبرر هذا
فقال : بل بالعكس إنك لم تعميني في الحمل والوضع .

طبيعية نبتت من بذور أجنبية ، وأنت ما أتعبتني يوماً كاماً في
أيام حملها ، وأوجاع وضعها ، ولكنى أبدى لك حنوها ،
وأحس لك رفقها وعطفها ، لك الله يا فتاة . أئجمد الدم في
عروقك حينما أقول إننى أمك ، ما خطبك حتى أرى هذا
الرسول الندى على محياك ، وهذا الطيف الشمسى حول
عينيك . أذلك كله لأنك ابنتى (٢١) . .

هيلين : لأننى لستها .

الكونتيسة : ولكنى أقول إننى أمك .

هيلين : عفواً يا مولاتى ، لا يمكن أن يكون الكونت روسيون أخى ،

إننى من أصل وضع ، وهو من منبت باذخ ، وليس لأهلى
ذكر ، وأهله الأشراف الأماجد ، هو مولاي العزيز وأنا
خادمة أحياء وأموت تابعة له وموالية ، فلا ينبغي أن يكون لمثل
أخا .

الكونتيسة : ولا أنا أمك (٢٢) ؟ . .

هيلين : أنت أمى يا مولاتى ، لبتك كنت أمى حقاً ، حتى يكون

مولاي ابنك أخى ، حقاً أنت أمى ، وليتك كنت لنا نحن

(٢١) تعبير جميل عن الدموع قوله : « هذا الرسول الندى » أى المبلل على وجهك - وتعبيره عن
العبرات الواكفة من عينها « بالطيف الشمسى » أو قوس قزح - وفى الأصل « إيريس » المتعددة الألوان -
وكانت عند الإغريق ربة هذا الطيف .

(٢٢) كل هذا التردد من هيلين فى قبول الكونتيسة أمّاً لها ، يرجع إلى تطلعها نحو الاقتران بالشاب ،
فهى لا تريد أن تكون أختاً له ، فإن ذلك يجعل الزواج به مستحيلاً .

الاثنين أمّا ، إن عنايتي بهذا الأمر لا تقل عن عنايتي بأن يكون
مثواى الجنة ، على ألا أكون له أختاً ، وإذا كنت أنا ابتك
ألا يستلزم هذا أن يكون هو أخى ؟

الكونتيسة

: أجل يا هيلين ، قد تصبحين بنى ، حماك الله يا بنية ، أنت
لا تعنين هذا ولا تقصدينه ، ولكن اضطربت أعصابك ما بين
الحب والخوف من اسم الابنة ، والأم تجهد خاطرك ، ماذا
أرى ، أيعاودك الشحوب مرة أخرى ، لقد عرف خوفي كيف
يكشف حبك ، والآن قد أدركت سر وحدتك وانطوائك
على نفسك ، واهتديت إلى باعث مرير عبرتك ، لقد برح
الحقاء ، أنت تحبين ابني ، وليس في وسعك أن تتكرى حبك
إياه ، أمام ما أعلنت عاطفتك ، ونادت به مشاعرك ،
فلتنبشني إذن بالحق ، لتقولى إن الأمر كذلك ، ألا ترين إلى
خديك ، كيف يعترف أحدهما للآخر ويقر ، وإلى عينيك
كيف تمان عليك ، كما هو ديدنها ، وتحدثان بلغتهما عن
حبك ، وإن كان الحياء الأليم والعناد الأثيم ، يمسكان
لسانك ، تكلمى حتى لا تُتهم الحقيقة أو يُستراب بها ،
انطقى ! أهو كذلك ؟ .. فإن كان كذلك ، فقد أوجدت لى
مشكلة خطيرة ، وإن لم يكن كذلك ، فأقسمى . ومهما
أنهتكم فليعاونى الله على خدمتك إذا نبأتني بالحق .
: أستمحك يا مولاتى الكريمة مغفرة .

هيلين

- الكونتيسة : هل تحبين ابني ؟
- هيلين : مغفرة يا مولاتي النبيلة .
- الكونتيسة : هل تحبين ابني ؟
- هيلين : ألا تحبينه يا مولاتي ؟
- الكونتيسة : دعك من اللف والدوران ، إنني ملزمة بفطرتي أن أحبه ، وهذا رباط معروف لكل الناس ، هلمى ، هلمى ، اكشفي عن حبك ، فقد نم عنك كل النّم .
- هيلين : إذن أعترف ، وأنا جاثية أمام السموات العلى وأمامك ، أننى أحب ابنك حباً يزيد على حى لنفسي ويقرب من حى الله ، لقد كان قوماً فقراء ، ولكنهم إخوان صدق ووفاء ، وكذلك حى ، فلا يسوءك هذا ، لأنه لا أذاة منه لمن أحب ، ولست متبعة حى بمطلب جرىء ، وليس لى من ورائه مأرب متبجح ، وما أنا طامعة فيه ، حتى أكون جديرة به ، ولن كنت لا أعرف كيف تتحقق تلك الجدارة ، ولكنى أعلم أن حى بلا جدوى ، وأنه مغالبة للأمل ، وإن ظلمت أسكب أمواه حى فى هذا الغربال الذى يتلقى كل شىء ولا يمسك قط بشىء ، ولن أضن على هذا الضياع أبداً بمزيد . وما مثلى إلا كمثل الهندى - أعبد - على خطئى فى الدين - الشمس التى تنظر إلى عابدها ، ولا تدرى عنه شيئاً ، أى مولاتى العزيزة ، حاشاك أن يكون حى لمن تحبين سبباً فى أن تقابلي

هذا الحب بالبعض ، فأرث إذن لمن حالها مثل حالي ،
لا حول لها إلا أن تقرض وتعطى ، وهي واثقة من أنها
الخاسرة ، ولا تعمل في هذه الدنيا لأن تجد ما تسعى لنيله
ولكنها كاللغز الخفى تجد الحياة الهنيئة حيث تلقى الموت .

الكونتيسة : ألم تكن في نفسك أخيراً نية الذهاب إلى باريس ، قولى
الحق .

هيلين : بلى يا مولاتى .

الكونتيسة : وما الغرض ، نبشنى بالحق .

هيلين : سأقول الحق ، وأقسم بالرحمن إنى قائلته ، أنت تعلمين أن
أبى ترك لى من بعده وصفات طبية نادرة محققة التأثير
مما اهتدى إليه من قراءاته ، وأثبتها تجاربه ، وجمعها لتكون
حاوية الدواء لكل علة ، ووصافى أشد التوصية بألا أهبها
إلا عند الضرورة القصوى ولذوى المقام الكبير ، وهى أقوى
مفعولاً فى سبيل البرء مما يعزى إليها فى الكتاب ، ومن بين
هذه المجموعة دواء مقرر مخصص لشفاء الأوجاع الميثوس منها
التي تذوى منها صحة الملك ، ويوشك من أثرها أن يكون من
الهالكين .

الكونتيسة

: أكان هذا هو الباعث لك على سفرك إلى باريس - تكلمى .

هيلين

: إن مولاي ابنك هو الذى جعلنى أفكر فى هذا الأمر ، وإلا فما

كانت باريس ولا الدواء ولا الملك لتدور يوماً فى خاطرى وما

كان أسعدنى بخلو خاطرى من هذا التفكير.

الكونتيسة : ولكن هل تظنين يا هيلين أن الملك سيتقبل الدواء المسعف

الذى ترعمين أنك متقدمة به لمعنته ، وهو وأطبائوه مجمعون على رأى واحد ، فأما هو فىرى أنهم لن يستطيعوا إبراءه ، وأما هم فىرون أنهم عن علاجه عاجزون ، فكيف يصدقون عذراء فقيرة لم تصب علماً ، وهم قد أفرغوا كل ما فى الطب من علم ، ثم تركوا الخطر يستفحل يائسين .

هيلين : إن فى هذا الدواء شيئاً يوحى بأن فيه شيئاً غير براعة أبى ،

وإن كان فى المهنة أعظم الأساطين ، وهو أن أسعد ما فى السماء من الكواكب سوف تبارك تركة أبى من علمه ، وتراثه من فنون طبه ، ولو أذنت لى يا مولاتى فى السفر لمضيت أحاول علاج جلالته وانطلقت أبذل حياتى المضيفة فى تجربة برئه ، فى اليوم المحدود والساعة المعينة .

الكونتيسة : وهل أنت بذلك موقنة .

هيلين : حق اليقين يا مولاتى .

الكونتيسة : لك يا هيلين الإذن والحب والوسائل والأساليب ، والخدم

والأتباع ، فاقرئى السلام لنويننا فى البلاط ، وسأقيم أنا هنا داعية الله أن يبارك جهدك ، ويحقق طلبتك ، وليكن السفر غداً ، وثقى أننى لن أضن عليك بكل ما فى وسعى من مدد وعون . . (مخرجان)

الفضل الثاني

المشهد الأول

(يدخل الملك وفي رفقته عدة أشراف من الشباب للإمتحان في الحفر)

ليشركوا في الحرب الفلورنسية - برترام - بارولس وبعض الحاشية - دق طبول)

الملك : وداعاً أيها الأشراف الشباب^(١) ، ولا تنسوا تلك المبادئ العسكرية التي تحدثت إليكم عن وجوب مراعاتها ، وأنتم أيها الأمراء وداعاً ، وتقاسموا نصيحتي بينكم ، فإن خرج الفريقان غانمين ، سَهَمًا الغنم جميعاً ، وهو كاف لهما معاً .
الشريف الأول : نرجو يا مولاي حين نعود عودة الأجناد المدربين أن نجد جلالتكم بخير وعافية .

الملك : كلا ، كلا ، هيهات ، وإن كان قلبي يأبى أن يعترف بأنه يعاني العلة التي تهدد حياتي ، وداعاً أيها الأشراف الشباب .
وسواء حيث أومت فكونوا أبناء الفرنسيين الأجداد ، ولتشهدوا إيطاليا العليا ، خلا الذين يفيدون من سقوط الملك السابق وذهابه ، ولتظهروا أنكم ما جئتم لتخطبوا المحامد ، بل

(١) أكبر الظن أن الأشراف الشباب قسماً أو هـ فريقان هـ فريق يريد الاشتراك في القتال مع فلورنسا ، وفريق مع سينا ، والخطاب هنا موجه إلى الجميع ، وإن لم يشترك في الحوار خلال هذا المشهد غير شريفيين وهما الشريف الأول ج . . وشقيقه الأصغر ب . .

جثم لتبوا بها ، وحين يتروى أشجع الشجعان عن طلب المجد
ومناله ، تقدموا لنيله وطلابه ، حتى تكسبوا حمد الشرف
وهتافه العالى ، أهيب بكم وداعاً .

الشريف الأول : لتستجيب الصحة يا مولاي لأمرى ، ولتكن فى خدمة
جلالتك .

الملك : وأحذركم من بنات إيطاليا ، إنهن يقلن أننا نحن الفرنسيين
تنقصنا كلمة لا إذا طلبنا ، واحذروا أن تكونوا «أسرى» قبل
أن تدخلوا المعركة .

الشريفان : إن قلوبنا لتعى تحذيركم يا مولاي .

الملك : وداعاً ، تعالوا هنا إلى .

(يذهب الملك إلى أريكة)

الشريف الأول : واحاً لك أيها الشريف المحب ، إنك ستخلف عنا .

بارولس : ليس ذنب الفتى المتأثق أن يتخلف .

الشريف الثانى : هذه حرب ضرورس .

بارولس : وأبدع ما تكون ، وقد شاهدها .

برترام : وقد أمرت بالبقاء هنا لأكون موضوع القيل والقال ،

سيقولون إنه لا يزال فتى حدثاً ، وسيقول آخرون ، دعوه إلى

العام القادم ، فلا يزال الوقت باكراً دونه .

بارولس : إذا كنت مصراً على الذهاب يا غلام ، فانخرج إلى الميدان

خضه وكن شجاعاً .

يوتروام : أنا هنا ماكث تحت أمر الغواني ، وهدفاً لعبث الغيد^(٢)
 أنفض نعلي على أديم القصر ، حتى ينفذ الشرف ، ولا يبقى
 مع المجد ذماء فلا يحمه من السيوف إلا سيف الرقص مع
 «الراقصات» ، قسماً لأتسلن إلى الحومة «مسترق»
 الخطوات .

الشريف الأول : إن في هذا الاستراق شرفاً لمقترفه .

بارولس : ارتكبه يا كونت .

الشريف الأول : أنا ملازم لك وقطعة منك ، الآن وداعاً .

يوتروام : لقد نشأنا معاً ، فالانفصال ألهم ، كتقطيع الأوصال .

الشريف الأول : إلى اللقاء أيها الرئيس .

يوتروام : إلى اللقاء يا عزيزي بارولس .

بارولس : أيها البطلان النبيلان ، إن سيفي وسيفكما صنوان ، حدة

ومضاء ، وبريقاً وسناءً ، وتماثلاً في المعدن الكريم والماء

وإنكما لواجدان في فرقة الإسبناي ضابطاً يدعى «سبوريو»

وعلى وجهه القبيح شارة حرب ، ندبة من جرح إثر طعنة كان

حسامي هو طاعنها ، فإذا لقيتماه فقولاً له إنني لا أزال حياً ،

واحفظا ما هو عني قاتل .

(٢) أي سوف أخطر إلى المشي في أذيال الغواني والرضا بابتذالهن لي والعبارة في الأصل مأخوذة عن الخليل ، وهي في حريفها «سأكون الحصان الأمامي في مركبة النساء» وهو الحصان الأول في مقدمة الخيول التي تهر المركبة الكبيرة .

الشريف الثاني : سنفعل أيها الضابط الكريم .

(يخرج الشريهان)

بارولس : ليرعاكما إله الحرب وليتخذكما تلميذيه المدللين ، والآن ماذا أنت صانع . .

(هنا يرتفع ستار فيبدو الملك في مقعده ويتقدم رجال الحاشية به محمولاً عليه) .

برترام : مكانك . . الملك قادم . .

بارولس : كن أكثر احتفالاً بالأشراف النبلاء ، فقد رأيته متحفظاً معهم بارداً في توديعك لهم ، ألا زدهم قولاً ، وبياناً ، لأنهم قوم يحرسون على أن يظهرُوا في أحسن طراز العصر ، فامش مشية الجنود المعلمين مثلهم ، وكل واشرب وتكلم ، واخط على هدى أكثرهم حظوة وأحسنهم قبولاً ، واتبعهم واقف على آثارهم ، وإن كان الشيطان في الرقص رائدهم ، وكن في وداعهم أكثر تبسطاً وإسهاباً .

برترام : وإني لفاعل .

بارولس : إنهم أمجاد وأكبرالظن أنهم سيثبتون بحسن البلاء ، وأنهم من المجالدين الأشداء .

(يخرجان)

(ينزل خلع الملك المقعد - ويدخل لاهيه)

- لافيه : اغفر لى يا مولاي ولما أحمله من أنباء .
(يحتر أمام الملك)
- الملك : انهض وارفع التكليف .
- لافيه : هاأنذا أنهض بعد أن نلت المغفرة ، وددت لو أن مولاي جثا ليسألنى الرحمة ، ونهض بأمرى من جثوته .
- الملك : وددت لو أنى فعلت ، لأكسر رأسك ثم أسألك الرحمة ، ثم استطعت أن تقف حين أمرك فى الوقوف .
- لافيه : فى الحق أنك ضربت ولكن لم تصب^(٣) ، إن الأمر وما فيه يا مولاي هو هل تريد البرء من علتك ؟ .
- الملك : كلا .
- لافيه : يا عجباً ، ألا تأكل عنباً أيها الثعلب الملكى^(٤) . . بل والله إنك لآكل من الأغراب الطيبة لو أن الثعلب العظيم استطاع الوصول إليها ، لقد اهتديت إلى طيبة تقدر على أن تنفخ الحياة فى الصخر ، وتجعلك ترقص رقصة الكروان وتملأك روحاً وحرارة وحركة ، وتكفى لمسة واحدة منها لتنهض من قبر الملك « بيان » ، وتضع القلم فى يد شارلمان ليكتب لها رسالة

(٣) اصطلاح أو عبارة مألوفة فى الفروسية والمنازلة بالسيف ، ومعناها أن نكة الملك لم تصب إصابة نفاذة ولكنه كان فيها كالفارص الذى لا يجيد الضرب فإن ضربته لم ترد عن لمس درع خصمه .

(٤) المعنى ، ألا تعتقد أن علاجك ممكن كالثعلب فى الحكاية المشهورة عنه ، بعد البرء عنباً حامض .

حب وهيام^(٥) .

الملك : ومن تكون هذه ؟

لافيه : هى طيبة قدمت إلينا يا مولاي وليتك تراها ، وأقسم بأيمانى وشرفى ، لو أننى أردت الجد فى التعبير ، بدون الهزل فى قولى ، لقلت إننى تحدثت إلى امرأة أجارتنى بأنوثتها وسنها ، وقدرتها ، وحكمتها ، وصدق عزميتها ، حتى استولت على دهشة لا أستطيع أن أعزوها إلى ضعفى فهلا أذنت فى مشوها بين يدين ، (لأن لقاءك هو طلبتها) لتعرف ما تريد ؟ بأن تعجب كيف استولى عليك هذا العجب .

الملك : هات إذن يا لافيه موضع إعجابك ، حتى نقاسمك العجب ،
أونزله عنك ، وبأن نعجب لك كيف أعجبك .
لافيه : وأنا سأصدع بأمرك ، ولن يستغرق ذلك شيئاً .

(يخرج مسرعاً)

الملك : من يكثر من المقدمات لا يأت بشئ .

لافيه : والآن اقبل .

(يعود ويفتح الباب ليلين فتدخل)

(٥) الملك بيان ابن شارلمان كانت وفاته عام ٨١٠ ، والمعنى أنها تكنى لإخراجه من قبره ، وأما الإشارة إلى شارلمان وصناعة القلم وفر البيان ، فهى تريد لما كان يعرف عنه من محاولته فى أخريات أيامه تعلم الكتابة .

الملك : إن لهذه العجلة جناحين حقاً^(٦) .
 لافيه : أقبل . . ها هو ذا جلالته ، تحدثني إليه عما يحول في خاطرك ،
 إنك لتلوحين دجالة ، ولكن جلالته قلباً يخشى هذا النوع من
 الدجالين ، وأنا عم كريسيديا^(٧) لا أحجم عن أن أترك
 الاثنين في خلوة معاً . . إلى الملتقى .

(ينخرج)

الملك : إيه أيتها الحسنة ، هل لعملك صلة بنا .
 هيلين : أجل يا مولاي الكريم ، لقد كان جبرار دى نارمون أبي الذي
 عُرِفَ في المهنة براعته .
 الملك : إني كنت أعرفه .

هيلين : حسبي معرفتك له فهي تغني عن إزجاء المديح إليه ، وقد
 أعطاني وهو على فراش الموت عدة وصفات ، أخصها وصفة
 جاءت أعز ثمرات عمله وأغلى نتائج تجاربه ، وأمرني أن
 أحتفظ بها ، وأحرص عليها كأنها عين ثالثة ، بل أوفر أماناً
 من عيني الاثنين ، فصعدت بأمره ، وقد سمعت بما مس
 جلالته من علة قاسية ، تعد عطية أبي فعالة الأثر في البرء
 منها فجئت لأقدمها وأستخدمها بكل خضوع وخشوع .

(٦) أي ما هذه السرعة في حضورها ، كأنها جاءت طائفة .

(٧) هو ماندادراس الذي أحضر كريسيديا إلى ترويلاس ، والمراد هنا هو أن لافيه أراد التنكيث فقال
 إنه يرضى أن يترك هيلين في خلوة مع الملك .

: نشكرك أيها العذراء ، وإن كنا لا نصدق أنها الكفيلة لنا بالشفاء ، بعد أن تركنا أكبر أساتذتنا علماً ، وأجمع معاشري الأطباء ، على أن «الفن» مهما بذل لا يستطيع أن ينقذنا مما جرت به سنن الطبيعة ومن تلك الحال التي ليس منها شفاء - أقول إنه لا ينبغي أن نسيء إلى حكمتنا وتقديرنا ، أو نفسد أمانتنا وأملنا ، بتعرض دائتنا العضال ، للتجارب التي لا تقوم على أساس من العلم الصحيح ، ولا نرضى لأنفسنا وكرامتنا أن نتعلل بدجل تافه سخيف ، بعد أن عجزت كل معونة .

: حسبي أنني أدبت واجبي ، فلا أحاول أن أرغمك على قبول خدمتي إرغاماً ، ولكنني بكل خشوع ألمس من خواطرك يا مولاي خاطراً متواضعاً أعود به من حيث أتيت .

: لن أهبك أقل من شكري وعرفاني ، فقد خطر لك أن تمدى إلى يد العون ، وأنى لشاكر لك شكر الميت للذين يرجون له الحياة ، ولكنني أعلم حق العلم ما لا تعلمين شيئاً منه ، أنا أعرف كل ما بي من سقم ، وأنت لا تعرفين «فتاً» .

: لا بأس أن أحاول ما أستطيع ، مادمت مصمماً على رفض العلاج ، إن من يؤدي أخطر الفعال ، ويتم أعظم الأعمال ، كثيراً ما يستعين عليها بأضعف الأعوان ، وقد رأينا في الكتاب المقدس الولدان قضاة أهل سداد ورجحان ، وشهدنا القضاة

في حكمهم كالولدان^(٨) ، وإن أعظم الفيضانات قد ينبعث من أقل الموارد ، وأصغر النبعات ، وإن البحار نضبت حين أنكرت المعجزات وكذبت^(٩) ، وكثيراً ما يجيب الذي كان متوقفاً وأكثر ما يكون ذلك حيث يصبح الأمل أعظم ما يكون قوة ، وغالباً ما يتحقق ما كان الأمل فيه واهياً واليأس منه قوياً .

الملك : لا ينبغي لي أن أستمع إليك ، وداعاً أيها العذراء الخنون الكريمة ، وستجزى نفسك بنفسك على جهودك التي لم تستثمر ، ولن لم أقبل ما عرضته ، ولم أستجب لما سألته ، فليكن شكرك لك هو الجزاء .

هيلين : ياللكفاية المهملة حين تذار بالقول عن مرادها . . ليس هذا شأن العلم الخبير بكل شيء ، ولكنه شأننا نحن ودأبنا نعتمد على المظاهر وحدها في كل حِسِّنا وتفكيرنا ، وندعى ما ليس من صنعنا ، ونزعم أن ما فعله الله هو من فعلنا ، أيها العزيز تقبل محاولتي ، ومن السماء ، لامنّي ، فلتجرب تجربتي ، ما أنا بدجالة ، ولا مدعية ما ليس لي ، ولا بزاعمة شيئاً أنا عنه عاجزة ، ولكني أعرف ما أعتقد ، وأعتقد يقيناً أنني

(٨) إشارة إلى ما ورد في التوراة عن سيرة دانيال بشأن الولدان الذين عرفوا في الصغر بالحكمة وفصل الخطاب ، وعن القضاة الذين أخطأوا في الأحكام . وفيما تلا ذلك من الكلام شرح لهذا المعنى وبيان .
(٩) إشارة إلى البحر الأحمر وفراعون مصر من طارد موسى وكيف انتشق البحر ليريقومه .

أعرف ، أن في ليس عاجزاً ، وأن مرضك ليس لحدود البرء متجاوزاً .

الملك : أنت واثقة إلى هذا الحد ، وفي أى فترة تؤملين لى البرء .
 هيلين : بعون الله ، قبل أن تم جياذ الشمس التى تحمل مشعلها المتقد دورتها مرتين ، وقبل أن تطفى فى بحر المغرب الأعظم مصباحها الناعس الخافت إطفاءتين ، أو تنبئ ساعة الريان دقائقها المختلسة كيف تمضى أربعاً وعشرين مرة ، يزول كل ما يحسمك السلم من سقام ، وتحيا الصحة فيه خلية من كل دواء ، ويموت المرض موتاً ، وتضى العلة فناء^(١٠) .

الملك : وما الذى به تغامرين ، إزاء هذه الثقة ، وهذا اليقين ؟
 هيلين : إذا لم يتحقق يقينى ، فاعددنى عديمة الحياء ، جريئة جراءة العاهرات ، معلنة العار ، فى أهجى القصائد والأشعار ، وليبدل اسمى « العذراء » ، بنقيضه فى الصفات والأسماء ، ولتنته حياتى بعذاب الهوان ، وهو ما لا يمكن أن يكون أسوأ من ذلك السوء .

الملك : نخيل إلى أن فى كلامك روحاً مباركة تتحدث ، وفى ضعفك صوتاً قوياً ينبعث ، وأن ما يبدو مستحيلاً أن أنظر إليه فى

(١٠) يقول أحد الشراح إنه من الصعب أن نصدق أن شكبير كتب هذه العبارة أو من الصعب أن نصدقها فيها مع هذا الوصف العجيب لقصر فترة العلاج الكفيل بالشفاء ، ويقول بعضهم إن شكبير أخطأ هنا فظن أن ساعة الريان فى الباخرة هى ساعة كاملة لأنها تم دورتها كل نصف ساعة .

ضوء العقل العادى قد يكون مستطاعاً أن أنظر إليه من نواح أخرى ، إن حياتك غالية ، لأنها استوفت فيك كل ما يتطلبه معناها ، ويعز قدرها من قيم ، الشباب ، والجمال ، والحكمة ، والشجاعة ، وكل ما فى إمكان السعادة ونضرة الشباب ، أن تسمياه سعادة ، وأن تغامرى بذلك كله ليدل على أنك حتماً ذات مهارة بالغة ، وحذقاً متناهياً ، أو يوحى بتهور شنيع ، أيتها المتطبعة الحسنة ، سأجرب دواءك ، فإن مت منه ، فسيؤدى هذا إلى موتك .

هيلين : إذا تجاوزت الوقت المحدد ، أو أخفقت فى أى جزء صغير مما وعدتكم به ، فدعنى أمت بغير رحمة أورثاء ، لأننى للموت عندئذ مستأهلة ، وهو لى فى الحق جزاء ، وليكن الموت على العجز أجري ، ولكن بـم أنت واعدى ، إذا كان النجاح حليفى ! .

الملك : اطلعى ، توهي .

هيلين : أحقاً أنت منجز ما تعد ؟

الملك : أجل ، بسلطان صولجانى ، وأملى فى الله .

هيلين : أنهى عندئذ بيدك الملكية ، أى زوج فى مملكتك أشياء على

أننى لن تبلغ لى الغطسة أن أختاره من بيت الملك فى فرنسا أو أن أقرن اسمى المتواضع الصغير ، باسم أى فرع منه ، أو من يمثله ، بل إن هذا الذى أتحدث عنه من أتباعك ، وأنا

أعرف ألا ضرر علىّ في أن أطلبه ولا يعز عليك أن تجيئني إلى
طلبي .

الملك

: هذه يدي ، موثق موعدي ، وسيكون لك عندي ،
ما تشاءين ، فعيني الزمن الذي تطلبين ، لأنني أنا مريضك
الذي عقد نيته ، سيضع ثقته فيك على الدوام ، إنني
سأسألك فوق ما سألت ، ولا بد لي من ذلك السؤال ، وإن
كان الازدياد من طلب المعرفة لا يدل على زيادة في الثقة من
أين أتيت ، وكيف نشأت - ولكني مرحب بك بدون سؤال
ومكرمك بدون أن تداخلى في أمرك رية - وإذا مضى
عونك كعهديك ، لم يكن ما أعمله لك أقل من عملك .
(طبول - ينصرفان)

المشهد الثانى

(تدخل الكونتيسة والمهرج)

الكونتيسة : أقبل يا هذا فأنى ممتحتك لأرى إلى أى مدى تبلغ آدابك ،

وإلى أى حد يمكن أن يكون فى المجتمع الرفيع مسلكك .

المهرج : سوف أترأى حسن التغذية ، ردئ التربية ^(١١) ، وأنا أعرف

أن المهمة التى سأمتحن بها لن تتعدى الذهاب إلى البلاط .

الكونتيسة : لا تتعدى الذهاب إلى البلاط ! أى مكانة خاصة تتبوأ ، حتى

تقول إلى البلاط بهذه السخرية ؟

المهرج : حقاً يا مولاتى ، إذا وهب الله إنساناً شيئاً من الآداب ، تيسر

له أن يخلعها فى البلاط ، ومن لا يستطيع أن يطوى ساقاً

ويرفع قبعة ، ويقبل يداً ، ولا يقول شيئاً ، فليست له ساق

ولا يدان ، ولا شفة ولا قبعة ، ومن كان هذا شأنه ، فهو فى

واقع الأمر ، إن شئت الدقة لا يصلح للبلاط ، أما أنا . فإن

عندى لكل النامس الرد الصالح .

الكونتيسة : حقاً إنه لرد كريم يصلح لكل سؤال .

المهرج : إنه مثل «كرسى» الحلاق ، يصلح لكل الأعجاز ، الناحل ،

والسمين ، والمقتول ، وأى عجز .

(١١) إشارة إلى مثل يقول «الإطعام خير من التعليم ، أو أطمعنى ولا تعلمنى» أو ما إليه .

- الكونتيسة : أ يصلح ردك لكل الأسئلة .
- المهرج : كما تصلح عشرة قروش ليد وكيل مفوض ، والريال الفرنسى للبنى ذات الثوب الحريرى الخفيف ، وخاتم زواج فلان فى أصبع فلانة ^(١٢) وقطعة الفطير لثلاثاء الزفر ، ورقص المغاربة لعيد الربيع ^(١٣) ، والمسمار للشق الذى يدخل فيه ، والديوث لقرنه ، وكما تصلح الفاجرة اللوامة للوغد الشرس ، وشفتا الراهبة لقم الراهب ، والحشو للأديم الذى يحويه .
- الكونتيسة : إني أسألك هل لديك ردًا يصلح لكل الأسئلة .
- المهرج : إن ردى يصلح لأى سؤال ممن هم دون «الدوق» عندكم إلى من هم تحت «الكونستابل» .
- الكونتيسة : لا بد أن يكون ردًا ضخماً الحجم حتى يصلح لكل المطالب .
- المهرج : ولكنه قد لا يكون إلى حد ما فى الحقيقة ، إذا تحدث العارفون عنه على حقيقته ، ها هو ذا بكل ما يتعلق به ، سلبني هل أنا من رجال البلاط ، ولا تخشى من الجواب ضيراً .

(١٢) فى الأصل «تب وتوم» وهما من أسماء العامة كزقروق وظرفية عندنا ، وكانت العادة قديمة أن يعطى الرجل خاتماً من الأسل إلى المرأة ليعيشا معاً فى حياة أشبه بالزواج . ولكن ليس به فى الحقيقة ، وقد نه رجال الدين فى القرن الثالث عشر إلى هذه العادة المستهجنة ، وأن النساء قد يجذعن بالخاتم فيلمن للدين يجذعن به ، والمعنى هنا أن هذا الشيء زهيد بنسب .

(١٣) فى الأصل «الموديس لعيد مايو» وقد رأيت بعض المفسرين يقول : إن الموديس هو «المغرى» أو المراكشى ، أى نوع من الرقص .

- الكونتيسة : ليتنا نعرف كيف نعود إلى الشباب للنهوض ، إننى فى توجيه هذا السؤال إليك سأكون خالية من الفطنة ، ولكنى أرجو أن أصيبها من ردك ، قل لى من فضلك يا سيدى هل أنت من أهل البلاط ؟
- المهرج : مولاي وسيدى^(١٤) ، هذا سؤال لا رد لى عليه غير تأجيله ، اسألى سؤالاً آخر ، مائة من الأسئلة .
- الكونتيسة : إننى صديقة لك مسكينة ، صديقة تحبك .
- المهرج : مولاي وسيدى . . هذا كثير . هذا كثير . . لا تتخلى عنى .
- الكونتيسة : أظنك يا سيدى لا تأكل من هذا اللحم المتزلى . .
- المهرج : مولاي وسيدى ، بل ها أنا أناشدك .
- الكونتيسة : أحسبك يا سيدى قد ضريت بالسوط من عهد قريب .
- المهرج : مولاي وسيدى ، لا تتركينى .
- الكونتيسة : هل تصيح «مولاي وسيدى» عندما تساط ، وهل تقول «لا تتركينى» ؟ ، حقاً إن صيحتك «مولاي وسيدى» لأنسب لازمة لضربك ، وخير رد على جلدك ، إذا شد له وثاقلك ، وكان فيه قيدك .
- المهرج : لم أشهد فى حياتى أنعس حظاً منى فى قول «مولاي وسيدى»

(١٤) هكذا اعتاد رجال البلاط أن يتخاطبوا «مولاي وسيدى» عند الإجابة عن كل سؤال ، والمهرج هنا يقلدهم نهكاً بهم وسخرية من غفلتهم .

وأعتقد أن الأشياء قد تخدم المرء طويلاً ، ولكنها لا تخدمه دائماً .

الكونتيسة : إننى أضيع وقتى عبثاً كربة بيت فى التفكه مع مهرج .
 المهرج : مولاي وسيدى . . هامى ذى تخدم الآن مرة أخرى .
 الكونتيسة : كفى هذراً يا هذا . . خذ هذا الكتاب إلى هيلين وقل لها
 تعجلى بالجواب ، واقرئ قومى وابنى السلام وليس هذا
 بكثير .

المهرج : ليس بكثير إقراؤهم السلام .
 الكونتيسة : أنت فاهم مرادى . ليس بعمل كثير لك .
 المهرج : بكل إخلاص سأكون هناك قبل ساقى .
 الكونتيسة : وعد بمثل عجلتك ذاهباً .
 (يخرجان)

المشهد الثالث

(يدخل برترام ولافيه الشيخ وبارولس)

لافيه : يقولون لقد مضى عهد المعجزات ، ولا تزال نرى بيتنا من « المتفلسفة » من يجعلون الخوارق والأحداث التي لا ترجع إلى علل ومسببات ، شيئاً مألوفاً ، وأمرأ عادياً . ولم نعد نخشى الخوارق ، بل نحاول تعليلها أحياناً ، بظواهر الطبيعة ونواميسها^(١٥) ، وكان أولى بنا أن نرتضيها كما هي إيماناً ، ونعدها خارقة يقيناً .

بارولس : إنها لأندر أعجوبة ظهرت في أيامنا هذه .

برترام : إنها لكذلك .

لافيه : أن يئأس من برئه الأساطين .

بارولس : هذا ما أقول وجالينوس وباراسيلسوس كذلك^(١٦) .

لافيه : وسائر العلماء والجهابذة .

بارولس : حقاً .

(١٥) أى يحاول العلماء أن يقولوا : إن الحوادث التي ليس لها سبب طبيعي هي حوادث عادية مألوفة ، ولم نعد نخاف من الخوارق ونردها إلى أسباب طبيعية ، وكان أولى بنا أم نؤمن بها بلون بحث أو تحقيق في عللها . ولعله في قوله : « الحكماء » يشير إلى السر والزرالي وأشباعه الملاحدة الذين ينكرون الخوارق والمعجزات . « والمتفلسفة » أدعياء الفلسفة وفي الأصل « الأشخاص المتفلسفون » .
(١٦) طيبان مشهوران في القرون الماضية .

- لافيه : الذين حسبوا علته مستعصية عضالاً .
- بارولس : هذا هو عين ما أقول (١٧) .
- لافيه : ليس في وسعنا أن نقول غير ما قلنا .
- بارولس : حقاً . وفي الواقع . كأن رجلاً يؤكد له .
- لافيه : إن حياته في خطر وموته محقق .
- بارولس : قلت حقاً . وهو ما كنت أنا قائله .
- لافيه : والحق أقول إنها لحدث جديد في العالم .
- بارولس : هو كذلك في الواقع ، ولو عرض على الناس لقرأته فيما يدعونه .
- لافيه : « بحث في المعجزات السماوية . على أيد بشرية » (١٨) .
- بارولس : تماماً ، وهو ما كنت قائلة بعينه .
- لافيه : إن درفينك ليس أكثر بأساً (١٩) إنني أتكلم عن . .
- بارولس : إنه لغريب . بل جد غريب ، هذا هو جملة الأمر وتكراره ، وهو وإن كان ذا الروح الشريرة لا يريد أن يعترف بأنه . .
- لافيه : من صنع السماء .
- بارولس : نعم ، هذا ما أقوله .

(١٧) يلاحظ أن بارولس يؤمن على كل ما يقال ليوهم أنه يعرف كل شيء ، كما سيبدو في الحوار التالي كله .

(١٨) الظاهر أن هذا هو عنوان كتاب أو رسالة في موضوع المعجزات ، والكلام على هذا النحو يتضمن سخرية منه ومن العلماء الذين ينحون في تعليلهم للخوارق والمعجزات هذا النحو .

(١٩) « الدرفين » مشهور بكثرة القفز والوثق ، وهو ما يبدو من بارولس في تأميناته على كلام الشيخ .

- لافيه : إن فى أضعف الخلق .
- بارولس : وأوهنهم قوة عظيمة ، وسمواً بالغا ، قد تنتفع بها فى شىء آخر غير شفاء الملك من علته حتى . .
- لافيه : حتى يظفر بشكر الناس جميعاً وعرفانهم .
- (يدخل الملك وهلين والحاشية)
- بارولس : كنت أريد أن أقول ذلك . لقد أحسنت القول ، ها هو ذا الملك قادم .
- لافيه : شىء يفرح ، ليتنى أظفر بفتاة كهذه وأنا لى سن فى فى يا عجباً ، إنه ليستطيع أن يتقدم بها إلى حلبة رقص .
- بارولس : عجباً . أليست هذه هيلين .
- لافيه : أى والله ، إني لأظنها هى .
- الملك : اذهبوا ادعوا إلى كل أشرف البلاط وساداته ، واجلسى يا منقذتى بجانب مريضك . وبهذه اليد الموفورة العافية التى رددت إليها إحساسها الذاهب تلقى مرة أخرى توكيد وعدى لأنه لا ينتظر غير أن تعينى من هو ليكون لك من تشاءين .
- (يدخل ثلاثة أشرف أو أربعة ويقفون أمام الملك وينضم إليهم برنارم) - أيتها الحسنة أرسلى بصرك إلى هؤلاء الشباب ، من الأشرف العزاب ، هاهم أولاء يقفون ماثلين ينتظرون هبتى ، وسيادة سلطانى ، وصوت أبوتى ، فمن حقلك أن تختارى ، وليس لأحد أن يرفض .

هيلين : لكل منكم حسناء ذات خلق ، إذا شاء الحب أن يجعلها من نصيبه ، إلا واحداً .

لافيه : إني لأنزل عن حصاني « كيرتال » بسرجه وعدته ، لو كان لى أسنان كهؤلاء الفتيان ، ولحية قصيرة كلكاهم .

الملك : تأملهم طويلاً ، لا من شاب بينهم إلا من أب ماجد .
(تقدم إلى أحدهم)

هيلين : أيها السادة ، إن الله قد رد على يدي إلى الملك صحته .
الجميع : لقد علمنا ذلك ونحمد الله إليك .

هيلين : لست إلا فتاة خفزة ، أعز ما تملك الحياء^(٢٠) ، وأعلى ما عندها الخفر ، وها أنتذى يا صاحب الجلالة أستشعره ، ولا أنكره ، إن الحمرة التى علت الوجنتين تهمس لى « أن أستحي من أن تختارى ، فترفضى ، فليعد البياض إلى الوجنة أبدأ ، ولن أعلو لك صفحة ولا أصعد خداً » .

الملك : اختارى ، وانظرى ، من يأب حبك ، يأب حبي كله .

هيلين : الآن من معبدك ياديانا أطير^(٢١) ، وإلى الحب الجليل ، ذلك الإله الرفيع ، تتدفق زفرانى .

- سيدى هل تستمع إلى خطبتي ؟

(٢٠) تقول : إن « الحياء » يتحدث إليها ، ويقول لها : إني أخشى من أن تقابلى بالرفض .

(٢١) المعنى أننى الآن سأترك عبادة « ديانا » إلهة العذارى والتبتل ملتزمة حياة الأزواج ، وقد قالت

هيلين كلمتها هذه قبل أن تنهض لتطوف على الأشراف الشباب ، إلى أن تنهى عند برترام .

الشريف الأول : وأوافق عليها .

هيلين : شكراً يا سيدى وهذا حسبي .

لافيه : إني لأوثر أن أكون في هذا الاختيار ، على أن أرمى النرد على الحياة أو الموت فأصيب الخسارة .

هيلين : إن الشرف يا سيدى الذى يتقد في عينيك الجميلتين يحببني قبل أن أتكلم متوعداً ، مهدداً ، إن الحب يجعل قدرك فوق من تريدك ، عشرين مرة ، وفوق حبها المتواضع .

الشريف الثانى : لا أرجو مزيداً .

هيلين : إن رغبتى هي أن تتلقى ما يمنح الحب العظيم ، وبهذا أنصرف .

لافيه : أكلهم رافض سؤلها ، لو كان هؤلاء أولادى ، لأمرت بجلدهم أو لبعثت بهم إلى التركي ليجعل منهم خصياناً .

هيلين : (إلى شريف آخر) لا تخش أن أتناول يدك ، لأننى لا أريد أن أسمى إليك إكراماً لك وإنما أدعو لك بالبركات ، وأن يسعدك الحظ فتجد في فراشك خيراً منى إذا تزوجت .

لافيه : كأن هؤلاء فتيان من الجليد ، لأن كلهم لا يريدوا ، لاشك عندى في أنهم ليسوا من أبناء الإنجليز ، ولا هم من أصلا ب
الفرنسيين (٢٢) .

هيلين : أنت من حداثة السن ، ونقاء الخاطر ، ووفرة الطيبة بحيث لا تصلح أن تأتي بولد من دمي .

الشريف الرابع : لا أظن ذلك أيتها الحسنة .

لافيه : لا يزال هنا واحد يجرى في عروقه دم طيب من أبيه ، فإذا لم تكن أنت حاراً ، فأنا غلام في الرابعة عشرة ، لقد عرفتك من قبل .

هيلين : (برترام) لا أجرؤ على القول بأنني آخذك ، بل أقول أعطيك ، نفسي وإخلاصي ما دمت حية ، أسترشد بعونك ، وأستلهم قوتك ، هذا هو الرجل الذي أريده .

الملك : إذن أيها الشاب برترام ، حذها إنها زوجك .

برترام : زوجتي يا مولاي ؟ إني أتمس من جلالتك أن تأذن لي في هذا الأمر أن أستعين عيني ، وأستوحى فيه ناظري .

الملك : ألا تعلم ماذا صنعت لي ؟ .

برترام : أجل ، يا مولاي الكريم ، ولكني لا أرجو يوماً أن أعرف لم ينبغي أن أتزوج بها .

الملك : أنت تعلم أنها أنهضتني من فراش مرضي .

برترام : ولكن أيستلزم هذا يا مولاي أن تعرضني للمهانة والعار ،

أفهل من واجبي أن أتحمل أنا نتيجة برثك ؟ . إني أعرفها

حق المعرفة ، لقد كان أبي هو الذي تولى تنشئتها ، أنا أخذ ابنة

طبيب فقير لي زوجاً ، سيلحقني بذلك عار لا ينمحي أبداً .

: إن ما تحقره من شأنها مرده إلى اللقب وحده ، وفي وسعى أن
أهيبها إياه ، ومن عجب أن لا تفترق في الدم ، ولا في
اللون ، ولا في الوزن ، ولا في حرارة البدن ، ولكننا مع ذلك
كله لا نزال في أمر الألقاب جد مختلفين ، وإذا كانت الفتاة
ربة فضائل (ولا ينقصها إلا ما تكرهه فيها وهو أنها فتاة فقيرة ابنة
طيب) ، فإنك إذن تكره الفضيلة من أجل المحتد واللقب ،
ولكنى أربأ بك أن تفعل ، وإذا أنت المكارم من المكان
الأوهد ، شرف المكان بما يفعله شاغله أما إذا ضخمت
الألقاب ، وازدهينا بها ، بغير خلال ، فشرفها أجوف ،
والمجد بها مزيف ، إن الخير وحده هو الخير بغير لقب ،
وكذلك شأن الشر ، لا يؤخذ بلقبه وخطره ، وإنما يؤخذ
بفعله وأثره ، إنها فتاة ، حكيمة ، جميلة ، ورثت كل هذه
الحامد من الفطرة ذاتها ، وحسب ذلك للشرف الرفيع بانياً ،
وعن اللقب الكبير مغنياً ، وما يتراءى شرفاً موروثاً ، ويدعى
أنه جاء من المنبت مغروساً ، هو من الشرف سخرية ، إذا لم
يكن مماثلاً لمن ورث منه ، إن الشرف لينمو بأعمالنا ويذخ
ويسمو بفضل فعالنا ، لا بأسلافنا ، وألقاب آبائنا ، إن كلمة
«شرف» مزدراة على كل قبر ، وهي نصب كاذب على كل
حدث ، وكثيراً ما تكون نصباً أخرس أصم ، فوق تراب يهال
ويركم ونسيان وعدم ، فوق العظام الشريفة حقاً ، وماذا

عساك أن تقول ؟ . . إذا لم تستطع أن تقبل هذه المحلوة فتاة
عذراء ، فأني بالباقي لرعيم ، بائنتها هي ذاتها وفضيلتها ،
أما الشرف واليسار فأنا كفيل بهما .

: لا أستطيع أن أحبها ، ولا أن أحاول أن أحبها .

: إنك لظالم لنفسك إذا حاولت أن تختار .

: حسى يا مولاي أنك استرددت عافيتك ، ودع مادون
ذلك .

: إذ شرفي أصبح مهدداً ، فلأفزع إلى سلطاني ، دفاعاً عنه
وذوداً ، اسمع أيها الغلام المتكبر المتعجرف ، تناول يدها ،
إنك بهذه الهدية الكريمة غير خليك ، وأنت بهذه السخريّة
المنكرة تنقص من حى ومن قدرها . ألا تدرى أننا لو وضعنا
قدرنا معها فى الكفة المرجوحة ، لثالت كفتك ، ألا تعلم أننا
نحن الذين نبث شرفك حيث نشاء أن ينمو وينضج ، دع
عنك هذا الازدراء ، وأطع مشيئتنا ، لأنها تعمل لحريك ،
ولا تصدق زهوك وخيالك ، وبادر إلى إيتاء نفسك حقها
الذى يفرضه الواجب عليك ، ويتطلبه سلطاننا منك ،
وإلا لفظتلك من عطفي إلى الأبد ، وألقيت بك إلى التيه ،
والتشرد ، وتركك لفراغ الشباب والجهل ، وأطلقت
موجدنى وكراهيى تفرسانك افتراساً ، باسم العدالة ، بدون
رحمة ، تكلم ، قل ما جوابك ؟

برترام

الملك

هيلين

الملك

: عفواً أيها المولى الكريم ، إني أعرض ولالى وحيى على عينيك ، وبعد أن شهدت كيف تنفذ في العظام مشيتك ، ويطير الشرف الباذخ حيث تأمره أن يطير ، رأيت التي كانت بالأمس في خاطري أحقر المخلوقات ، تصبح اليوم موضع إطراء الملك ، فكأنها بهذا التشريف ولدت شريفة ، وجاءت من المنبت من المكرمات .

برترام

: خذها باليد وقل لها إنها صاحبتك ، وإني لواعدها عدل ذلك عطاء ، فإذا لم يكن بقدر ما أوتيت ، فأكثر منه ، ولدينا مزيد .

الملك

: أتقبل يدها .

برترام

: الحظ السعيد ، وحظوة الملك يباركان هذا القران وسيتلوه الزفاف على الأثر ، فيقام الليلة بالذات ، بعد توقيع الأوراق القانونية وقد أعدت من قبل ، أما الاحتفال الرسمي فسيؤجل حتى يقدم الصحاب الغائبون ، وإذا أحببتها كان حبك في عيني فريضة مقدسة ، وإلا كان النقيض خطيئة وإثمًا .

الملك

(يخرجون عدا لافيه وبارولس للتحقيب على هذا القران)

: هل سمعت يا سيد ؟ أريد كلمة معك .

لافيه

: أمرك يا سيدي

بارولس

: لقد أحسن مولاك وسيدك في تراجعته عن أبائه .

لافيه

: تراجعته ؟ مولاى . . . سيدي ؟ !

بارولس

- لافيه : نعم ، أليس هذا لغة مفهومة وكلاماً واضحاً ؟
- بارولس : أغلظ لغة وأخشن كلام ، ولا يمكن أن يفهم ، بغير سفك دم^(٢٣) ، أقول عنه أنه سيدي ؟
- لافيه : أنت إذن رفيق للكونت روسيون وند له . .
- بارولس : ند لأى كونت ، ولكل كونت فى العالم ، ولكل رجل .
- لافيه : لكل رجل فى خدمة الكونت ، أما سيد كونت فن طراز آخر .
- بارولس : أنت شيخ هرم ، فلتقنع بهذا الذى أنت فيه .
- لافيه : لتعلم يا هذا أننى رجل ، وهى صفة لن تكسبك الشيخوخة منها شيئاً .
- بارولس : إن ما أجرؤ على فعله وأحسنه ، لا أفعله .
- (يضع يده على مقبض سيفه)
- لافيه : لقد ظننتك بعد جلستين إلى العشاء إنساناً أريباً عاقلاً ، لأنى سمعتك تتحدث بإسهاب عن رحلاتك ، فقلت جاتر ، ولا بأس ، ولكن ثيابك وشاراتك صرفتنى كثيراً عن اعتقادى أنك وعاء ثقيل الحمل ، كبير الوزن ، لقد اكتشفتك الآن ، فلا أراع إذا أنا عدت ففقدتك ، إن مخلوق لا تصلح إلا لأن تكون نقرأ فى الجندية وإن لم تكن بهذا خليقاً .

(٢٣) فى الأصل - بغير معركة مجتة - أى لا بد من مبارزتك وقتلك جزء لك على هذا الكلام

بارولس

: لولا أنك طاعن في السن ، لما . . .

لافيه

: لا تستسلم كثيراً للغضب ، فتعجل بنفسك ، رحمة الله

عليك ، إنك لدجاجة «قواقة» ، إلى اللقاء إذن يا نافذة

ذات قضبان متقاطعة^(٢٤) ، لا حاجة بي إلى أن أفتح

إطارها ، لأنني أخترقك بناظري ، هات يدك .

(يعد إليه يده)

بارولس

: ياسيدي إنك لتدريني أبشع ازدراء .

لافيه

: أجل من كل قلبي ، وأنت به جدير .

بارولس

: لا أستحق هذا ياسيدي منك .

لافيه

: بل يمين الله أنت مستحق لكل درهم منه ، ولن أنقصك

مقال ذرة .

بارولس

: سأزداد عقلاً .

لافيه

: أسرع قدر جهدك ، لأنك لن تلبث أن تذوق طعم النقيض

وتدرك بعد هذا الفعل الذي تدعيه أنك أحق ، ولو قدر

لك يوماً أن يشد وثاقلك بملفعتك ، وتضرب ، لعرفت عندئذ

كيف تفاخر وترمى بمهاتك ورباط مدلتك ، إنني لأود أن

أمتنع عن معرفتك أو بالحرى عن علمي بك ، حتى أستطيع

إذا احتاج الأمر أن أقول إنني عرفت رجلاً .

(٢٤) شيش شبك ، نافذة بشبكة يمكن النظر من خلال نقوبها - أى أنك مكشوف .

بارولس

: إنك يا مولاي تغضبني غضباً لا يحتمل مطلقاً .

لافيه

: لوددت أن يكون عذاب الجحيم لك ، وأن يبق عملى هذا

القليل قائماً إلى الأبد . لأنى فت زمان العمل وتجاوزته ، كما

أفوتك الساعة وأتجاوز عنك مسرعاً قدر ما تسمح به سنى

المتقدمة .

(يخرج)

بارولس

: إن لك ابناً سيحمل هذه المعرة عنى أيها الشريف الشيخ القدر

الأجرب ، ولكنى لآخذن نفسى بالصبر والتجلد ،

فلا جدوى من منازعة أهل السلطان ، ومجادلة ذوى الجاه

والنفوذ ، وحق حياتى إذا لقيته فى وقت مناسب لضريته

ولو كان مائة شريف فى بعضهم البعض ، ولن تأخذنى بسنه

رحمة ، سأضربه إذا أنا لقيته مرة أخرى .

(يدخل لافيه)

لافيه

: يا هذا ، إن مولاك وسيدك قد تزوج ، هذا نبأ جديد لك . .

ستكون لك مولاة وسيدة جديدة .

بارولس

: أرجوك يا مولاي مخلصاً أن تقلل من إهاناتك ، وترقق قليلاً

فى غلوائك ، إنه مولى كريم ، أما سيدى الذى أدين له

بالطاعة فهو الذى فوقنا .

لافيه

: من . . الله ؟

بارولس

: أى نعم يا سيدى .

: بل الشيطان مولاك ، لماذا أراك تربط ذراعيك في هذا الثوب
الرحيب الكم ، أتجعل من كميك جورباً ، وهل يفعل الخدم
الآخرون هذا ، لخير لك لو أن جُرْعَكَ الأسفل كان حيث
يقف منحارك ، وشرفي لو أني كنت أصغر سناً مني بساعتين
اثنتين لضربتك ، ليخيل إلى أنك إهانة للناس عامة ، وأن
على كل إنسان منهم أن يضربك ، وأعتقد أنك إنما خلقت
لينفس الناس فيك عن صدورهم .

بارولس

: هذه معاملة أليمة لا أستحقها يا مولاي .

لافه

: حبسك ياسيد لقد ضربت في إيطاليا لأنك سرقت حبة
رمان ، وأنتك لشريد عيار^(٢٥) ، لا أخو رحلات حقاً
ولا صاحب أسفار وليس لك حق في الانتساب إلى السادات
الكبار ، والانتماء إلى الأشراف وذوى الأقدار ، لأنك عديم
النسب ، غير مذكور في دفاتر الشرفاء ولا مدون في القوائم
والسجلات^(٢٦) ، ولا أحسبك تستحق كلمة أخرى وإلا
لقلت لك أنك وعد ، إنني تاركك .

(يخرج - ويدخل برترام)

بارولس

: بديع . . بديع جداً ، لقد تم الأمر إذن . . بديع ، بديع
جداً ، دع الأمر مكتوماً إلى حين .

(٢٥) العيار الذي يجوب الآفاق يسأل الناس طعاماً .

(٢٦) ليس لك حق شرعي من جهة مولدك وأصلك في اعتبارك سيداً أصيلاً .

- برترام : لقد قضى على . وتركت للهموم والمتاعب إلى الأبد .
 بارولس : ما الخبر ، يا حبيبي ؟
- برترام : لن يحتوي فراش بجانبها ، وإن كنت قد أقسمت بين يدي
 الكاهن .
- بارولس : ماذا تقول ، ماذا تقول يا حبيبي ؟
- برترام : أواه يا بارولس ، لقد زوجوني مكرهاً ، إنني منطلق إلى
 حروب تسكانيا ، ولن أعاشرها .
- بارولس : إن فرنسا جحر للكلاب ولا تستحق أن يطأها الإنسان
 بقدميه ، فإلى الحرب إذن .
- برترام : لقد جاءت رسائل من أمي ، ولكنني إلى الساعة لا أعلم ماذا
 تحوي .
- بارولس : لابد من معرفة ما فيها ، إلى الحرب يا بني . . إلى الحرب ، إن
 من يقيم هنا مع زوجة لينعم بالعناق والأحضان ، كمن يحتجز
 الشرف في صندوق خفي لا يراه إنسان ، مستنفداً رجولته بين
 ذراعها ، وأولى بهذه الرجولة أن تدخر لوثة الحصان في سمرة
 الحرب ، وحومة الميدان . . فهلم إلى إقليم غير هذا الإقليم ،
 إن فرنسا اسطبل ، ونحن الذين نقيم فيها خيل لا بالكرام
 المظهات ، ولا بالجياد الصافيات ، فإلى الحرب .
- برترام : ليكون هذا ، وسأردها إلى دارنا ، وأنبيء أمي عن كراهيتي
 لها ، وإلى أني أنا فازع لاجئ ، وأكتب إلى الملك مالا أجزؤ

على قوله ، إن عطيته ستدفع بي إلى الميادين الإيطالية التي
يصول فيها الفتيان الكرام ويجولون ، إن الحرب لأهون من
بيت مظلم ، وزوج مكروه^(٢٧) .

بارولس : هل أنت واثق من أن هذه التزعة الفجائية ستستقر في
نفسك ؟

برترام : تعال معي إلى مخدعي ، لأستنصحك ، سأردها بغير توان ،
وغداً إلى التزال والطعان ، أما هي فإلى الأشجان وحدها
والأحزان .

بارولس : إن هذه الكرات الوثابة^(٢٨) تحدث أصواتاً ، وإن هذا الأمر
ليحز في نفسي ، إن الشاب المقترن ، هو بالبيلة مقرن^(٢٩) ،
فانطلق إذن واتركها بشجاعة وكرم ، إذهب ، لقد ظلمك
الملك بهذا القران ، ولكن عليك بالكتمان .
(مخرجان)

(٢٧) أى أن الحرب لا تقاس متاعها وأهوالها بالزواج الذي لا سعادة فيه ولا رضاء . إذا كان الزوج
يكره زوجته . وفي تفسير آخر لكلمة بيت مظلم إن الحرب أهون من الجنون ، إذ كانت العادة يومئذ أن
يدفع المجنون في مكان مظلم .

(٢٨) يشير إلى كرة التنس - التي تصنع من الجلد وتغشى بالشعر ، والكرة الجيدة منها تب من فوق
الأرض الصلبة في حلبة اللعب فتحدث صوتاً .

(٢٩) هنا شيء من الجناس بين مقترن ومقرن ، والمقرن هو المكبل بالأصفاد والسلاسل

المشهد الرابع

(تدخل هيلين - والمهرج)

- هيلين : إن أمي لكريمة في نحياتها وسلامها ، أهي بخير ؟
- المهرج : ليست بخير ، وإن كانت بصحتها ، وهي في أشد المرح ، ومع ذلك فليست بخير ، والحمد لله والشكر ، على أنها بخير ، وليست بها إلى الدنيا حاجة ، بيد أنها ليست بخير .
- هيلين : إذا كانت بخير ، فما يسقمها حتى لا تكون بخير ؟
- المهرج : إنها في الحقيقة بخير تام إلا من أمرين .
- هيلين : وما هما هذان الأمران ؟
- المهرج : أولهما أنها ليست في السماء ، إلى حيث يرسلها الله عاجلاً ، والآخر أنها في الأرض ، من حيث يرسلها الله سريعاً (٣٠) .

(يدخل بارولس)

- بارولس : بوركنت أيتها السيدة السعيدة الحظ .
- هيلين : أرجو يا سيدي أن يكون لي إخلاصك ويكون لك سعادة حظي .

بارولس : لقد دعوت لك من قبل أن تحتفظي بها ، فإن الاحتفاظ بها

(٣٠) من الصعب أن تنسب كلاماً كهذا لا يفهم المراد منه إلى شكبير ولكن كل هذا القول من المهرج يشير إلى اعتقاد الناس في ذلك العهد أن الموت أحسن من الحياة .

معناه أنها لا تزال باقية^(٣١) ، وأنت أيها الشقي كيف «تفعل»
مولاتك العجوز .

المهرج : لكى تكون لك غصونها ، ويكون لى مالها ، وددت لو أنها
«فعلت» كما تقول^(٣٢) .

بارولس : أنا لم أقل شيئاً .
المهرج : والعذراء إنك لحكيم ، لكم من رجل أوى لساناً يسبب هلاك

مولاه ، إنك ستقضى الجزء الأكبر من حياتك لا تقول شيئاً
ولا تعرف شيئاً ، ولا تفعل شيئاً ، ولا تملك شيئاً ، وإن
حياتك هذه لتقرب كثيراً من لاشئ .

بارولس : بعداً لك إنك لوغد .
المهرج : أولى بك أن تقولها أما وغد إنك وغد ، أى أنك أمامى
وغد ، وهذه هى الحقيقة ياسيدى .

بارولس : حسبك ، أنك لمهذار أحقق ، وقد اكتشفتك .
المهرج : هل اكتشفتنى فى نفسك ياسيدى ، أو هل علمت أن
تكشفنى . إن البحث كان لك مغنماً ، ولعلك مكتشف
حمقاً كثيراً فيك ، فيلهو الناس بك ويزداد بك الضحك فى

(٣١) لعله يشير إلى الحديث الذى جرى من قبل بينها عن الزواج ، وإلى ما حدث بعد ذلك .

(٣٢) كان رد المهرج على بارولس حين سأله ماذا تفعل مولاته ، أنه يود لو أنها «فعلت» كما يقول ،
وكلمة «فعلت» فى الإنجليزية وهى did تشابه لفظاً مع كلمة dead أى «ميت» أى وددت لو أنها

هذا العالم .

بارولس : أنت والله لوغد طيب ، ناعم بغذاء حسن (٣٣) ، سيدنى إن مولاي سيسافر الليلة فى مهمة خطيرة تستوجب رحيله ، وهو لحقك العظيم ، والحب الذى تفتضين مقر معترف ، ولكنه مرجئه لظروف قاهرة ، وسيترك النعم كله فى هذه الفترة وتقطر المتعة خلالها ، وتبقى طيلة هذه المهلة ، وبسبب هذا التأخير الذى لا معدى عنه ، حتى إذا حانت الساعة للقاء ، استفاض الفرح وامتلاً الإناء ، وبلغ السرور الخافقين .

هيلين : وماذا يبغى أيضاً ؟

بارولس : أن تستأذنى الملك فى الحال ، وتجعلى هذه العجلة من تلقاء نفسك ، وثمرة تفكيرك ، معززة بأسبابه ، وبما ترين من حسن المعذرة ، التى تظهر معها حقيقة .

هيلين : وبماذا يأمر أيضاً .

بارولس : أن تنتظرى بعد الحصول على الإذن ما يطلبه إليك .

هيلين : إننى منتظرة فى كل شئ أوامره .

بارولس : سأبلغه ذلك .

(يخرج)

هيلين : أرجو أن تأتى يا هذا .

(تخرج)

(٣٣) أى حسن التغذية ، والباقي مخوف ، وهو «ولكن سىء التربية» .

المشهد الخامس
حجرة أخرى في القصر
(يدخل لافيه - ويرترام)

- لافيه : ولكنى أرجوك يا مولاي ألا تعتقد أنه جندي .
- برترام : بل إنه لكذلك يا مولاي ، وقد ثبتت بالشواهد والأدلة بسالته .
- لافيه : لقد جاءتك هذه الشواهد من كلامه هو وأقواله .
- برترام : إلى جانب أدلة أخرى وشهادات صحيحة .
- لافيه : إذن لم تكن شواهدى دقيقة ، لقد حسبت هذه القنبرة درسه (٣٤) .
- برترام : أوكد لك يا مولاي أنه على علم واسع ، وأن شجاعته لا تقل عن علمه .
- لافيه : لقد أخطأت إذن في حق حنكته ، وتعديت على شجاعته ، فأننا إذن مقترف خطيئة مُجْتَرِحٌ إثماً ، ما دمت لأجد في نفسي نزوعاً إلى تكفير ، ولا رغبة في ندامة ، ها هو ذا قادم ، فأرجوك أن تصالحنا ، وعلىّ أنا أن أتابع الصلح بالمودّة .

(٣٤) القنبرة طائفة غردة واللرسمة باغمة لا تشلو ، أى كنت أظنه لاشيء ، فإذا هو على التقيض .

(يدخل بارولس)

- بارولس : مستير الأمور كما تريد يا سيدى .
- لافيه : قل لى من يكون حائكك . .
- بارولس : سيدى ؟ .
- لافيه : إننى أعرفه حق المعرفة ، إنه عامل ماهر ، وحائك بارع .
- برترام : هل ذهبت إلى الملك .
- بارولس : نعم .
- برترام : وهل هى الليلة راحلة . .
- بارولس : إذا شئت .
- برترام : لقد كتبت رسائللى ، وحزمت أمتعنى ، وأمرت بإعداد جياذنا ، والليلة حين أملك العروس ، أنتهى منها قبل أن أبدأ .
- لافيه : إن المسافر الأريب يستمع إليه فى آخر العشاء ، يكذب فى ثلاثة أمثال ما يرويه ، ويتكلم عن حقيقة معروفة ليغطفى بها ألف عبارة تافهة فيجب ألا يسمع إلا مرة وأن يضرب ثلاث مرات ، نجاك الله أيها القائد .
- برترام : هل وقع جفاء بين مولاي وبينك يا سيدى ؟
- بارولس : لست أدرى كيف استحققت أن أقع لديه فى غير موقع الرضا .
- لافيه : أنت الذى حاولت الوقوع بجذائك ومهاذك وكل شىء

لديك ، كالذى قفز فى الحلوى ، وأنتك لتفضل أن تخرج منها
على أن تبرر بقاءك فيها .

: لعلك وهمت فيه يا مولاي .

بوترام

: وسأظل كذلك أبداً وإن كنت قد أجبت طلبه إلى الملتقى

لافيه

يا مولاي ، وصدقنى ليس فى هذه البندقية الخفيفة شىء ، إن
روح هذا الرجل هى ثيابه ، فلا تركز إليه فى الأمور
الخطيرة ، فقد اقتنيت هذه الحيوانات الأليفة وعرفت
طباعها ، وداعاً يا سيد ، لقد تكلمت فى حقك خيراً
مما استحققت أو مما تستحق منى ، ولكننا مضطرون أن نفعل
الخير لنقاوم الشر .

(يخرج)

: أقسم أنه لمولى تافه .

بارولس

: لا أظن ذلك .

بوترام

: ألا تعرفه .

بارولس

: بلى ، أعرفه حق المعرفة ، وهو معروف على الأنفواه بسمعة
حسنة ، ها هى ذى الرباط المقيد رجلى قادمة .

بوترام

(تدخل هيلين)

: لقد تكلمت يا سيدى كما أمرتنى مع الملك واستأذنته فأذن فى

هيلين

هذا السفر العاجل ، ولكنه يريد أن يتحدث إليك حديثاً
خاصاً .

: سأمثل لأمره ، لا تعجبى يا هيلين لهذا المسلك الذى

برترام

لا يناسب الظرف الحاضر ، ولا يلائم عروسين فى يوم زفاف ،
ولا يتفق وما تتظرينه منى خاصة ، لأننى لم أكن متأهباً له ،
ولا مستعداً ولا مترقباً ، فلا عجب إذا رأيتنى مرتبكاً
مضطرباً ، وهو أمر يدفعنى إلى التوسل إليك أن تبادرى
بالعودة إلى البيت للتفكرى فى سرتوسلى إليك على هذا النحو
وباعث تضرعى ، ولا تسألينى فإن ما لدى من الأسباب أقوى
مما يبدو لك ، ورحيلى ينطوى على أمر أعظم من أن ينكشف
لعينيك وأجل من أن يتراءى لك لأول وهلة ، وأنت
لا تعرفين عنه شيئاً ، واحملى هذا إلى أمى (يعطيها رسالة)
وسيقضى يومان قبل أن أراك ، ولهذا أتركك لحكمة تصرفك .
: سيدى ، لست واجدة ما أقول إلا أننى خادمتك المطيعة .

هيلين

: حسبك ، حسبك ، لا تزيدى .

برترام

: وسأظل أبحث كيف أخفقت كواكب زواجى فى أن تتفق مع
كواكب سعدى .

هيلين

: دعى عنك هذا ، إننى فى عجلة بالغة ، وداعاً ! ، أسرعى
إلى البيت .

برترام

: أستمحلك معذرة يا سيدى .

هيلين

: ماذا تريدان أن تقولى ؟

برترام

: إننى لست للنعمة التى أملكها مستحقة ، ولا أجزؤ أن أقول

هيلين

إنها نعمتي ، وإن كانت كذلك ، ولكني كاللص الخائف
المتهيب أود أن أسرق ما هو شرعاً مالى ، وأختلس ما هو فى
نظر القانون ملك يمينى .

برترام : ما الذى تريدن ؟

هيلين : شيئاً ، يسيراً ، بل فى الواقع لا شئ ، ولست أقول لك
يا مولاي ما أريد ، إن الغرباء والأعداء يفترون ولا يتبادلون
القبيلات .

برترام : أرجوك ألا تترثى ، بل أسرعى إلى الخيل .

هيلين : لن أعصى لك أمراً يا مولاي الكريم ، أين رجالى الآخرون
يا سيدى ، الوداع .

(تخرج)

برترام : اذهبى إلى البيت الذى لن أعود يوماً إليه ، ما استطعت أن .

أمتشق حساماً ، وأسمع طبولاً ، هيا بنا . . ولنهرب .

بارولس : شجاعة وثباتاً . .

(يخرجان) .

الفصل الثالث

المشهد الأول

(طبول - يدخل دوق فلورنسا والأميران الفرنسيان مع جمع من الجنود)

الدوق : لقد سمعتم الآن تفصيل الأسباب الأساسية التي دعت إلى قيام هذه الحرب ، واقتضت أحداثها الجسام إراقة غزير الدماء ، واستثارة العطاش إليها والظماء .

الشریف الأول : إن هذه الأسباب يا مولاي من جانبكم شريفة مقدسة ، ومن جانب عدوكم منكرة دنسة .

الدوق : ولهذا أنا لقي عجب بالغ من ابن عمنا ملك فرنسا كيف يصم أذنيه في أمر عادل كهذا عن سماع طلبنا المعونة ، والاستجابة لنداء النجدة .

الشریف الأول : أيها المولى الكريم ، لست أعرف الأسباب التي بنت عليها دولتنا خطتها ، ولكني كرجل عادي لا خبرة له بالسياسة أحاول بالحدس الضعيف وحده إدراك اتجاهات المجلس وأوضاعه المستغلقة على الأفهام ، كأوضاع الكواكب ، وحركات الأجرام ، ولهذا لا أجرؤ أن أقطع فيها برأى ، إذ وجدتني أحياناً كثيرة مخطئاً في حدسي وتخميني كلما بدا لي أن

أفعل ذلك .

: لتكن مشيئة .

الدوق

: ولكنى على يقين أن الشباب ممن هم على شاكلتنا ، والذين
أنخمتمهم الدعة ، وشموا الإسراف على أنفسهم ، سيهرعون
إلى هنا انتجاعاً للدواء من الداء .

الشريف

: مرحباً بهم يوم يحيئون ، وسيتألون كل ما نستطيع أن نجوهم
به من شرف وتمجيد ، إنكم لتعرفون مكانكم حق المعرفة ،
فإن خلّت أماكن أفضل وأعز ، فن أجلكم تخلو نقلاً بكم
وتعتز ، إلى الميدان غداً .

الدوق

(يخرج - طبول)

المشهد الثاني

حجرة في قصر الكونتيسة

(تدخل الكونتيسة والمهرج)

الكونتيسة : لقد جرى كل شيء كما كنت أريد أن يجرى ، إلا أنه لم يأت معها .

المهرج : يمينا يا سيدتى إننى أحسب مولاي الفقى فى حزن شديد .
الكونتيسة : أرجو أن تخبرنى عن الذى جعلك تظن هذا الظن .

المهرج : إنه لينظر إلى حدائه ويفنى ، ويصلح من الطرف الأعلى لهذا الحذاء ويفنى ، ويسأل أسئلة ويفنى ، وينظف أسنانه ويفنى ، وأعرف رجلاً هذه صفته باع قصراً منيفاً بأجنس الأثمان .

الكونتيسة : دعنى أرى ماذا يقول فى كتابه ومتى ينتوى مآباً .

المهرج : لم أعد أطيق الوصيفات ، منذ كنت فى البلاط ، إن سمكنا وحيثاننا ونساءنا فى الريف ، يختلفن كل الاختلاف عن جوارى البلاط وطعامه ، إن مخ «كيويدي» انشرخ وانفدخ ، فبدأت أحب كما يحب العجوز المال ، ولا معدة له ^(١) .

(١) أى لا رغبة لديه ولا شهوة حتى ينفق المال فى إشباعها وإشارته إلى «مخ كيويده» مع =

الكونتيسة : ماذا أرى هنا ؟

المهرج : حتى هذا ترينه فيه

(مخرج)

(الكونتيسة تقرأ الكتاب)

الكونتيسة : « لقد أرسلت إليك كَنَّةً ، شفت الملك وأضاعني ، لقد

تزوجتها ولكني لم أبن بها ، وأقسمت ألا أفعل أبداً ،

وستسمعين أنني هربت ، فاعلمي التبا قبل أن تتلقيه ، فإذا

كان لهذا العالم كتابة من العرض ، فسأبتعد فيه إلى أقصى

حد ، وتقبلني احترامى . . . ولدك المنكود . .

برترام

ليس هذا عملاً صالحاً أيها الفتى الجموح المطلق العنان ،

أنحسر رضا ملك كريم وتستهدف لجام غضبه ، لآزدراء فتاة

بلغت من الفضيلة حداً ، لا يزدريه رب جاه ولا صاحب

سلطان (٢) .

(يدخل المهرج)

= سبة كيويدي إليه في قوله « كيويدي » معناها أن إله حبه بدأ يضطرب منه ، ويغريه بالحب ، وقد عبر هنا

عن « إيزابل » أى الخادام أو الجارية « بالوصيفات »

(٢) الخطاب هنا موجه منها إلى ابنها ، فهي ترى هذا السلوك منه حمقاً ، إذ كيف يتعرض لضرب

الملك ، لمجرد احتقاره فتاة لا تستحق الاحترار ، لفضلها المتناهي الذى يجعل الملوك ينظرون إليها بعين

الإكبار .

- المهرج : مولاتى ، نبأ خطير ، بين جنديين ومولاتى الصغيرة .
 الكونصة : ما الذى جرى ؟
 المهرج : لا تراعى . . إن فى النبأ بعض ما يرضى ، نعم بعض ما يرضى ، إن ابنك لن يقتل بالسرعة التى كنت أعتقدتها .
 الكونصة : ولماذا يقتل ؟
 المهرج : هذا ما أقوله أنا يا مولاتى إذا هو هرب ، وقد سمعت عن هربه ، إن الخطر كل الخطر فى البقاء ، ففيه يضيع الرجال وإن كانوا يأتون بالأطفال ، هاهم أولاء قادمون ليزيدوك علماً بما جرى ، أما أنا فلم أسمع إلا بهرب فتاك .
 (يخرج)

(تدخل هيلين والشريفان)

- الشريف الثانى : سلاماً أيها السيدة الكريمة .
 هيلين : مولاتى ، إن مولاي ذهب ، ولن يعود أبداً .
 الشريف الأول : لا تقولى هذا .
 الكونصة : أرجوكم أيها السيدان صبراً على ورقفأ بى ، لقد تعاقب على نفسى من الأفراح والأتراح ما جعلنى لأول مطالعها وبوادرها أحس ضعف المرأة وخورها ، أرجوكم أن تخبرانى أين ولدى . .
 الشريف الأول : لقد ذهب ليخدم دوق فلورنسا وقد التقينا به هناك ، لأننا جئنا ، وسنعود إليها بعد تأدية مهمة لنا فى البلاط .

: أنظري يا مولاتي إلى كتابه ، إنه جواز سائل (٣) ، فهو يقول
 لي فيه « إذا استطعت أن تظفري بالحاتم الذى فى إصبعي
 والذى لن يخرج منه إلى الأبد ، وإذا أمكنتك أن تقدمي إلى
 ولدأ من أحشائك وأصلاي ، أكون أنا له الوالد ، وهو لي
 الولد ، فلتسمي يومئذ لك بعلاً ، وإلا فلا إلى الأبد . . يا لها
 من كلمات مروعة . .

الكونتيسة : هل أنتما اللذان جئتما بهذا الكتاب أيها السيدان . .

الشريف الأول : أى نعم ياسيدتي ، ونحن لما حوى آسفان لما نقلناه .

الكونتيسة : أرجوك أيتها السيدة أن تحففي من حزنك ، وتسرى قليلاً

عنك ، لأنك إذا احتكرت الأحران كلها لنفسك ، تركتني
 منها خلية ، بغير نصيب ، لقد كان لي ابناً ، ولكني ماحية
 اسمه من دمي ، وأنت وحدك كل ولدي . . أتقولان إنه
 ذهب إلى فلورنسا ؟ .

الشريف الأول : أجل ياسيدتي .

الكونتيسة : ليكون جندياً ؟

الشريف الأول : هذا هو مقصده النبيل ، وثق أن الدوق سيخلع عليه كل
 الشرف الذى يستحقه .

(٣) هو جواز تعطيه البلدية للمسولين لكي تميز لهم به طلب الصدقات ، وتعين لهم الأحياء التي
 تسمح لهم بالتسول فيها والتنقل من ناحية إلى أخرى ، والمعنى ظاهر ، فهي تشبه الكتاب من شدة حزنها
 بهذا الجواز الذى لا يعطى إلا للسانين والمشردين .

- الكونتيسة : أعائذان إلى هناك ؟
- الشريف الثاني : نعم ياسيدتى على جناح السرعة .
- هيلين : (تقرأ) « لن يكون لى بفرنسا شأن ، ما بقى لى فيها زوج » ، إنه لقول ألم . .
- الكونتيسة : أوجدت هذا أيضاً فى الكتاب ؟
- هيلين : نعم يا مولاتى .
- الشريف الثاني : لعلها جرأة من يده ، على ما لم يقره قلبه لحسن الحظ .
- الكونتيسة : لا شأن له بفرنسا ، ما بقى له فيها زوج . . « ليس له هنا من ولى ولا عزيز غيرها ، إنها لخليقة بمولى فى خدمته عشرون فتى من أمثاله شراسة ، يقولون لها فى كل ساعة « مولاتى » ومن كان معه ؟
- الشريف الثاني : خادم واحد وسيد عرفته فى وقتٍ ما .
- الكونتيسة : أليس هو بارولس ؟
- الشريف الأول : بلى ياسيدتى الكريمة ، إنه هو .
- الكونتيسة : مخلوق فاسد ، امتلأت بالشر نفسه ، أفسد بالتحريض طهارة ابنى وأخلاقه الكريمة .
- الشريف الأول : أجل أيتها السيدة الكريمة ، إن لهذا المخلوق أسوأ الأثر فى نفس ولدك الذى يقدره كثيراً ويحسن الراى فيه .
- الكونتيسة : مرحباً بكما أيها السيدان ، وأرجو أن تقولاً لولدى حين تريانه : إن سيفه لن يكسب الشرف الذى خسره ، وسأرجو

إليكما أن تحملا إليه منى كتاباً .

الشريف الأول : نحن في خدمتك يا سيدى فى هذا وفى كل ما تأمرين به من الشئون الهامة .

الكونتيسة : أستغفر الله ، ولن تكونا فى خدمتى إلا إذا أذنتما لى بأن أقوم بخدمة أوديتها لكما من واجب الوفاة والتكريم .

(تخرج هى والشريفان)

هيلين : « لن يكون لى بفرنسا شأن ، ما بقى لى فيها زوج . . » ، لن يكون لك فى فرنسا ياروسيون زوجة ، لن يكون لك أحد ياروسيون فى فرنسا ، وإذن سيعود إليك كل ما كان لك فيها ، واهأ لك يا مولاي ، أنا التى تطردك من وطنك ، وتعرض طراءة بدنك لأحداث الحرب وأهوالها ، وهى لا تبقى ولا تذر ؟ أنا التى تبعذك عن البلاط ومباهجه ، حيث الغيد يثأرنك بأعينهن والחסان يرسلن إليك سهام لواحظهن ، لتكون هدفاً لقذائف النيران ، المتبعثة وسط ذوائب الدخان ؟ أيتها المقاذيف الرصاصية التى تترق فى مثل سرعة الشهب ، انطلقى غير مسددة ، وانبعثى غير مصوبة ولا مؤكدة ، ومزق القضاء ودوى فى أرجائه مخترقة ، ولا تمسى مولاي بسوء ، وكل من يسدد الرمية إليه ، أنا غريمته ، وكل من يرمل الطلقة إلى صدره ، أنا ملاحقته ، ولئن لم أقتله ، كنت السبب فى قتله ، وعلة منيته ، إني لأؤثر أن ألقى الأسد وهو

يزأر من فرط الجوع ، وأن تناهبني مجتمعة كل ما في العالم من
مصائب ، وما في الخلقية من خطوب ... كلا ، ياروسيون ،
عد إلى وطنك ، من حيث لا تصيب من الشرف بتعرضك
للخطر غير جرح وندبة ، ولكن قد يكون الهلاك نصيبك
والخسارة ، لأذهب أنا ، ما دام مقامى هنا ، هو الذى يحول
دون رجعاك ، أفأقيم هنا لتظل أنت بعيداً ، وعن وطنك
مصروفاً مذوداً ؟ كلا ، ثم كلا ! ولو كان نسيم الجنة على هذا
البيت مطلقاً هائباً ، والملائكة فيه حاشدين ، سأذهب لعل نبأ
فرارى ينزل على سمعك مواسياً ، ويطالع أذنك معزياً أيها
الليل أقبل ، لتختم النهار ، لأنى مع الظلام المسترق ،
سأسترق الخطى هاربة ، أنا اللصة المسكينة ..

(تخرج)

المشهد الثالث

أمام قصر الدوق

(طبول - يدخل دوق فلورنسا وبرترام وضباط وجنود - وبارولس وغيرهم)

الدوق : أنت قائد فرساننا ، وإن لنا لأَمْلاً كبيراً فيك ، وواضعون

أُصدق حُبنا وثقتنا بمستقبلك الباهر ، وغدك المجيد .

برترام : مولاي . إنه لعبء فادح تنوء به قواي ، ولكني سأجهد في

حملة ، لمرضاتك إلى أبعد حد .

الدوق : إذن انطلق ، وليخفق التوفيق فوق هامتك ، وليكن الحظ

السعيد في خدمتك .

برترام : أي إله الحرب ، إنني من اليوم سالكٌ نفسي في أجنادك فحقق

أُملي ، واستجب لما في خاطري ، حتى أثبت أنني لطبولك

محب ، وللمحب كاره .

(يمرحون)

المشهد الرابع

حجرة في قصر الكونتيسة

(تدخل الكونتيسة ورئيس الخدم)

الكونتيسة : واحزنى ! ، هالك كتابها ، ألم يكن فى إمكانك أن تعرف من إرسالها لى خطاباً ما هى فاعلته قبل أن تقدم فعلاً عليه ؟ اقرأ كتابها مرة أخرى .

رئيس الخدم : (يتلو الكتاب) «إننى ذاهبة لأحج مزار سان جاك»^(٤) بعد أن أزرى بجى الطموح وأستنكر ، وسأسى إليه أظاً الأرض حافية القدمين ، معاهدة الله على التكفير عن خطاياى ، صارعة إليه أن يرد مولاي العزيز ، وولدك المحبوب ، من حومة الحرب الدامية إلى وطنه بسلام وعافية ، قانعة من بعيد بتقدیس اسمه ، مخلصه الدعاء ، صادقة النداء ، سائلة إياه الصفح عما كبده من متاعب ، وجشمته من مكاره ونوائب ، فأنا زوجه المزدراة ، قد فعلت ما فعلت جونو^(٥)

(٤) ضريح مشهور فى بلدة تدعى كومبو ستللا فى أسبانيا ، ولا يعرف أحد ضرباً كهذا فى إيطاليا حيث تقع حوادث الرواية ، وسواء أكانت هيلين قد اعترمت حقاً أن تمجج إلى ستياجو أم لا فإنها ذهبت أولاً إلى فلورنسا لغرض آخر .

(٥) زوج هرقل التى أرهفته وعذبته كثيراً .

يبعثها العظيم ، إذ نزعته من صحابه في البلاط وخلطائه ،
وأسلمته للمقام بين خصومه وأعدائه ، في مضارب القتال
وشدة بلائه ، حيث المنايا رصد للشجعان ، وهو أكرم وأجل
من أن يستهدف لها ويكون لى ، وأنا من الموت مفتديته ،
ولمقدم المنون ملاقيته ، لينطلق هو بالحياة ناجياً . . . »

الكونتيسة : يا الله ما أشد اللذعات في أرفق الكلمات ، وما أحد السنان في
لغة الحنان ، أى رينالدو ، ما عهدتك يوماً أشد افتقاراً إلى
الحكمة منك اليوم ، إذ تركتها تفر ، ولو أنى تحدثت إليها ،
لاستطعت أن أنهيها عن نيتها ، ولكنها حالت دون ذلك
بفرارها .

رئيس الخدم : مغفرة يا مولاتى ، لو أنى قدمت إليك هذا الكتاب في الليلة
البارحة لكان من الجائز اللحاق بها ، ولكنها تقول إن تعقبها
ذاهب سدى .

الكونتيسة : أى الملائكة مبارك هذا الزواج الغادر ! ، إنه لن يحالفه
التوفيق ما لم تنجّه دعواتها الذاهبة إلى السماء مسموعة ،
صاعدة إلى الله مقبولة ، من غضب العدالة الإلهية ، اكتب
يارينالدو ، اكتب إلى هذا الزوج الذى يستحق زوجته ،
ودع كل كلمة في مثل زنة فضلها ، الذى استخف به ،
وصف له بدقة حزن الشديده ، وإن كان به مسهياً ، وأوفد
إليه أنسب الرسل ، لعله حين يسمع برحيلها عائداً إلينا ،

وإني لأرجو حين تعلم بما جرى أن تبادر إلى الأوبة ، يحدوها
 حياء الطاهر ، فليست أدري أيهما أعز عندي وأغلى قدراً ، وأنا
 العاجزة عن التفرقة ، هلم اكفل للرسول حاجته ، إن قلبي
 مخزون ، وسني واهنة متقدمة ، والحزن يطلب دمعاً ، والأسى
 يقتضى بالكلام متنفساً .

(مخرجان)

المشهد الخامس

خارج أسوار فلورنسا

(صوت طبول من بعيد)

(تدخل أرملة عجوز من نساء فلورنسا وابنتها ديانا وفيلوتا وماريانا وغيرهن من أهل المدينة) (٦)

الأرملة : تعالين ، حتى لا نغرم من المشاهدة إذا هم اقتربوا من المدينة .

ديانا : يقولون إن الكونت الفرنسى قام بعمل حربى جليل .

الأرملة : وإنه أسرق القائد الأكبر ويبيده ذبح شقيق الدوق . . لقد ذهب

جهدنا سدى فهاهم أولاء يتخذون طريقاً آخر غير هذا

الطريق ، ألا تسمعن دق الطبول من مكان بعيد .

ماريانا : لنعد من حيث أتينا قانعات برواية الخبر ، وأنت يا ديانا

احذرى هذا الأمير الفرنسى ، وامسكى عليك حفاظك ، إن

شرف الفتاة فى نقاء اسمها ، وحسن سمعتها ، وليس ثمة شىء

أشرف من العفاف ، ولا أغلى من الطهر والنقاء .

الأرملة : لقد قلت لجارتنا كيف راح سيد من رفاقه يتعلق بأذيالك .

ماريانا : أعرف هذا الوغد لعنة الله عليه ، إنه يدعى بارولس ، وهو

ضابط قذر ، دأب على إغواء الأمير الشاب والوسواس فى

(٦) سلاحظ القارئ أن بين الأشخاص هنا فتاة تدعى «فيلوتا» ولكن ليس لها فى المشهد دور ما ،

والظاهر أن شكبير كان فى بدء الأمر يريد أن يسمى ابنة الأرملة «فيلوتا» ولكنه عدل فسماها «ديانا» .

سمعه ، فاحذريهما يا ديانا ، ولا تستمعي إلى وعودهما وكيدهما وأقسامهما ومراوداتهما ، وسائر ما تصطنعه الشهوات من وسائل وأدوات ، لأنها وعود كاذبة ، وأمانى باطلة ، فكم من فتاة انخدعت بها ، وكان الشقاء جزاءها ، وراحت عبرة لمن تعتبر ، وشر ما في الأمر أن الشقاء وسوء المغبة الرهيب الذى يؤدى إليه فقد العذارى شرفهن لا يحول برغم هذا بينهن وبين تكرار المأساة ، بل إنهن ليقعن فى الشراك التى تنصب لهن ، وما هذه الحباثل إلا أشبه بالفروع والأفتان التى تجتذب الأطيّار ، وتحتلها فى القنينة ، وأرجو ألا أحتاج إلى إسداء نصيحة أخرى إليك ، بل أملئ أن يصونك عفاك ، فتظلى كما أنت ، ولئن لم يبد للعين خطر ، فقد تفقد العذراء الحياء ، ويذهب عنها الحفر .

ديانا : لن أدعك تخافين على ، فاطمنى .

(تدخل هيلين فى زى الحجاج)

الأرملة : أرجو ذلك ، انظرون ، ها هي ذى حاجة قادمة ، إننى أعرف أنها ستقيم فى بيتى ، إن هؤلاء الحاجات ينبه بعضهن بعضاً ، واحدة ترسل الأخرى ، سأسألها . . يا حاجة سلاماً لك ، إلى أين ؟

هيلين : إلى مزار القديس جاك الأكبر ، نبشئى بالله عليك أين ينزل الحجاج .

- الأرملة : فى سان فرنىسىس هنا بجوار باب المءىنة .
- هبلن : أهذا هو الطرىق إلهه ؟
- الأرملة : نعم هو وأىم الله (سمع مواقع أقدام الجنود من بعىء) . . .
- الأرملة : ألا تسمعن . إنهم قاءمون من هذا الطرىق ، هلا انتظرت
- يا حاجة رىثا يأتى الجنود فأسىرك إلى حىث تأوین ، لأنى
- أعرف ربة المأوى ، فهى صورة منى .
- هبلن : أنت هى ؟
- الأرملة : إذا رضیت بذلك يا حاجة .
- هبلن : شكراً لك ، وسأنتظر حى یتسع لك الوقت .
- الأرملة : أظنك قاءمة من فرنسا ؟
- هبلن : منها أتیت .
- الأرملة : ستشهدین هنا فى من أبناء بلدك أفى أعمالاً بجىءة .
- هبلن : وما اسمه إذا سمحت . .
- الأرملة : الكونت روسیون ، أتعرفین أحدى بهذا الاسم . .
- هبلن : لا أعرفه إلا بالساع ، فقد سمعت أطیب الشاء علیه ، ولكنى
- لا أعرف وجهه .
- دیانا : مهما یكن من أمره ، وهو یعد هنا من أظرف الناس ، ویقال
- إنه فر من فرنسا لأن الملك أرغمه على الزواج بمن لا یحب . .
- أتظنن الأمر كذلك ؟
- هبلن : هذه هى الحقیقة بعینها ، إننى أعرف زوجه .

- ديانا : إن في خدمة الكونت سيداً يروى السوء عنها .
- هيلين : وما اسمه ؟
- ديانا : مسيو بارولس .
- هيلين : آه . . . إننى متفقة معه ، فهى من حيث الفضل ، وإذا قورنت بقدر الكونت العظيم وشأنه ، أقل كثيراً من أن يذكر اسمها بجانبه ، وكل ما فيها من خير حرصها على عفافها ، فلم أسمع عنها من هذه الناحية شائبة .
- ديانا : آسفا لهذه السيدة المسكينة ، إنه لرباط أليم أن تكون زوجاً لسيد يكرهها .
- الأرملة : إننى أراها مخلوقة طيبة فاضلة ، ومهما تكن فإن فؤادها لمحزون بلا ريب ، وفى شجن بالغ ، إن هذه الشابة تستطيع أن تتقم لها إذا شاءت .
- هيلين : ماذا تعنين بقولك هذا ؟ . . أترى الكونت الغزل يراودها لمقصد غير شريف ؟
- الأرملة : نعم ، إنه ليعرض عليها كل ما فى مكتته أن يعرض ، ليفسد عليها شرف العذراء ، ولكنها تنقيه ، وعلى حذر منه ، متنبئة إلى الذود عن شرفها .
- (طبول وأعلام ، يدخل الكونت روسيون وبارولس وكبية من جيش فلورنسا)
- ماريانا : حمى الآلهة وعاذتها منه .

: ها هم أولاء قد أتوا ، هذا أنطونيو أكبر أبناء الدوق ، وهذا إسكالوس .

الأرملة

: وأيهم الفرنسى ؟

هيلين

: ذاك صاحب الريشة ، إنه لأشجع الشجعان ، ليته كان لزوجته محباً ، ولو وفى لكان أحسن البعول ، أليس هو بالسيد الجميل ؟

ديانا

: إنه يروقى كثيراً .

هيلين

: ولكن من دواعى الأسف أنه ليس مخلصاً ، وها هو ذا الوغد الذى يقوده إلى تلك الأماكن ، لو أننى كنت زوجته لوضعت السم لهذا المجرم الشرير .

ديانا

: أيهم هو ؟

هيلين

: ذلك القرد المقفّع الكثير الثياب ، لماذا يبدو مكتئباً ؟

ديانا

: لعله جرح فى المعركة .

هيلين

: أنفق طبولنا ! حسن .

بارولس

: إنه غضبان مغيظ من شىء ما ، انظرون إنه قد لحنا .

ماريانا

: لعنة الله عليك .

الأرملة

: وعلى تحيتك أيها الديوث .

ماريانا

(ينصرف برترام وبارولس والضباط والجنود)

: لقد مر الجنود فهلمى أيتها الحاجة ، أذهب بك إلى حيث تتزلين ، فى بيتى الساعة من طلاب التوبة والتكفير أربعة

الأرملة

أوخمسة من الحجيج إلى مزار سان جاك .

هيلين : أشكرك بكل خضوع ، فهلا تكرمت ياربة الدار وهذه

العذراء الرقيقة بقبول تناول الطعام معنا الليلة وستكون النفقة

والشكر على ، وجزاء آخر سأهب هذه العذراء بعض

وصفات طيبة ، خليقة بالذكر .

الأرملة وماريانا : نتقبل هذه المكرمة شاكرين .

(ينصرفن)

المشهد السادس

(يدخل الكونت روسيون والشريفان الفرنسيان)

الشريف الثاني : أى والله يا مولاي الكرم جربه ودعه يمضى فى هواه .
الشريف الأول : وإذا لم تجده يا مولاي مخلوقاً لا قيمة له ولا قدر ، فأسقطنى
من عينيك ، ودع عنك احترامى .

الشريف الثاني : وحياتى يا مولاي إنه « فقاعة » .
برتوام : هل تظنان أننى كنت مخدوعاً فيه ؟

الشريف الثاني : صدقنى يا مولاي إنه فى اعتقادى ، بعد معرفتى الشخصية
به ، ويدون حقد أو مودة فى نفسى عليه ، كأنه أحد
أقاربى ، جبان بادى الجبابة ، كذاب لا حدود لكذبه ،
حناث فى كل ساعة بأيمانه ، نكاث فى كل لحظة بوعوده ،
لا سجية فيه أن تقبله فى خدمتك .

الشريف الأول : يخلق بك أن تعرفه على حقيقته ، لئلا تسكن إلى فضل ليس
له منه حظ ، فيخذلك فى موطن جليل ، أو أمر يستوجب
خطره البالغ الثقة والاطمئنان .

برتوام : وددت لو أننى عرفت فى أى أمر خاص أجربه .

الشريف الأول : ليس ثمة سبيل إلى تجربته أفضل من أن تكلفه أن يحمل الطلبة

في القتال^(٧) ، كما سمعته يتحدث عن ثقة بأنه لا يتردد في حملها .

الشريف الثاني : وسأفاجئه أنا وجاعة من الجنود الفلورنسيين ، ممن أثق بأنه لا يميز بينهم وبين الأعداء ، فنشد وثاقه ، ونعصب عينيه ، حتى ليذهب الظن به إلى أنه محمول إلى مضاربهم ، على حين نأني نحن به إلى خيامنا ، وما عليك يا مولاي إلا أن تكون حاضر أمرنا ، فإذا لم تشهده عندئذ في سبيل النجاة بحياته ، ودافع الخوف الحنيس ، يعرض من تلقاء نفسه الغدر بك ، وإفشاء كل ما في جعبته من الأنباء عنك ، وحلف الأيمان المغلظة على صدق قوله ، إنه إن لم يكن صادقاً في قوله غضب الله عليه ، فلا تركز بعد اليوم إلى رأيي ولا تثق بحكمي وتقديرى .

الشريف الأول : حباً في الضحك ، ورغبة في التسلية ، دعه يحضر طبلته ، ما دام هو القاتل إنه البارع الحاذق في حملها ، لترى يا مولاي مبلغ براعته في ذلك ، ومدى مقدرته ، وتبين إلى أى حد سندوب هذه القطعة من المعدن المزيف ، فإذا لم تضربه حيثئذ ضرباً مبرحاً ، فلا شيء بعدئذ يتزع منك ميلك لهذا الإنسان .

(٧) في كل جاعة من الجنود ، كسرية أو كتيبة ، علم وطبلة ، وخسارة أحدهما في المعركة عار

(يدخل بارولس)

الشريف الثانى : حباً فى الضحك ، ورغبة فى الضكاهة ، لا تحل دون شرف مقصده ، دعه يستقذ طبلته ، مهما يكن الأمر .

برترام : كيف الحال الآن ياسيد . . إن هذه الطبله تحز فى جسدك ، وتنقل على صدرك .

الشريف الأول : إنها كالجدري ، فدعها . إن هى إلا طبله .

بارولس : أقول إن هى إلا طبله ، هى طبله نعم ذهبت خساراً ، وجلبت عاراً ، لقد كانت القيادة بارعة حقاً فى الهجوم بخيلنا على جنائنا . وتمزيق صفوف جنودنا بأيدينا .

الشريف الأول : لا ملامه على القيادة ولا معاب ، لقد كانت نكبة من نكبات الحرب يعجز قيصر نفسه عن منعها ، لو أنه كان فى مركز القائد وموضعه .

برترام : لا يمكن أن تنهم فوزنا ، ونعيب نصرنا ، نعم لقد مسنا بعض الشين من فقداننا هذه الطبله ، ولكن لا سبيل إلى استردادها .

بارولس : لقد كان من الجائز أن نستردها .

برترام : كان من الجائز ، ولكن لا سبيل إليه الآن .

بارولس : لا بد أن تسترد ، ولولا أن حسن البلاء قلما ينسب إلى صاحبه ومؤتيه ، لاسترددت هذه الطبله أو غيرها . وإن قضيت فى هذه السبيل وتخطفتنى الردى .

: هلم إذن ، إذا كانت في نفسك يا سيد رغبة ، وإذا كنت ترى
أن خبرتك بفنون القتال كفيلة برد هذه الشارة الرائعة من
شارات الشرف إلى مكانها ، هلم تقدم عظيمًا فحاول
استعادتها ، ولك على أن أشهد لك بحسن البلاء ، وعلو
المكارم ، وجميل الأثر ، فإذا مضيت في هذا الأمر موفقاً ،
فصوف ينوه الدوق بك ، ويشيد بذكراها ، ويزيدك من
فضله ، قدر ما يليق بعظمتك ، ويناسب مقامك ، ويجزى
كل ذرة من قدرك .

برترام

: قسماً بيد جندي إني لفاعل .

بارولس

: ولكن لا ينبغي أن تنام الآن عنها .

برترام

: سأحاولها في هذا المساء ، أما الساعة فسأندبر الأمر وأتروى
فيه ، وأناذى إلى شجاعتي وأنا المطمئن الواثق وأعد العدة
للردى ، وأوطن النفس على لقائه ، وعند منتصف الليل
ترقب أنباء عني وانتظر أخباراً .

بارولس

: هل أجرؤ على إبلاغ سمو الدوق أنك معترم المضي في هذا
الأمر؟

برترام

: لا أعرف يا مولاي كيف سيوافيني النجاح ، ولكنى على
المحاولة مقسم ، وببذل الجهد مرتبط .

بارولس

: أعرف أنك باسل ، ويمدى جنديتك شاهد . . إلى الملتقى .

برترام

: لا أحب الإكثار من القول ، ولا أنا في الكلام الكثير
راغب .

(يخرج)

الشريف الثاني : لا يحب كثرة الكلام إلا كما يحب السمك الماء ، أليس هذا
المخلوق يا مولاي عجيباً ، في هذا الاطمئنان الذي يديه إلى
إتيان عمل كهذا ، وهو يعلم أنه أمر هيات أن يتم ؟ أليس
عجيباً منه أن يلعن نفسه ليفعله ، وكان خيراً له أن يكون
ملعوناً ، من أن يفعله .

الشريف الأول : إنك لا تعرفه يا مولاي كما نعرفه ، إنه بلا شك لا يفتأ يتسلل
إلى قلب إنسان ما ويسترق الخطي إلى رضاه وحظوته ، ويظل
أياماً متجنباً كثيراً من الأشياء التي تكشفه ، متحامياً جهده
ما يفضح أمره ، ولكنك حين تكشفه ، تملك بعدئذ أن
تفضحه .

برولام : ما الذي يجعلك تظن أنه لن يقدر على شيء مما يتطوع

لإتيانه ، ويتقدم بنفسه إلى إنجازه بكل ما في إمكانه ؟
الشريف الثاني : ليس هو على شيء في هذا العالم بقادر ، ولكنه عائد بأكذوبة
يخلقها وشفاعة يبتدعها ، ويلقى إليك بأكذوبتين أو ثلاث
بجتملات أو مرجحات ولكننا قد أجهدناه أو كدنا ، وسترى
الليلة سقطته ، وهو في الحق ليس باحترامك جديراً .

الشريف الأول : سنلاعب لك هذا الثعلب قليلاً قبل أن تسلم جلدته ، فقد

استراب به من قبلنا الشريف لافيه الشيخ ، فما زال به حتى
كشف ستره ، وإنك لمنبئ برأيك فيه ، حين تشهده الليلة
بالذات .

الشريف الثاني : إننى ذاهب لأعد الحباثل له ، وإنه لمحتبل .

برترام : وسيدهب أخوك معى .

الشريف الأول : كما تريد يامولاي ، إننى تارككما .

(يخرج)

برترام : والآن ، أذهب بك إلى البيت وأريك الفتاة التى تحدثت
إليك عنها .

الشريف الثاني : ولكنك تقول إنها عفة .

برترام : هذه هى المصيبة كلها ، لقد كلمتها مرة واحدة فوجدتها باردة

أعجب البرودة ، ولكنى بعثت إليها ، مع هذا المأفون الذى

نريد الإيقاع به ، بهدايا وكتب ، فردتها ولم تقبلها ، هذا كل

ما فعلته ، إنها لحسناء ، ألا تأتى لنراها ؟

الشريف الثاني : من كل قلبى يامولاي .

(يخرجان)

المشهد السابع

حجرة في منزل الأرملة

(تدخل هيلين والأرملة)

هيلين : إذا كنت في ريب مني ، ولا تصدقين أنني هي ، فلست أدري كيف أزيدك يقيناً ، إلا إذا فقدت الأساس الذي أبني عليه عملي .

الأرملة : لأن كانت حياتي في المجتمع متداعية ، فقد كنت كريمة المنبت ، طيبة الأعراق ، لا أعرف من هذه الأمور شيئاً ، فلست أرضى بتعريض سمعتي لفعلة سوءى ، ولا أقبل عملاً مشيناً .

هيلين : وأنا لا أرضاه لك ولا أرجوه ، ولكني إنما أطلب إليك أن تتنى أن الكونت هو زوجي ، وكل ما طلبت إليك أن تقسمي على كتابته صحيح بحملته وتفاصيله ، ولن تأثمي إذا أنت وهبتني العون الكريم الذي سألتك إياه .

الأرملة : لا بد أن أصدقك بعد أن ثبت لي أنك ذات ثراء عظيم .
هيلين : خذى هذا الكيس المليء ذهباً ، ودعيني أشتري معونتك الصداقة به ، وسأزيدك أجراً وأضاعفه لك ، إذا وجدت لها لديك ، إن الكونت يغازل ابنتك ، ويضرب حصاره الدفين

حول حسنها ، ويعتزم الظفر بها ، فدعيا تظهر الرضا ،
 وسنشير عليها بما ينبغي أن تفعله ، وهو في لفته ، وحرارة
 شهوته ، لن يرضن عليها بشيء تطلبه ، إنه يضع في إصبعه
 خاتماً موروثاً من بيته كائناً عن كابر ، منذ بضعة أجيال ، حين
 كان جده الأول يلبسه ، وهو بهذا الخاتم لمعتز ، وعليه
 حريص ، ولكنه من سعي شهوته ، لن يأبى التزول عنه ،
 لشراء طلبته ، وإن ندم عليه بعد ذلك .

: الآن فهمت غرضك .

الأرملة

: وعرفت أنه حلال مشروع ، فكل ما هو مطلوب أن تطلب
 ابتلك هذا الخاتم منه قبل أن تتظاهر له بالرضا ، وتضرب له
 موعداً للقاء ، وقصارى القول دعيني أحل محلها ، وهي غائبة
 طاهرة ، وسأضيف إلى ما قد دفعت ثلاثة آلاف دينار
 لترويحها وتجهيزها .

هيلين

: وأنا موافقة ، فاشرحي لابنتي كيف تسلك ، وبينى لها كيف

الأرملة

السبيل ، حتى يتم المطلوب في المكان المعين ، والموعد
 المضروب ، تحقيقاً لهذه الخدعة المشروعة ، والحيلة التي يجانبها
 الإثم ، إنه يأتي كل ليلة بمختلف الموسيقى والألحان ،
 وينشدها الأغاني ويمنيها الأمانى ، ليراودها عن عفافها ،
 ولا نجد شيئاً يرده عن دارنا ، لأنه الملح الدموب ، كأن في
 هذا الأمر حياته .

: لنحاول الليلة إذن حيلتنا ، ولننفذ خططتنا ، فإن أفلحنا فذلك
 شريراد به خير ، وحلال يراد به حلال ، كلاهما لا إثم فيه ،
 وإن ظل الواقع أئيماً ، فلنمض فيه .
 (تخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

في خارج معسكر الفلورنسيين

(يدخل أحد الشريفين الفرنسيين مع خمسة جنود أوستة بمثابة «كمين»)

الشريف الثاني : ليس أمامه طريق يسلكه غير هذا السياج ، فإذا أقبل ،
فانقضوا عليه ، وبادروه بلسان مخيف ، ولغة منكرة ،
لا تفهمون منها شيئاً ، فذلك أمر لا يهم ، إذ لا ينبغي أن
نترأى كأننا نعرفه أو نفهمه ، ما لم ينبر أحد فيكون ترجيحاً
بيننا وبينه .

جندي : يا حضرة الضابط ، لأكن أنا الترجمان .

الشريف الثاني : أليست بينك وبينه معرفة ، هل يعرف صوتك ؟

جندي : كلا ، ياسيدي ، أؤكد لك .

الشريف الثاني : ولكن ما هي الرطانة التي ستكلمنا بها ؟

جندي : عين التي ستكلمونني بها .

الشريف الثاني : يجب أن يحسبنا عصابة من الغرباء ، في خدمة الأعداء ، وهو

يعرف قدرأ قليلاً من لغات الأقاليم المجاورة كلها ، فليتحدث

كل واحد منا باللسان الذى يخترعه لنفسه ، حتى تبدو كأننا لا نعرف ما يتحدث به كل منا للآخر ، فإذا بدا أننا نعرف شيئاً فهو غرضنا المباشر ، فيكون كلامنا كالغريبان نعيقاً ، وليكن ثرثرة متقنة وصباحاً وزعيقاً ، أما أنت أيها الترجبان ، فلتستعن السياسة ، ولتحذق الوساطة ، هلموا اختبئوا ، ها هو ذا قادم ، إنه سيقضى ساعتين نائماً ، ثم يعود فيقسم على الأكاذيب التى يخترعها أنه لمن الصادقين .

(يدخل بارولس)

بارولس

: الساعة العاشرة ، فى هذه الساعات الثلاث فسحة كافية للذهاب إلى البيت وما سأقول إننى قد فعلته ؟ ينبغى أن يكون ما يؤيده اختراعاً بارعاً ، وتلفيقاً متقناً يؤدي إلى المراد منه ، لقد بدعوا يشتمون رانحنى ، ويصرون دخانى ، وأخذت الفضيحة فى هذه الأيام تدق بابى ، وأرى لسانى مفرطاً فى الجرأة والبيان ، ولكن قلبى لا يزال يواجه مخاوف التزال والطعان ، فلا يجسر على ما يرويه اللسان .

الشريف الثانى : هذه أول كلمة حق أجرم لسانك فنطق بها .

بارولس

: أى شيطان هذا الذى دفعنى إلى التعهد باسترداد هذه الطلبة وأنا العليم بأن استردادها ضرب من الخيال ، وما دمت أعلم أن هذا المطلب ليس هدفى ؟ . لا معدى عن إصابة نفسى ببعض الجراحات ، لا قول إننى تلقيتها فى المعارك ، ولكن الجروح

اليسيرة لن تؤدى المراد ، فسيقولون ألم تخرج منها إلا بهذه الخدشات ؟ ولست على الجروح النجل بقادر ، ولا على الأذى البالغ بالجسور ، فما الحجة إذن وما الحيلة ؟ . . أياها اللسان . . لا بد لي من أن أضعلك في فم بائعة زبد^(١) أو أبتاع بغلة بايزيد^(٢) إذا أنت ورطنتي في هذه المهالك ، ودفعت لي إلى هذه المآذق .

الشريف الثانى : أيمكن أن يكون على بيعة من نفسه ، ثم يتراعى في هذه الصورة التى يبدو بها ؟

بارولس : أود لو أن تمزيق ثيابه يؤدى الغرض ، أو كسر سيفي الأسبابى ينى بالمراد .

الشريف الثانى : (لنفسه) ولكننا لن نتيح لك ذلك ، ولن نتركك تغفل بهذه السهولة .

بارولس : أو أحلق لحيتى وأقول إنها خدعة حرية .

الشريف الثانى : (لنفسه) ولا هذا يغنى .

بارولس : أو إغراق ثيابه لأقول إننى جردت منها تجريداً .

(١) كانت بائعات الزبد واللبن فى الأسواق معروفات بكثرة التفريق والتوبيخ والانتهار .

(٢) كثر الخلاف بين الشراح فى صحة هذه الكلمة هل هى «بغلة بايزيد» ، أم وقع فيها تحريف فقال بعضهم إنها قد تكون «بغل بلعام» لا بايزيد ، وقال آخرون لعلها «زوجة بايزيد» لا بقلته ، وهى «زينا» ، والغالب أن تكون كذلك للتناسب بينها وبين بائعة الزبد ، والمراد أن بارولس يرى أنه لا أمل له فى الخلاص السهل من الحرج الذى يضعه فيه لسانه ، إلا أن يستعين عليه بالزجر والتأنيب حتى يقلع عن كثرة الادعاء .

الشريف الثاني : (لنفسه) ولا هذا يكاد يجدى .

بارولس : ولو حلفت بأننى ألقيت بنفسى من نافذة القلعة .

الشريف الثاني : (لنفسه) من أية مسافة ؟

بارولس : ثلاثون قامة (٣) .

الشريف الثاني : (لنفسه) لن يصدقك أحد ولو أقسمت ثلاثة أيمان مغلفة عليه (٤) .

بارولس : ليت لى طيلة من طبول العدو لأقسم أننى استردتها .

الشريف الثالث : (لنفسه) ستسمع فى الحال قرع واحدة .

بارولس : الآن أسمع قرع طبول العدو .

(صباحات من الداخل)

الشريف الثاني : تروكا موفساس ، كارجو ، كارجو ، كارجو .

الجميع : كارجو ، كارجو ، فيلياندا ، باركاريو ، كارجو (٥) .

(يمسكون به ويصوبون عينيه)

بارولس : الفداء ، الفداء ، لا تحجبوا عيني .

الترجمان : بوسكوس ترومالدو بوسكوس .

بارولس : أعرف أنكم من فرقة المسكوس ، وأننى سأفقد حياتى لجهلى

بلسانكم ، وإذا كان منكم ألمانى هنا أو دانمركى أو هولندى

(٣) مقياس بحرى ، والقامة ست أقدام .

(٤) حين قال ثلاثين قامة ، اختار الشاعر رقماً مناسباً لعدد الأقسام فرضها ثلاثة .

(٥) كلام رطانة لامتعى له للتهريش على بارولس وتقويه .

أويطالى أوفرنسى ، فليكلمنى فإنى كفيل بأن أكشف عما
سوف يؤدى إلى هلاك الفلورنسى .

الترجمان : بوسكوس فوفادو ، إنى أفهمك ، وأستطيع أن أتكلم لتفك
- كريلينبتو - ارجع إلى دينك ، واستقبل منيتك ، إن سبعة
عشر خنجراً مصوبة إلى صدرك .

بارولس : آه .

الترجمان : صل لله ، صل لله ، صل لله ، مانكا رافيانا دولشى .

الشرىف الثانى : أوسكوربيدولشى فوليفاركو .

الترجمان : إن القائد ليرتضى الإبقاء عليك وسيساق بك وأنت معصوب
العينين على هذا النحو ليعرف معلومات منك ، فلعلك قاتل
شيئاً تنقذ به حياتك .

بارولس : أبقوا على حياتى أقل لكم أسرار معسكرنا جميعاً ، وأنبشكم
بقواتنا ، وأهدافنا ، بل إنى لقاتل لكم مافيه العجب
العجاب .

الترجمان : ولكن أقاتل أنت صدقاً ؟ .

بارولس : اللعنة علىّ إن لم أفعل .

الترجمان : أكوردو لنتا ، هلم ، لقد منحت مهلة .

(يخرج مع بارولس تحت الحراسة ، صيحات قليلة من الداخل)

الشرىف الثانى : اذهب قل للكونت روسيون وأخى إننا قد قبضنا على
الحجل ، وسنقيه معصوباً مكماً حتى نسمع منها .

جندى : طاعة يا حضرة الضابط .

الشريف الثانى : وسيكشف أمرنا كلنا لأنفسنا ، قل لهما ذلك .

الجندى : سأفعل يا سيدى .

الشريف الثانى : وقل لهما إننى سألقى به فى غيابة السجن وأعتقله إلى أن يفعل

هذا .

(يخرجان)

المشهد الثاني

(يدخل برترام والفتاة «ديانا»)

- برترام : لقد أنبشوني أنك تسمين فونتييل .
- ديانا : كلا يا مولاي الكريم ! بل ديانا .
- برترام : أنت الربة ذات اللقب ، وإنك لجديرة به وبأكثر منه . ولكن أيتها الإنسانية الجميلة أليس للحب في هيكلك الجميل موضع ؟ إذا لم يكن تشغل نار الشباب الشريفة المندلعة خاطرك فلست فتاة ، من لحم ودم ، بل أنت تماثل جامد ، ولحين تموتين يجب أن تكوني كما أنت ، باردة هامدة عبوساً لا تتحركين ، أما الآن فيجب أن تكوني كما كانت أمك حين ولدتك ، أيتها المخلوقة الحسنة .
- ديانا : لقد كانت يومئذ مخلصة ودية .
- برترام : فلتكوني أنت مثلها .
- ديانا : كلا ، إن أمي أدت الواجب عليها ، وهو يا مولاي ما أنت مدين به لزوجك .
- برترام : حسبك لا تريدني في هذا الموضوع ولا تحاول أن تقولي شيئاً ضد إيماني ، لقد أرغمت على زواجها إرغاماً ، ولكن قسماً برباط الله المحجب أني سأؤدي إليك كل ما يوجهه ذلك الحب

ويتطلبه من خدمات .

ديانا

: أى والله ، إنك تخدمنا حتى نخدمك ، ولكن إذا قطفت
ورودنا ، لم تترك لنا غير أشواكنا ، لشكنا ، وتسخر من
عُرينا وخلاء وعودنا .

برورام

: لكم أقسمت ، ولكم حلفت !

ديانا

: لا تحقق الحق كثرة الأيمان ^(٦) ، ولكن القسم الأوحـد الصريح
هو الذى يشهد بالحق ، وتحق الشهادة به ، ونحن نذكر اسم
الله نفسه حين نقسم يمينا ، ولكن اسم الله نفسه لا يجعل
الناس أكثر تصديقا للقسم إذا كان مغايرا للحقيقة . أرجو أن
تنبئنى هل تصدق أقسامى إذا أنا أقسمت بحقه وعظمة
صفاته ، أننى أحبك وأعزك ، فى حين أننى لا أستشعر حبا
لك ولا إعزازا . لا خير فى يمين بالله إذا عقدت النية على
اقتراف عمل يفضبه ، وارتكاب فعل لا يرضيه ، إن إيمانك
إذن ألفاظ سقيمة ، وصفات وشروط - فى رأيى على
الأقل - غير مؤكدة ولا مضمونة .

برورام

: غيرها وبديها ، ولكن لا تكونى هكذا قاسية ، فى التمسك
بالنقاء والقدسية ، إن الحب مقدس ، وأنا فى صدق فطرتى لم
أعرف يوماً الخدع التى تتهمين الرجال بها ، فلا تتباعدى ،

(٦) حكمة بالغة ، يريد بها أن يقول أن كثرة الأقسام لا تدل على أن ما قيل هو الحقيقة .

ودعى عنك الجفاء ، وهبى نفسك لشهواتى « المريضة » حتى
يتوانى لى البرء منها والشفاء^(٧) ، قولى إنك لى ، تشهدى أن
حجى كما يبدأ ، لن يكون له انتهاء .

ديانا : أرى الرجال يحاولون أخذنا على غرة منا ، أملاً فى إيقاعنا ،
فى أثناء غفلتنا وطيشنا^(٨) ، أعطنى هذا الخاتم .

برترام : أعيرك إياه يا عزيزتى ، ولكن لا قدرة لى على التزول عنه .
ديانا : أتأبى يامولاي أن تعطينى ؟

برترام : إنه شرف يتصل ببيتنا ، توارثناه من أسلافنا ولو تخلّيت عنه
لكان ذلك أكبر وزر فى هذا العالم .

ديانا : وشرفى أنا هو كهذا الخاتم ، وعفافى هو درة بيتنا ، توارثناها
عن كثير من آبائنا ، ولو تخلّيت عنه لاقترفت أكبر وزر فى هذا
العالم ، وهكذا ترى أن منطقك نفسه يجعل بطولة الشرف فى
جانبي ضد عدوانك الباطل .

برترام : ها هو ذا الخاتم خذيه ، وليكن بيتى وشرفى وحياتى ملك
يمينك ، فانظرى بماذا تأمرين .

ديانا : إذا انتصف الليل فأطرق نافذة مخدعى ، وسأحتاط للأمر حتى

(٧) وصفها بالمريضة ليتناسب هذا الوصف مع قوله «الشفاء» .

(٨) فى الأصل عبارة غامضة اختلف الشراح فيها ، وذهب فريق كبير منهم إلى أن فيها تحريفاً ، فهى
فى المتن malse ropes وليس لها معنى غير قولك «يصنعون حبلاً» وهو ما يجعلنا نفكر فى «حبائل»
الصائد جمع «حبال» وهى تصنع من الحبال .

لا تسمع أمى ، والآن عاهدنى حقاً أنك حين تغزو فراشى
الذى كان حتى تلك اللحظة طاهراً عفيفاً لن تمكث فيه غير
ساعة واحدة ، وألا تكلمنى خلالها ، إن لدى أسباباً قوية ،
ستعرفها حين يرد هذا الخاتم إليك ، وسأضع تحت جنح الليل
فى إصبعك خاتماً سواه ، ليبقى على الأيام رمزاً لما أتيناها ،
وتذكيراً لما فعلناه ، فإلى الملتقى ولا تخلف الموعد ، فقد ظفرت
منى بزواج وإن كان أملى قد تحقق أو «أخفق»^(٩) .

: بل لقد نلت منك بالعشق جنة الأرض .

بروام

: إذن فلتطل بك الحياة لتشكر رب الجنة وإياى ، ولعلك فى
النهاية فاعل .

ديانا

(يخرج بروام)

لقد نبأتنى أمى كيف سيغازلنى ويتودد ، كأنها كانت فى صميم
قلبه وتقيم وتتردد ، لقد قالت لى إن الرجال فى الأقسام
والإيمان سواسية ، وها هو ذا قد أقسم أن يتزوج بى ، إذا
ماتت زوجته وقضت ، إذن سوف أعاشره فى المجمع
وأشاركه فى المرقد ، حين أدفن تحت الثرى وأوسد ، وما دام
الفرنسيون هكذا أهل خداع وتغدير ، فإنى أقسم أن سأعيش

(٩) تريد أن تفهمه أن استسلامها سيقضى على أملها فى الزواج ، وإن كانت تريد أيضاً التلميح
لأملها بالنسبة إلى هيلين وما تريد أن تتولاه عنها .

وأموت عذراء ، وأحسب أن لا إثم في هذا التنكر للاحتيال
على من يريد الفوز ظلماً وبهتاناً .

(تخرج)

المشهد الثالث

(يدخل الشريفان الفرنسيان وجنديان أو ثلاثة)

الشريف الأول : أو لم تسلم إليه كتاب أمه .

الشريف الثاني : سلمته إليه منذ ساعة ، وإن فيه لشيئاً جارحاً لشعوره . فقد كاد يستحيل إلى رجل آخر عند قراءته ^(١٠) .

الشريف الأول : إن عليه لثريباً شديداً ، أن ينفذ عنه زوجاً كريماً ، وسيدة جميلة .

الشريف الثاني : ولا سيما أنه استهدف لغضب مقيم من الملك ، ونقمة لن تزول ، برفض الهناءة التي عرضها عليه ، وإباء السعادة التي اصطفاها له ، وسأنبئك بأمر أرجو أن تطوى صدرك عليه .

الشريف الأول : إن نطقت به كان هو الميت وأنا له القبر .

الشريف الثاني : لقد غوى هنا في فلورنسا سيدة شابة عرفت بالعفاف ، وسينفذ الليلة لأول مرة غرضه باستلاب شرفها ، وقد أعطاهما خاتمه التذكارى وهو يحسب أنه قد عوض عنه في مساومته الأنيمة .

الشريف الأول : حمانا الله من الثورة على أنفسنا والغدر بذواتنا ، فإننا نحن كما نريد أن نكون .

(١٠) أى بدا مصفراً شاحباً ، وهذه العبارة لا تشير إلى أى تأثير معنوى بدليل ماسيأتى بعد .

الشريف الثاني : لسنا إلا غدره خونة لأنفسنا ، فلا تزال كدأب كل غدر ،
 وشأن كل خيانة ، نراها تتكشف ، حتى تنال جزاءها الحقير
 الدنيء ، فن يسيء إلى حسن سمعته ، ويكيد كيده ليطيب
 أحذوثه ، يغرق في تيار شهوته .

الشريف الأول : أليس من نعمة الله علينا أن نكون المعلنين لمآربنا المحرمة ، إذن
 لن نكون الليلة في صحبته .

الشريف الثاني : حتى ينقضي منتصف الليل ، لأنه الحريص على مواعده ،
 الحفيظ لساعته .

الشريف الأول : إن الموعد يقترب بسرعة ، ويسرف أن يرى صاحبه على
 المشرحة ، حتى يتبين مدى الخطأ في أحكامه ، وفساد الرأي
 عنده ، إذ يصير على تقدير هذا المحتال الذي اصطنعه لنفسه ،
 أكثر من قدره .

الشريف الثاني : لن نتدخل في أمره حتى يحضر ، لأن حضوره سيكون السوط
 الذي يهوى على صاحبه .

الشريف الأول : وإلى أن يأتي لتحدث عن الحرب ، ماذا لديك من أنبائها . .

الشريف الثاني : سمعت أن هناك مفاتيحة في الصلح .

الشريف الأول : بل أؤكد لك أن صلحاً قد أبرم .

الشريف الثاني : وماذا ترى الكونت روسيون إذن صانعاً؟ أترأه سيواصل
 أسفاره ، ويوغل في ترحاله ، أم سيعود إلى فرنسا .

الشريف الأول : يبدو لي من سؤالك هذا أنك لست صاحب سره وأخاً

لمشورته .

الشريف الثانى : لا قدر الله ياسيدى ، حتى لا أكون شريكاً له فى أفعاله .
الشريف الأول : اسمع ياسيدى ، إن زوجه منذ شهرين فرت من بيته ،
وغرضها هو الحج إلى مزار سان جاك الكبير ، وقد أدت هذا
العمل المقدس على أتم وجهه ، وجلال قدسيته ، ثم أقامت
بذلك الموضع ماشاءت أن تقيم ، وهى فريسة للأحزان ،
لرقة طبيعتها ، نهب للأسى من فرط لوعتها ، حتى فاضت
روحها وجادت بآخر أنفاسها ، فهى اليوم تغنى فى السماء ،
وتشدو فى الجنة .

الشريف الثانى : وبأى شىء تؤيد النبأ ؟
الشريف الأول : إن أقوى اليناث على صدقه كتبها ، التى تؤيد قصتها بما فيه
موتها نفسه ، وإن موتها نفسه ، وهو ما لا تستطيع هى أن
ترويه ، قد أبده قسيس الجهة .

الشريف الثانى : أعند الكونت بكل هذا علم ؟
الشريف الأول : أجل . . بكل دقائقه ، وجملة حقيقته .
الشريف الثانى : يحزننى حقاً أنه سيسر بها ويستريح إليها .
الشريف الأول : لكم نجد السلوة والراحة فى مغارمنا وخسائرها أحياناً .
الشريف الثانى : وكما أحياناً أخرى نفرق مغارمنا فى لجة دموعنا ؟ ، إن الشرف
الباذخ الذى كسبه هنا ببسالته ، سيقابل فى وطنه بعار يعدل
هذا الشرف فى قوته .

الشريف الأول : إن نسيج حياتنا مصنوع من خيوط جيدة وخيوط رديئة معاً ،
وإن حسناتنا لتزهى وتفخر إذا لم تؤذيها أغلاطنا ، ولم تعلقها
بالسوط سيئاتنا ، كما أن جرائمنا وخطايانا ستهدى بنا إلى
الحضيض إذا لم تترقق بها فضائلنا .

(يدخل رسول)

ماذا وراءك ، أين مولاك . .

الرسول : لقي الدوق في الطريق ياسيدى ، فاستأذن منه في السفر
وسيرحل مولاي غداً إلى فرنسا ، وقد حملة الدوق كعب
توصية إلى الملك .

الشريف الثانى : لن نجدى وإن بالغت في التوصية .

(يدخل الكونت برترام روسيون)

الشريف الأول : ولن تخفف مهما تكن حلاوتها من مرارة غضب الملك
وموجدته ، ها هوذا الكونت . كيف هذا يا مولاي ، ألم
ينقض منتصف الليل .

برترام : لقد أنقذت الليلة ست عشرة مهمة ، كل منها طولها شهر ،
فقد شرحت للدوق باختصار جملة فوزى في المعارك
وانتصارى ، ثم استأذنته فى عودتى ، وودعت المقربين منه ،
ودفنت زوجاً ، وحددت عليها ، وكتبته إلى والدتى أننى عائد
إليها ، واستأجرت مطاياى ، وبين هذه المهام الكبيرة قضيت
أوطاراً ، أقل منها أخطاراً ، كان آخرها أكبرها ، وإن لم أنته

بعد منه .

الشريف الثانى : إذا كانت هذه المهمة شاقة ، وأنت غداً راحل من هذه الديار ، فإن المهمة إذن تقتضيك العجلة والبدار .

برتوم : أريد بقولى إنها لم تنته أنى أخشى أن أسمع عنها بعد ، ولكن لنسمع هذا الحوار بين المهرج والجندى ، هاتوا هذا المزيف المحتمل ، الذى خدعنى ، كالعراف الذى يجعل قوله على حرف ، ويدع كلامه يحتمل معنيين ، ويفتح على تفسيرين .

الشريف الثانى : أحضروه إلينا . لقد قضى الليل كله مقيداً ، هذا الوغد الجسور المسكين .

(يخرج الجنود)

برتوم : لا بأس ، لقد أخذ بذنوبه ، وسأقت به رجلاه إلى الموضع الخليق به ، بعد أن وضع المهماز فى حدائه^(١١) ، اغتصاباً ، وزعم الشجاعة والفروسية زوراً وكذباً ، وكيف كان سلوكه ؟ . .

الشريف الثانى : لقد نبأتك آنفاً يا مولاي ، بأن القيد فى رجله ، فهو فيه مسلوك ، ولكن إن شئت أن أرد عليك بالأسلوب الذى تفهمه أقول إنه يبكى كالمرأة التى سكبت لبنها ، واعترف بكل ما اجترح من ذنوب لمرجان الذى ظنه قسيساً ، فلم يغادر شيئاً

(١١) وضع المهماز فى حدائه بلا حق ، وكان المهماز شارة من اشارات الفروسية .

من عهد بداية وعيه إلى هذه اللحظة التي وضع فيها القيد في رجله ، إلا باح به ، فإذا تظن أنه قال في اعترافه ؟

بورتام : لا شيء فيه عني ، أليس كذلك ؟

الشريف الثاني : لقد دونا اعترافه ، وسيتلى عليه في محضره ، فإن جاء فيه ذكرك ، يا مولاي ، وأعتقد أن ذكرك فيه وارد ، فاصطبر لسماعه .

(يدخل بارولس والترجمان)

بورتام : اللعنة عليه ، هذا المكتم ، إنه لا يقدر أن يقول عني شيئاً . .
اغضض من صوتك ، اغضض من صوتك .

الشريف الأول : المعصوب جاء . . بورتو تروتوروسا .
الترجمان : إنه يطلب لك آلة التعذيب ، فإذا أنت قاتل بغير حاجة إليها .
بارولس : سأعترف بما أعرف ، بغير إكراه ، أما إذا شككتموني كما تشك الفطيرة ، فلن أقول شيئاً .

الترجمان : بوسكو شمسرشو .

الشريف الأول : بوبلييندو شكرموركو .

الترجمان : إنك لقائد رحيم . . إن قائدنا يأمر بك بأن ترد على أسئلتى المدونة .

بارولس : سأرد صدقاً ، وأقول حقاً ، لأنني أريد الحياة .

الترجمان : يسأل أولاً ، كم عدد فرسان الدوق ، ما قولك في هذا ؟

بارولس : خمسة آلاف أوستة ، ولكنهم ضعاف ولا يصلحون والجنود

موزعون مبعثرون ، والقواد محتالون مساكين ، هذا هو قولي
أغامر فيه بالسمعة والمهابة ، وأرجو أن أوهب الحياة .

الترجمان : هل أدون هذا الرد كما هو . .

بارولس : افعل ، إني مستعد أن أقسم بالسر المقدس عليه ^(١٢) ، كيف
وبأى طريقة تشاء .

بوترام : كلاهما سيان عنده ، ياله فيه من عبد خسيس غير خليق
بالنجاة .

الشريف الأول : أنت مخطئ يا مولاي ، هذا هو مسيو بارولس المحارب
المقدام ، كما اعتاد أن يصف نفسه ، والجندى الذى جمع
كل فنون الحرب ونظرياتها فى عقدة ملفعته ، والتمرس بها فى
جفن خنجره .

الشريف الثانى : لن أثنى بعد اليوم بإنسان ، لأنه يحتفظ بسيفه نقي النصل
نظيف السنان ، ولن أصدق أنه قد حوى كل شىء ووعى ،
لأنه يرتدى ثياباً أنيقة .

الترجمان : انتهينا من تدوين هذا الذى قلت .

بارولس : لقد قلت خمسة أو ستة آلاف من الفرسان ، ولقد أضفت

(١٢) السر المقدس أو العشاء الربانى معروف فى الطقوس المسيحية ، وقوله وكيف وبأى طريقة
تشاء ، معناه أن بارولس لا يعرف جنسية مستجوبه ، ومذهبهم الدينى ، هل هم كاثوليك
أو بروتستانت ، فهو لهذا يقول إنه على استعداد للقسمة بالسر المقدس على أى مذهب يشاءون ، أى حسب
طلبهم .

أو نحوها اكتب هذا لأنى أريد أن أقول الحق .

الشريف الأول : إنه فى هذا جد قريب من الحق .

برترام : ولكنى لا أشكره عليه ، لطبيعة الأسباب التى دفعته إليه .

بارولس : محتالون مساكين من فضلك أكتب هذا عنى .

الترجمان : لقد دوتته .

بارولس : شكر الخاضع ياسيدى ، الحق حق ، فإن أولئك المحتالين

المساكين بشكل عجيب .

الترجمان : أسأله وكم مشاتهم . . ماذا تقول فى هذا ؟

بارولس : يمين الحق ياسيدى ، سأقول الحق إذا قضى لى أن أعيش فى

الساعة الراهنة ، دعنى أنذكر ، سبوريو مائة وخمسون

وسباستيان مثلهم ، وكوركيباس مثلهم وجاك مثلهم ،

وجوليتان وكوزمو ولوردريك وجراتاى ، مائتان وخمسون لكل

منهم ، وسرىتى ، التى تحت إمرقى ، وسرايا شتوفر وفوموند ،

وبنتاى مائتان وخمسون كذلك ، أعنى أن الجملة ، بين

معطوب وسليم لا تتعدى ، وحياتى ، خمسة عشر ألفاً ،

نصفهم لا يقوى على نفى الثلج عن قلائسهم ، خشية أن

تتلفض أجسامهم من هذا الجهد انتفاضاً .

برترام : ماذا يصنع به .

الشريف الأول : لا شىء ، ليتلق منا شكوراً ، سله عنى وما مكافى عند

الدوق .

الترجمان

: هذا مدون لدينا ، سله هل فى المعسكر ضابط فرنسى يدعى الكابتن ديمان (١٣) ، وما منزله عند الدوق وما مدى بسالته ونزاهته وخبرته بالحروب ، وهل يعتقد أنه لا يمكن بالمال الطائل ، والذهب الكثير ، أن يرشى لينتقض ويتمرد ، ما قولك فى هذا وما علمك به ؟

بارولس

: أرجو أن تدعى أجيب عن كل سؤال من هذه الأسئلة على حدة ، أسألنيها منفردة .

الترجمان

: هل تعرف هذا الضابط - ديمان ؟

بارولس

: أعرفه ، لقد كان صبي مرقع للملابس القديمة فى باريس ، فضرب بالسياط وطرد من خدمته لإغرائه بنتاً بلهاء مسكينة من البنات اللاتي يتولى المختار رعائتهن ، وهى ساذجة خرساء لم تستطع أن تقول له لا .

(ديمان يرفع يده عليه وهو غاضب)

برنوام

: لا ترفع من فضلك عليه يديك ، إني أعرف أنه سيلقى يوماً حتفه .

الترجمان

: وهل هذا الضابط فى معسكر دوق فلورنسا ؟

بارولس

: نعم ، على قدر علمى ، وهو خسيس حقير .

الشرىف الأول : لا تنظر إلى هكذا ، سنسمع عن مولاك حالاً .

الترجمان : وما مكانته عند الدوق ؟
 بارولس : الدوق لا يعرف عنه إلا أنه ضابط حقير عنده ، وقد كتب
 إلى مند يومين يطلب إلى أن أطرده ، وأظن أن كتابه معى فى
 جيبى .

الترجمان : سفتشك .
 بارولس : فى الحق يحزننى أن أقول إننى لا أعرف هل هو فى جيبى أم هو
 فى ملف مع كتب أخرى تلقيتها من الدوق ، والملف فى
 خيمتى .

الترجمان : ها هو ذا ، هذه ورقة ، هل أتلو عليك ما فيها ؟
 بارولس : لا أدرى هل هى أم لا .
 برترام : إن ترجماننا يحسن قراءتها .
 الشريف الأول : كل الإحسان .

الترجمان : ياديانا . . إن الكونت أبله عنده ذهب كثير .
 بارولس : هذا ليس كتاب الدوق يا سيدى . . بل هو تحذير لفتاة عفة
 فى فلورنسا تدعى «ديانا» ، حتى لا تتخدع بإغراء كونت
 يدعى الكونت روسيون وهو غلام أحمق عاطل ، ولكنه إلى
 جانب ذلك كله داعر عاهر ، أرجوك يا سيدى أن تعيد الورقة
 إلى مكانها .

الترجمان : كلا ، سأقرأها أولاً بعد استئذانك .
 بارولس : إن الغرض الذى أردته من ذلك الكتاب شريف ، من ناحية

الفتاة ومصلحتها ، فقد عرفت هذا الكونت الشاب غلاماً
خطراً فاجراً كالحوت في افتراس العذارى ، يلتهم كل ما يجده
من لحم طرى .

برترام : لعنة الله عليك من نصاب محتل ظاهراً وباطناً .
الترجمان : (يقراً) « فإذا أقسم لك قسماً ، فأمره أن يلقي في إثره ذهباً ،
وما يلقيه خذيه ، فهو إذا ابتاع شيئاً نسيته لا يؤدي أبداً ثمن
ما يبتاع ، إن من تحسن المساومة فقد أخذت نصف مكسبه .
فساومى إذن وأحسنى المساومة قبل أن تعطيه ما يريد ، وقولى
يا ديانا إن جندياً نبأك بهذاعنه ، وحذرك هكذا منه ، خليلك
مع الرجال ، وإياك وقبلات الغلمان ، وإذا كنت تريدین
الحقيقة ، فاعلمى أن « الكونت » مجنون وأنا بذلك عليم ،
يدفع قبل أن يملك ، ولا يدفع وهو مدين . . المخلص إليك ،
في همة في أذنيك . . بارولس » .

برترام : سياسط أمام الجيش ، وعلى جيئنه هذه الأبيات من الشعر .
الشریف الثاني : هذا هو صديقك المخلص يا سيدى ، واللغوى العريف بعديد
الألسن ، ومختلف اللغات ، والجندى « التقدير على كل شىء »
في المعارك والساحات .

برترام : لقد كنت من قبل أحتمل أى شىء إلا الهرة ، والآن إنه لهر
في عيني .

الترجمان : بلوح لى ياسيد من نظرات قائدنا أننا سنضطر إلى شنقك .

بارولس : حياتى أولاً يا سيدى بأية حال ، لا لأننى من الموت خائف ، بل لأنى كثير الذنوب ، وأريد أن أكفر عنها بقية العمر ، فدعنى يا سيدى أعش فى محبس ، مقيداً أو فى أى مكان ، إذ حسى أن أحيا ، ويكفينى أن أعيش .

الترجمان : سنرى ماذا يمكن أن نفع ، إذا كنت تعترف بكل شيء ، فلنعد إلى الضابط ديمان ، فقد رددت على السؤال الذى يتصل بمكانته عند الدوق ، وعن مدى بسالته ، فما قولك فى نزاهته وأمانته ؟

بارولس : إنه لا يتورع عن سرقة بيضة من الدير يا سيدى^(١٤) ، وهو يحكى نيسوس^(١٥) فى اختطاف الفتيات وسلب عفتن ، ويعلن أنه الحنث بالآيمان ، الناكث بالمواثيق والأقسام ، وهو فى الحنث بها أقوى من هرقل وأشد بأساً ، وإنه فى الكذب لذلق اللسان ، فيأض البهتان ، حتى ليزرى كذبه بالصدق ، ويجعل الحق أشبه بالهذيان ، والسكر هو أفضل صفاته ، وأحسن سجاياه ، فهو يشرب كالحلوف^(١٦) ، وفى نومه لا يحدث غير أذى يسير ، إلا فى الفراش والغطاء ، وقد

(١٤) أى يسرق أى شيء تافه من مكان مقدس لا يصح أن يسرق أحد منه شيئاً .

(١٥) هو حيوان خرافى يقال له « القنطروس » نصفه إنسان ونصفه حصان ، وقد حاول أن ينتصب

« دينيزه » زوجة هرقل ، ولكن هذا بادره بسهم فأرداه .

(١٦) أى يسكر حتى لا يعى من فرط السكر ، والحلوف يكثر من الشرب .

عرفوا هذا عنه ، فجعلوا فراشه من القش ، وليس عندى
ياسيدى ما أزيدة بسبيل أمانته ، غير قولى إن لديه كل
ما ينبغى للرجل الأمين ألا يكون لديه ، أما ما ينبغى أن يتوافر
عند الرجل الأمين ، فليس عنده منه شىء .

الشرىف الأول : بدأت لهذا أحبه .

برترام : لهذا الوصف الذى يصف به أمانته ؟ اللعنة عليه ، إنه يزداد
عندى إمعاناً فى أنه الهر ؟

الترجمان : وما قولك عن خبرته بالحرب ؟

يمىن الله ياسيدى ، لقد حمل الطلبة فى طليعة فرقة الممثلين
الإنجليز^(١٧) ، ولست أريد أن أكذب عليه ، ولكنى
لا أعرف عن جنديته غير ما قالت ، إلا أنه كان له فى تلك
البلاد الشرف يوماً فى العمل ضابطاً فى موضع يقال له «مايل
أند»^(١٨) للتدريب على ازدواج الصفوف ، وكان بودى أن

(١٧) كانت العادة كلما ذهبت فرقة من الممثلين لعرض مسرحياتها فى القرى والريف أن تطوف
بشوارعها ، وتدق طبوها ، وكان الذى يحمل الطلبة فى الطليعة ، والغالب أنه من الجنود الضعفاء الذين
لا يعرفون شيئاً ، فإذا فرغ من دق الطبل قام أحد الممثلين فخطب فى الناس وبين لهم مزايا المسرحية المزمع
تمثيلها .

(١٨) كان أقوىاء الجسوم من أهل لندن يطلب إليهم فى حالات الطوارئ أن يكونوا جنوداً فى الحرس
الوطنى ، فكانوا يذهبون لقضاء يوم واحد فى السنة إلى موضع يدعى «أبل أند جرين» خارج المدينة ،
وكان هذا يعد من النكت التى يندر بها ، ويدعى فى الإصطلاح «ازدواج الصف» أى الوقوف صفين ،
للتدريب على حركات المشاة .

أضفى على هذا الإنسان من الأجداد والمكارم كل ما فى
الإمكان ، ولكنى لست من هذا كله على يقين .

الشریف الأول : لقد تجاوز فى خسته الخمسة ذاتها حتى بات منها كالعلم الفرد ،
والفد الأوحى ، فلا جناح عليه ولا تثريب .

بروام : اللعنة عليه ، إنه هر أبداً .

الترجمان : إذا كانت صفاته بهذا القدر البخس فلا حاجة بى إلى أن
أسألك هل يفسده الذهب ، فيتمرد ؟

بارولس : إنه ياسيدى من أجل بضعة دراهم لبيع عمره ، ويتنازل
عن إخلاصه ، وميراثه ويحرم الوارث من تراثه أبد الأبدین .

الترجمان : وما قولك فى أخيه ، الضابط ديمان الآخر ؟

الشریف الثانى : لماذا يسأله عنى . .

الترجمان : من يكون . .

بارولس : غراب فى العش ذاته ، لا يماثل بكثيراً أخاه فى الطيبة والخير ،

ولكنه يفوقه كثيراً فى الحبث والشر ، ويجاوزه جنباً ، وإن كان

أخوه مشهوراً بأنه من أجبن الجبناء ، وهو فى التقهقر أسرع من

أى خادم فراراً ، وفى التقدم إلى الحومة ينكل نكولاً .

الترجمان : إذا أنقذت حياتك هل تتعهد بخيانة دوق فلورنس ؟

بارولس : أى نعم ، وقائد فرسانه الكونت روسيون .

الترجمان : سأحدث همساً مع القائد لأعرف بماذا يأمر .

(على الفراد)

بارولس : لا طبول بعد الآن ، اللعنة عليها جميعاً ، يخيل لى أننى

أستأهل كل ماجرى ، أمن أجل نبيل رضاء ذلك الغلام
الشهوانى الذى يدعى الكونت ونخادعته أعرض نفسى لهذا
الخطر ، ولكن من كان يظن أن هناك كميناً وأننى واقع فيه .
: لا مفر يا سيد غير الموت ، فالقائد يقول ، إن مخلوقاً مثلك ،

الترجمان

كشفت بخيانة وغدر أسرار الجيش الذى يعمل فيه ، وعرض
بأناس لهم مكانتهم الرفيعة ، وأقدارهم السامية ، هذا
التعريض الشنيع ، لا يمكن أن يخدم الدنيا خدمة صادقة ،
ولا رجاء للعالم فيه ، فلا مفر لك من الموت ، أقبل أيها
السياف اقطع رأسه .

بارولس : يا مولاي وسيدى ، ابق على حياتى ، أودعنى أرى بعينى
ممانى .

الترجمان : ليكن ما تريد فودع جميع أصحابك - (يرفع العصاة عن
عينيه) - انظر حولك هل تعرف أحداً هنا ؟

برترام : نعمت صباحاً أيها الضابط الكريم .

الشريف الثانى : بركات الله عليك يا ضابط بارولس .

الشريف الأول : سلمت أيها الضابط النبيل .

الشريف الثانى : أية نحية أحملها عنك إلى مولاي لافيه ، لأننى عائد إلى
فرنسا .

الشريف الأول : هلا أعطيتنى أيها الضابط الكريم نسخة من الأنشودة التى

٢٩٣

كتبتها إلى ديانا في حق الكونت روسيون ، ولولا أنني جبان كما
وصفت . لأرغمك على إعطائي إياها إرغاماً ، ولكن
وداعاً .

(يخرج برترام والشريفان)

الترجمان : لقد ضعت أيها الضابط ، وذهبت حياتك ، ولم تبق
إلا ملفتتك هي وحدها التي لا تزال معقودة .

بارولس : ومن ذا الذي لا يتحطم ، إذا دبر له كيد ؟

الترجمان : إذا استطعت أن تلمس لك بلداً لم يصب فيه بمثل هذا العار
غير نسائه ، جاز لك أن تنشئ فيه أمة قليلة الحياء ، وداعاً
ياسيدي ، إنني سأمضي إلى فرنسا أيضاً ، وستحدث فيها
عنك أبداً .

(يخرج)

بارولس : ولكني مع ذلك كله شاكر ، ولو أفنى أوتيت قلباً كبيراً لانفجر

من هول هذا انفجاراً ، لن أكون بعد اليوم ضابطاً ، بل
سأكل . وأشرب وأنام ككل عبد من عباد الله ضابطاً
أو أنفاراً ، ولألزم قدرى ، وأعرف شأني وخطري ، فذلك
وحده هو الكفيل لي بالحياة ، فقل لمن يرى نفسه متفخراً ،
«تقاجاً» خف يوماً كهذا ، وسيأتي يوم يبدو كل تقاج فيه
حماراً ، وأنت أيها السيف أصدأ في جرابك ، وبأياها الحياء
أبرد من أحرارك ، ولتحي يا بارولس آمناً مطمئناً بعارك ،

وما دمت بالعبث والتهريج قد هزئ بك ، فليكن في الهزء
توفيقك ونجاحك فإن لكل إنسان حى مكاناً ، ووسائل
وأعواناً . . وإني للاحق بهم .
(مخرج)

المشهد الرابع

فلورنسا - حجرة في بيت الأرملة

(تدخل هيلين والأرملة وديانا)

هيلين : أحسبك قد أدركت أنني لم أسئ إليك ، والله على ما أقول شهيد ، وأمام عرشه أجتو ، قبل أن أتم القصد ، وأبلغ المراد ، لقد أديت إليه المأرب المطلوب ، عزيزاً لديه كالحياة ، مما يجعل الوفاق ، يطل من صدر التترى الصلد كالحجر الصوان ، ويحدو إلى الشكر والامتنان ، وقد نبث أنه الآن في مارسيليا ، ولدينا وسائل نقل مريحة إليها ، فاعلمي أنهم يحسبونني ميتة ، ذهبت من هذه الدنيا ، وقد سرح الجيش ، وأسرع زوجي عائداً إلى الوطن متهاثراً ، فبعون الله العلي العظيم ، وبعد استئذان مولاى الملك الكريم ، لا نلبث أن نلاقي الترحيب قريباً .

الأرملة : أيتها السيدة الرفيقة ، لم تجدى فى يوم من الأيام خادماً يقبل أمرك بأحسن مما تقبلناه .

هيلين : ولا سيدة ، بل لا صديقة ، أصدق الخاطر جهداً فى العمل على مجازاة صنيعك ، ومكافأة محبتك ، وثق أن الله أرسلنى لكى أكون لابتلك باثثة ، كما قدر لها أن تكون لى على زوجى

ظهيراً ونصيراً ، ولكن لكم الله أيها الرجال ! ما أغرب
شأنكم ، حتى ليتسنى بلطف الحيلة ، الاستعانة عليكم
بما تكرهون ، والانتفاع بما تغضبون ، حين تخدعون في ظلمة
الليل ، فيمسى ما تكرهونه محبباً ، ويبيت ما تنفرون منه
مشتهى مجتنب ، كذلك هي الشهوة ، تلهو بما لا ترضاه ،
وتعبت بما لا تهواه ، وتستعيض بالحاضر عما هو بعيد ، ولكننا
إلى هذا الحديث عائدون وله على الأيام مزيد ، وأنت
يا ديانا ، لابد من أن تعاني بعض العناء ، من أجل ، وتنفيذاً
لتعاليم الأئمة .

: اجعلي الموت والوفاء ، مقترنين بما تأمرين ، فإن طوع أمرك ،
متحملة ما تريدن .

ديانا

: لا يزال أمامك من العناء ما أرجو أن تحتلميه ، وأنا عند
كلمتي ، بارة بعدتي ، وسيدور الزمان فيأتي بصيف ، يصبح
للشجر فيه ورق وشوك ، وجمال وأذى ، وعدوبة ووخز ،
فلنرحل ، إن مركبتنا على الأهبة ، والوقت يدعونا أن
نعجل ، ولا ضير من البداية ، إذا سعدت النهاية ، والمثل
الذي يقول خواتم الأمور تيجانها صحيح على الدوام ،
والخاتمة هي تاج الأمور ، ومهما تكن الوسيلة فإن الغاية هي
التي تشهر بين الناس .

هيلين

المشهد الخامس

حجرة في قصر الكونتيسة

(تدخل الكونتيسة ولافيه والمهرج)

لافيه : كلا ، كلا ، كلا ، إن ابنك قد أضله مخلوق أفاق مهرج ،

خبثه لأن يفسد شبان أمة بأسرها ، ويضل فتيان قوم بضلاله
وأفنه ، ليت زوج ابنك كانت حية إلى الساعة ، وابنك الآن
هنا ، أقرب إلى حظوة الملك منه إلى هذه النحلة الحمراء
الذيل^(١٩) الحقيمة التي أتحدث عنها .

الكونتيسة : وددت لو أني لم أعرفه ، لقد كان في عيني ممات أفضل سيدة

تحمد الطبيعة على خلقها ، ولو أنها كانت من لحمي ودمي ،
وكبدتني أعز أنين الأم ، وأحب أوجاع الوالدة ، لما كان لها
عندي من الحب ما هو أقوى جذوراً ، ولا هو أشد تأصلاً .

لافيه : لقد كانت سيدة صالحة ، لقد كانت سيدة صالحة ، لا نظفر

باقتطاف عشبة مثلها قبل أن ألف بقلة من غير نوعها .

المهرج : حقاً ياسيدي ، لقد كانت السعتر الحلو الذي يوضع في

«السلطة» أو قل هي العشب الإلهي^(٢٠) .

(١٩) يقصد بارولس ، والنحلة الحمراء الذيل هي التي لا خير منها .

(٢٠) نبات معروف ، وهو (الزعتر) وصحيحه بالسين ، وفيه حلو وأنواع منه مرة ، =

لافيه : إنها ليست أعشاب السلطة أيها الوغد ، بل أعشاب الشميم^(٢١) ذات شذى وعطر .

المهرج : أنا لست بختنصر ياسيدى فى علم الحشائش ، ولا خبرة لدى بالأعشاب^(٢٢) .

لافيه : أيهما تقر أنك هو ، أوغد شرير ، أم ماجن مهرج ؟

المهرج : ماجن ياسيدى فى خدمة امرأة ، ووغد فى خدمة رجل .

لافيه : وما حد براعتك ، ومدى امتيازك ؟

المهرج : أنزع من الرجل زوجته ، وأؤدى أنا عمله .

لافيه : فتكون وغداً فى خدمته فعلاً .

المهرج : وأعطى زوجته عصاى ياسيدى لأخدمها^(٢٣) .

لافيه : أشهد لك ، فأنت وغد ومهرج حقاً .

المهرج : فى خدمتك .

لافيه : كلا ، كلا ، كلا .

المهرج : ولماذا ياسيدى ؟ إنى إذا لم أستطع خدمتك ، استطعت

= والسلطة أوه السلاطه فى اللغات الأجنبية هى المشهيات من الخضر ، والعشب الإلهى هو نبات يعرف بالسنب أو السذاب .

(٢١) أعشاب الشميم هى التى تنم لزكى رانحتها .

(٢٢) بختنصر ورد ذكره فى سيرة دانيال ، وقد أصيب بالجنون فكان يأكل الحشيش كالثيران وكان جسمه مبللاً بندى السماء .

(٢٣) هى العصا التى اعتاد المهرجون حملها لإضحاك الناس وهو هنا يقصد معنى آخر (أى لكى تستخدمها فى ضرب الزوج ، وهى عصاً صغيرة ذات رأس فى صورة مهرج ، ولعلها أيضاً الشخصية) .

- خدمة أمير عظيم مثلك .
- لافيه : ومن يكون ؟ أفرنسى هو ؟
- المهرج : يمين الله ياسيدى إن له اسماً انجليزياً ، ولكنه أحر وجهاً فى فرنسا منه فى انجلترا^(٢٤) .
- لافيه : ومن هو هذا الأمير .
- المهرج : الأمير الأسود ياسيدى ، أو أمير الظلام ، أو بعبارة أخرى الشيطان .
- لافيه : خذ هذا الكيس فهو لك ، ولست أعطيك إياه لكى أغريك بترك مولاك هذا الذى تتحدث عنه ، بل لتظل فى خدمته .
- المهرج : إننى حطاب ياسيدى أحب دائماً النار العظيمة ، وهذا المولى الذى أتحدث عنه يوقد ناراً حامية ، وهو بلا شك أمير العالم ، فلتدع سموه ، مستوياً على ملكوته ، أما أنا فحسى الدار ذات الباب الضيق ، لأنها فى نظرى خلو من الفخفخة والرواء ، لا يدخلها ذوو الفطرة والجلال ، وقد يدخلها بعض من القانونين أما الأكثرون فمن البرودة والوهن ورقة البدن بحيث يؤثرن الطريق المزدهر المؤدى إلى الباب الفسيح والنار الموقدة .
- لافيه : اذهب حيث شئت ، فقد بدأت أمل منك ، أقول لك هذا

(٢٤) يشير إلى مرضى «الزهرى» المعروف بكثرة فى فرنسا .

مقدماً ، لأننى لأحب أن أتشاجر معك ، اذهب فى سبيك ، واحرصى على رعاية جيادى وحسن خدمتها ، ولكن إياك والألاعيب والحيل فى معاملتها .

المهرج : إذا استخدمت الحيل معها ، فهى بعض عاداتها ولازماتها ، فهى من طبعها بمقتضى ناموس الطبيعة وشرعتها^(٢٥) .

(مخج)

لافيه : وغد ماكر ، وخبيث^(٢٦) .

الكوننسة : إنه لكذلك ، وكان دأب زوجى الراحل أن يلهو كثيراً به ، ويستروح غالباً إليه ، فهو هناك باق بأمره ، ملازم القصر يحق توصيته ، وهذا هو ما يجعله يعتقد أن له الإذن فى قلة الحياء ، والنصريح بالمجون والبذاء ، والواقع أنه لا يخطو خطأ ، بل يعدو عدواً أين يشاء .

لافيه : إننى أستلطفه كثيراً ، فليس ثمة من بأمر ، وكنت أهم بأن أنبئك ، منذ علمى بوفاة السيدة الكريمة ، وقرب مقدم ابنك إلى وطنه ، أننى تكلمت مع مولاي الملك فرضى جلالته أن يتحدث بشأن زواج ابنتى ، وتفضل بسبب حداثتهما ، وصغر

(٢٥) ألاعيب الحيل ، هى العادات واللازمات السيئة التى تبدو على الحيل الحرة أو الشريرة أو العنيفة المزاج ، فهو لا يفعل شيئاً غريباً ، لأن ذلك طبيعى فيها .

(٢٦) اتفق أكثر الشراح على أن المعنى المراد هو « وغد ماكر » ولكن كلمة « غير سعيد » لم يضعها الشاعر عبثاً ، ولا يزال لها معناها ، لأن الماجن عادة رجل متشائم مستنكر للحياة ، فلا تخلو كلماته الحلوة من مرارة .

سنيها ، ورضواناً منه ، أن يكون هو أول من يقترح ، ووعد
جلالته أن يفعل ، وينسى ما كان في نفسه من الموجودة على
ولده ، فالأمر إذن مهياً ، والظرف مناسب ، فلما تقولين
يا مولائي ؟

الكونتيسة : بكل سرور يا مولاي ، وأتمنى من كل قلبي أن يتم ذلك .
لافيه : إن جلالته سيأتي رأساً من مارسيليا ، سليماً معافى كما كان في
الثلاثين ، وسيصل إلى هنا غداً إن لم يكن الذي نبأني بهذا
النبأ قد خدعني ، ولكنه قلما تكذب أنباؤه في مثل هذه
الأمور .

الكونتيسة : يسرني أن أرجو لقاءه قبل مماتي ، وقد تلقيت كتباً تقول إن
ابني سيكون هنا الليلة ، فأرجو يا مولاي أن تبقى معي حتى
تلتقيا .

لافيه : سيدتي ، لقد فكرت من قبل فيما يصح أن أعلل به المشول في
حضرته .

الكونتيسة : سل نجب يا مولاي ، حسبك شرفك الرفيع شفيحاً^(٢٧) .
لافيه : مولائي ، لقد اتخذته أبداً مرشداً هادياً ، وأحمد ربي على أنه
لا يزال مجدياً .

(٢٧) رأينا الشراح يبرون بهاتين العبارتين بدون تعليق وإن كانتا محتاجان إلى إيضاح ، فقد كان لافييه
هو الذي عرض على الملك مسألة تزويج ابنته لبرترام ، فلماذا نراه هنا متردداً في مقابله ، وما الذي تشير إليه
الكونتيسة في ردها هنا عليه ؟

(يدخل المهرج)

المهرج

: أى مولاتى . . هنا عن كذب مولائى ابنك ، وعلى وجهه قطعة من القטיפه^(٢٨) ، ولا تعلم إلا القטיפه ذاتها ، هل من تحتها ندبة من جرح ، ولكنها قطعة كبيرة^(٢٩) جعلت خده الأيسر متفخاً متضخماً ، وتركت خده الأيمن حاسراً وعارياً .

لافيه

: إن الجرح النبل ، أو الجرح الذى ينال بنبل ، ميسم الشرف ، فليكن جرحه كذلك .

المهرج

: ولكنه وجهك المقطع للشئ والتحمير . . !

لافيه

: هيا تذهب يا مولاتى لنرى ابنك ، إننى مشتاق إلى الحديث مع هذا الجندى الشاب النبيل .

المهرج

: يمين الله إنهم كثر ، على رؤوسهم فلانس رفاق فخمة ، وریش جميل ، تنحنى بها الهامات ، وتومئ لكل إنسان بالتحيات .

(يخرجون)

(٢٨) القטיפه هنا كناية عن شعر اللحية ، والنكته التى أرادها المهرج تشير إلى المرض الفرنسى «الزهرى» وكانت العادة أن ظهر طفحه على الوجه أن يعالج بلزقة طيبة .
(٢٩) فى الأصل مقدار معين من القטיפ يغطى الحد الأيسر ويجعله كالوارم إشارة إلى «الزهرى» .

الفصل الخامس

المشهد الأول

شارع في مارسيليا

(تدخل هيلين والأرملة وديانا وتابعان)

هيلين : لا بد من أن يكون هذا السفر السريع ليلاً ونهاراً ، قد
أجهدكما كثيراً ! ولكن لم يكن لنا معدى منه ولا مفر ،
وما دمنا قد وصلنا الليل بالنهار ، ورضيتما الجهد من أجل
وتجشم الأسفار ، فنفا أن دئبنا لكما يزداد على الأيام ، حتى
لا يستطيع شيء أن يترعكما من مودتي .

(يدخل ملوب البزاة)

إن هذا الرجل إذا سنحت الفرصة يستطيع بنفوذه وشفاعته أن
ينهى أمرنا إلى مسامع جلالته ، سلام الله عليك
ياسيدي^(١) .

ملوب البزاة : وعليك السلام .

(١) في الأصل والله يحميك أو ينجيك .

- هيلين : سيدى ، لقد رأيتك فى بلاط فرنسا .
- المدرّب : كنت أحيانا هناك .
- هيلين : أظن يا سيدى أنك لا تزال على شأنك من طيب الأحذوثة ، وكرم الخلال ، ولهذا تدفعنى ظروف ملحة إلى الجراءة عليك ، والانتفاع بفضلك ، متخفية بذلك آداب اللياقة ، وسأظل شاكرة لك ما حييت .
- المدرّب : بماذا تأمرين ؟
- هيلين : أن تتفضل فترفع إلى الملك هذا « المعروض » المتواضع وتعينى بكل ما أوتيت من جاه على المثل بين يديه .
- المدرّب : إن الملك ليس هنا .
- هيلين : أتقول يا سيدى إنه ليس هنا ؟
- المدرّب : نعم ، فقد سافر الليلة الماضية فى عجلة لم تكن يوماً من عادته .
- الأرملة : ربا . . ذهبت جهودنا سدى ؟
- هيلين : لا تزال الأمور مرهونة بخواتيمها ، ولكنى يا سيدى وإن لم تكن الظروف مواتية ، والوسائل غير ملائمة ولا مجدية ، أسألك أين تُراه ذهب ؟ .
- المدرّب : أكبر ظنى أنه قصد إلى « روسيون » ، وأنا إليها الساعة متجه .
- هيلين : رجائى يا سيدى ما دمت على الأرجح ستقابل الملك قبل أن يتاح لى المثل لديه ، أن ترفع إليه هذا الملتبس وتركيه ، وهو

أمر لا أحسبه ملقياً عليك ملاماً ، بل سوف يفيك على
 ما بذلت من جهد شكراً وعرفاناً ، وسألتق بك بكل سرعة
 في إمكاننا ، وعلى قدر ما تواتينا الوسائل .

: سأفعل ذلك من أجلك .

المربوب

: وستجد نفسك مشكوراً مهما يحدث بعد ، فلنعد إلى خيلنا
 ولنذهب هيا بنا .

هيلين

(يخرجون)

المشهد الثاني

(يدخل المهرج ، وبارولس)

ارولس : يا سيد لافاش^(٢) ، خذا هذا الكتاب إلى السيد لافيه ، لقد كنت فيما مضى يا صاح معروفاً لديك أحسن من هذا وأجمل منظرأ ، حين كنت في ألفة وحسن الثياب ، وروعة الهندام ، ولكنني يا سيد «موحل» في مزاج «الحظ» وتقلبات «أحواله»^(٣) وتبدو على أمارات تنكره لي وتغيره ، ظاهرة جميلة .

المهرج : حقاً إن تنكر الحظ لقدّر إذا كانت راحته كما قلت تتركم الأنوف كما أرى ، ولن آكل بعد اليوم من سمك الحظ ومقالاته ، من فضلك دع الهواء يدخل^(٤) .

بارولس : كلا ، لا حاجة بك يا صاح إلى إمساك أنفك ، وحبس نشيقك ، فإن ما قصدت بقولي إلا الاستعارة .

المهرج : فعلاً يا سيدى ، وإذا كانت استعارتك كريهة الرائحة أمسكت

(٢) أول مرة يتنادى فيها المهرج باسمه ، ومعناه «البقرة» ، ويلاحظ أن بارولس يكلم المهرج بأدب ورجاء ، مما يوحي بأنه بعد حادث الكمين واقتضاح أمره أصبح ذليلاً مهيبض الجناح .

(٣) استعارة من «الوحد» والأحوال ، ثم جنال مقلوب في كلمة «أحوال» .

(٤) أى أن راحته كريهة خانقة ، فهو يطلب منه أن يتنحى قليلاً حتى يدخل الهواء النقي فيزيل هذه الرائحة .

أنقى لأحمى شميمى منها ، أو من استعارة أى إنسان آخر ،
من فضلك أبعد عني .

: أرجوك ياسيدى أن تسلم كتابى هذا .

بارولس

: أف ، أرجوك أن تبتعد ، هل تريد منى أن أسلم كتاباً من

المهرج

«كرسى» الراحة^(٥) ، إلى سيد نبيل من ذوى الساحة ، انظر
ها هو ذا قادم بنفسه .

(يدخل لافيه)^(٦) .

هذا يا مولاي وغد محظوظ أو هو قط الحظ ، ولكنه ليس
قط زيد^(٧) يهب شذى المسك منه ، بل هر سقط في بركة
إدباره الكدرة ، وترعة أمواهه القذرة ، فعلته كما يقول
الأحوال ، وسامت منه الحال ، ورجائى يا مولاي أن
لا تتناول من السمك غير «المبروك» الذى ينمو في المياه
الرائقة^(٨) ، لأنه يبدو رديئاً ، عفناً ، خبيثاً ، ووغداً شقيماً ،
وإنى في بسمة حظى وإقبالى ، أرتى لتنكره له وإدباره ،
وأتركه الآن لمولاي .

(يخرج)

(٥) هكذا في الأصل وهو «كرسى» المرحاض أو بيت الراحة ، لكراهة ريمه .

(٦) حين يدخل لافيه لا يعرف بارولس لأول وهلة .

(٧) قط الحظ أو القط القفاز الذى يراقبه الناس ليعرفوا أية جهة يقفز إليها فينبئوا من ذلك حظهم .

(٨) نوع من السمك يسمى «المبروك» أو «الشموط» لا يعيش إلا في الماء الحلو والترعة الجارية

أو البرك النظيفة ، أى لا تأكل من هذا النوع الذى يعيش في الأحوال أوسمك «البرك» والمستنقعات .

- بارولس : مولاي ، إنتي رجل قسا عليه الحظ فخذشه .
 لافيه : وماذا تريد مني أن أفعل ، لقد فات ، وقت تقليم أظفاره ،
 فما الذي فعلته في المكر بالحظ حتى خلدك ، عهدي به
 السمع الكريم لا يحدش ، والعدل لا يبقى طويلاً على كل
 وغد أو خسيس ، لقد لقيت جزاءك ، خذ هذه لك (يعطيه
 قطعة من النقود) ، فالتمس من الكنيسة التوفيق بين الحظ
 وبينك^(٩) . فإن لدى عملاً آخر .
- بارولس : أتوسل إليك أن تستمع إلى كلمة واحدة مني .
 لافيه : إنك ترجو درهماً واحداً آخر ، فخذهُ ووفر كلمتك عليك .
- بارولس : إن اسمي يا مولاي الكريم هو «بارولس»^(١٠) .
 لافيه : أنت إذن تطلب أكثر من كلمة ، يمين الله^(١١) ، هات
 يدك ، كيف حال طبلك^(١٢) .
- بارولس : آه يا مولاي الكريم ، لقد كنت أول من كشفني^(١٣) .

(٩) أي أُلجأ إلى الأبرشية تُعطيك حصة من صندوق النذور .

(١٠) بارولس - جمع بارول - ومعناها بالفرنسية كلمة واسمه بصيغة الجمع ، ولهذا رد عليه لافيه بقوله إنك إذن تطلب أكثر من كلمة .

(١١) في الأصل «استرعافتي» وهو قسم معناه «بحق العذاب الذي عذب به المسيح» وقد أثرنا أن نجعله هكذا في العربية .

(١٢) إشارة إلى حادث «الكين» والبطلة التي فضحتهُ ، مما يوحي بأنه علم بها من الشريفيين الفرنسيين .

(١٣) في الأصل «أنت أول من وجلني» ولكن المراد كشفني أو أناط اللثام عن ميوبي ، ومن هنا جاء =

- لاهيه : أحقاً ، وقد كنت أيضاً أول من فقدك .
- بارولس : إن ساحتك يا مولاي لكفيلة بأن ترد إلى شيئاً من الكرامة لأنك أخرجتني منها .
- لاهيه : اخسأ أيها الوغد ، أطلب إلى أن أعمل عمل الله والشيطان معاً ؟ أحدهما يدخلك في رحمته ، والآخر يخرجك منها (يسمع صوت النفير ، ها هو ذا الملك قادم ، كما يبدو من صوت النفير ، سل عني بعد يا هذا ، فقد كنت أتحدث عنك في الليلة الماضية ، ولئن كنت أحق ووغداً فلا نحرملك من طعامنا ، أبداً ، هلم اتبعني .
- بارولس : أحمد الله إليك .
- (يخرجان)

= الرد ه كنت أيضاً أول من فقدك ه .. هكذا في الأصل ولكن المعنى المراد هو أنني كنت أول من عرفك على حقيقتك ، فلم أعد أحترمك .

المشهد الثالث

حجرة في قصر روسيون

(طبول - يدخل الملك والكونتيسة ولالفيه والشريفان الفرنسيان والحاشية)

الملك : لقد فقدنا بموتها درة يتيمة وقد انحطت سمعتنا بذلك ولكن

ابنك بحماقته وجنونه لم يدرك قيمتها ، ولم يعرف لها قدرها كاملاً .

الكونتيسة : قُضِيَ الأمر يا مولاي ، وأرجو إلى جلالتك أن تعده فورة

طبيعية من وقدة الشباب حين يتغلب الزيت والنار على قوة العقل فيكتسحانه ويظلان محترقين مشتعلين اشتعلاً .

الملك : أيتها السيدة الجليلة لقد صفحت ونسيت كل شيء مع أن

انتقامي منه كان مريش السهام ، يرقب اللحظة الملائمة ليطلق رمياته ، ويرسل قذيفاته .

لالفيه : أجد التزاماً على أن أقول . . ولكني أبدأ أولاً باستمache جلالتك

عفواً وغفراناً . . إن الأمير الشاب أساء إلى جلالتك ، وإلى

أمه ، وزوجه ، إساءة بالغة ، ولكنه أساء إلى نفسه أشد

الإساءات كلها ، وظلمها ظلماً مبيئاً ، لقد فقد زوجاً كان

جهاها قبله أوسع الأعين خبرة بالحسن ، وكلامها بأسر

الآذان ، ويفتن الأسماع ، وكما لها يخضع لها القلوب الأبية ،

ويحملها على أن تدعوها في خشوع مولاي .

الملك : إن مدح ما فقدناه ، يعزز ذكره ، والآآن ادعوه إلينا ، فقد
رضينا عنه وصفحنا ، وأول لقاء كفيل بإزالة ذكرى كل
ما مضى من إساءات ، فلا تدعوه يسألنا غفراناً ، فقد نسينا
ما كان منه ، بل أكثر من النسيان ، لقد دفنا كل مخلفاته ،
وبقية تذكاراته فليمثل في حضرته جديداً علينا ، كأن لم يَأْثِم
من قبل ولم يسي ، وأبلغوه أن هذه هي مشيتنا .
أحد السادات : سمعاً وطاعة يا مولاي .

(يخرج)

الملك : وما قوله في ابتك ، هل تحدثت في الأمر ؟
لافيه : إن أمره كله رهن بمشيئة جلالتهكم .
الملك : إننا إذن أمام خطيب كفاء ، فقد تلقيت كتاباً تنوء به وترفع
من ذكره .

(يدخل الكونت برنهام)

لافيه : إنه يبدو جديراً به .
الملك : أنا لست بالنهار الراق فقد تشهد عينك في شمساً ساطعة ،
والبرد من سمائي منهمراً في وقت واحد ، ولكن على مطلع
الأشعة الباهرة ، تراجع السحب المتكاثرة ، فلتقم حيث
أنت فقد عاد الزمان صفواً .

برنرام : أيها المولى العزيز مغفرة لما فرط مني ، وندمت عليه أشد الندامة .

الملك : انتهى كل شيء ، فلا تذكر الماضي بكلمة أخرى فقد انقضى ، ولك الساعة التي أنت فيها ، فلنمسك بالفرصة من جدائلها ، فقد أدير العمر بنا ، وقدم الزمان ، في ديبه الخفاف وخطوه الصامت ، متسللاً ، إلى أعجل ما نقرر قبل أن ننفذه ، وأسرع ما نشاء ، قبل أن ننجزه . .
أذاكر أنت ابنة هذا الشريف ؟

برنرام : بإعجاب يا مولاي ، فقد وقع اختياري أولاً عليها ، قبل أن يحسر فؤادي على أن يتخذ لسانى رسولاً ، أو يوفد مقولى إليها بشيراً ، ولم يلبث أثر جمالها في ناظري أن جعل الإزراء بكل جمال سواه يعيرنه مرآته ، فبدا كل وجه آخر منكور المعارف ، مسفوع اللون ، غير متناسب القسمات ، دميماً تنبو عنه النظرات ، ومن ثم كانت ، التي تلهج ألسنة الناس بمدحها ، والتي أحببتها منذ أن فقدتها ، تبدو قذى في عيني ، وأذى لناظري .

الملك : أحسنت التشفع ، وأجدت التبرير ، فإن حبك لها يحو بعض المفردات من الحساب ، ولكن الحب الذي يأتي متأخراً هو أشبه بالعفو الرحيم الذي يأتي وانياً ، بعد تنفيذ العقاب ، ويصبح من الحسرة أنه أقبل بعد ذهاب ، وأن من تولى كان

طيباً ، ومن توارى كان كريماً لا يعاب ، إن طيشنا ليسخص
أخطر الأشياء لدينا أثمانها ، ويقلل من أقدارها وموازينها ،
فلا نعرف خطرهما حتى نخسرهما ، ولا ندرك فضلها ، حتى
نوسدها في قبرها وإنا لنظلم أنفسنا كثيراً بمطاوعة نفورنا ،
فنقضى على أصحابنا ، وندمر أحبابنا ، ثم نبكى على
تراثهم ، ويصحو حيناً فجأة من غفوته ، لينوح ندامة على
فعلته ، في حين ينام كرهنا المستهتر نومة الظهيرة مستخفاً
بجريمته ، فليكن هذا بمثابة ناقوس المات ، هيلين الجميلة
الكثيرة الحسنات ، والآن فانسها وابعث بأمارات حبك
لمجدلين الحسناء ، وقد تم الاتفاق على القران ، بين ذوى
الشأن ، وسنقيم هنا حتى تحضر يوم الزفاف الثانى لأرملتنا .
: ليجعله الله أسعد من الأول وأوفر بركات ، وأن يتمه بخير قبل
أن يدركنى المات .

الكونتسة

: هلم يا بنى ، يا من سيقترن اسم عشيرتى باسمه على الزمان ، هلم
قدم رمز حب منك إلى ابنتى يتلأأ فى روحها ، ويملأ جوانحها
بريقاً وسناءً ، فتسرع فى القدوم إلينا (يقدم برزاقم خاتماً) وحق
لحيتى هذه ، وكل شعرة من شعراتها ، إن هيلين التى قضت
كانت مخلوقة محبة ، وكان هذا الخاتم فى إصبعها ، آخر مرة
زرت فيها البلاط .

لافيه

: لم يكن خاتمها .

برزاقم

: دعنى أشهده ، فكثيراً ما كانت عيني تستقر عليه حين كنت
أتكلم (يتناوله من لافيه ويدخله في إصبعه) ، هذا كان خاتمي
أعطيته لهيلين وقلت لها إذا خانها الحظ واحتاجت إلى المعونة ،
فليكن هذا الرمز مذكراً لي فأبادر إلى معونتها ، فهل أوتيت
من الدهاء ما استطعت به أن تحرمها مما كان لها أعز سناد ،
وأكبر نصير .

برترام

: مولاي المعظم ، مهما يسرك أن يكون الأمر كما قلت ، فلم
يكن هذا الخاتم يوماً خاتمها .

الكونتيسة

: أى نى ، إني أقسم بحياتي أنى رأيتها تلبسه ، وكانت تعتر به
اعتزازها بالحياة ذاتها .

لافيه

: إننى واثق أننى رأيتها تلبسه .

برترام

: أنت واهم يا مولاي ، فما وقعت عينها يوماً عليه ، لقد ألقى
إلى وأنا في فلورنسا من شرقه ، ملففاً في ورقة تحوى اسم النى
ألقته ، لقد كانت كريمة نبيلة النفس ، وقد ظنت أننى
خطبتها ، ولكنى لما أفصحت لها عن شئونى ، ونباتها صراحة
أننى لا أستطيع الاستجابة إلى هذا الشرف الذى فاتحتنى فيه ،
كفت عني أية آسية ، ورفضت أن تسترد الخاتم ثانية .

الملك

: إن بلوطس^(١٤) نفسه العليم بطبائع المعادن وخواصها ، لم

(١٤) بلوطس هو إله اليسار والغنى عند الإغريق ، فهو الخبير بالمعادن والجواهر الكريمة .

يؤت من أسرار الطبيعة مثل علمى بهذا الحاتم وقيمته ، إنه خاتمي ، بل خاتم هيلين ، أيًا كانت من أعطتك إياه ، فإن كنت واثقاً من نفسك فاعترف أنه خاتمها ، وقل بأية وسيلة من وسائل العنف حصلت عليه منها ، لقد أقسمت أمامي بكل القديسين ألا تخلعه من أنملتها أبداً ، إلا إذا أعطتك إياه في فراشها الذي لم تذهب إليه ، أو تبعته لنا إذا حلت بها أعظم كارثة .

: إنها لم تره في حياتها .

برترام

: وحق شرفى الذى أغلوه به ، إنك لتقولن كذباً ، وتدخلن فى

الملك

روعى مخاوف وهواجس أود لو أنى سددت عليها السبيل ، فإذا ثبت لى أنك مجرد من كل شعور إنسانى . . وهو ما لن يثبت ، وإن كنت إلى الآن لا أعلم - لقد كنت تكرهها كراهية مميتة ، وهى اليوم ميتة ، وليس ثمة شىء أدعى إلى تصديق مماتها ، من رؤيتى هذا الحاتم الذى كان فى أنملتها ، إلا أن أكون أنا الذى توليت بيدي إغماض عينيها . . . اغربوا به عنى . . . إن ما جربته فيما مضى من أمرك ، مهما تكن نتيجة هذه المسألة التى ننظر فيها ، تجعلنى الملولم على أنى من حماقتى لم أسترب بك إلا قليلاً ، وكانت الحكمة تقتضينى أن أسترب كثيراً ، اذهبوا به . . . فسوف نبحت فى هذا الأمر

فما بعد وننقصى وجه الحق فيه (١٥) .

برترام : إذا أثبت أن هذا الخاتم كان يوماً خاتمها . فقد دلت على أنني
عاشرتها في فلورنسا ، وهى لم تطأ أرضها بقدميها .
(مخرج)

(يدخل أحد السادات)

الملك : لقد استولت على نفسى أفكار أليمة وخواطر قاتمة .
السيد : أى مولاي العظيم . لست أدري هل ترائى أخطأت أم لم
أخطئ . هذه عريضة من امرأة فلورنسية ، لم تستطع لكثرة
تقلات مولاي ورحلاته ، أن تقدمها بنفسها إلى سدنك .
فتعهدت لها ، وقد غلبنى جمالها ، وحسن قولها . وكثرة
توسلاتها أن أقدمها لجلالتك ، وقد علمت الآن أنها هنا فى
انتظار أمرك ، ويبدو لى أن الأمر خطير . فقد أنبأتنى فى
حديثها العذب وشرحها اليسير أن أمرها بهم مولاي .

الملك : (يقرأ الخطاب) . . «يخجلنى أن أقول إنه استطاع بعد
توكيداته ، وكثرة توسلاته ، فى سبيل الزواج بى . بعد ممت
زوجته ، أن يغلبنى على أمرى . وها هو ذا الكونت روسيون
قد ترمل ، فحنث فى عهوده ، ونال من شرفى بكنوده .
متسللاً من فلورنسا غير مودع ولا مستأذن ، وقد جئت فى

أثره إلى وطنه أنشد العدالة ، فامنحنيها أيها الملك ، لأنك خير
مثليها ، وأعلى منارها ، وألا يصبح الكاذب الغواء موفقاً
مظفراً ، ويذهب شرف فتاة مسكينة مطلولاً مهدراً .

(ديانا كابليت)

لافيه : إني لأوثر أن أشتري لابنتي زوجاً من السوق وأبيع هذا ، لن
أرضى به نسياً .

الملك : لقد كانت السموات عليك حانية ، يالافيه ! ، فكشفت عن
هذا الأمر النقاب ، يتوفى هؤلاء الطالبين ، أسرعوا ،
ولتعيدوا الكونت إلى حضرتنا .

(يدخل برترام)

أخشى أيتها السيدة أن تكون حياة هيلين قد اختطفت غيلة
وغدراً .

: الآن لتأخذ العدالة الآثمين بإثمهم .

الملك : عجبى لك يا فتى ، تكره النساء أزواجاً ، وتخلص منهن حين
تقسم اليمين على قبولهن ، ثم لا تزال تطلب قراناً ، من تكون
هذه المرأة . .

(تدخل الأرملة وديانا وأحد السادات)

ديانا : أنا يا مولاي فلورنسية منكودة ، من أسرة كابليت القديمة ،
وقد فهمت أنك عرفت بأمر قضيتي ، وعرفت أن حالتي
تستحق الرثاء . .

: وأنا أمها يا مولاي ، تعرض كبرها وشرفها للمساءة ، وقد
شرحناها في هذا الكتاب الذي رفعناه ، فإذا لم تعالج الأمر
يا مولاي بحكمتك ورحمتك ، قضى على حياتي وشرفي معاً .

الملك

: أقبل أيها الكونت ، هل تعرف هاتين المرأتين ؟

برترام

: ليس في وسعي يا مولاي أن أنكر معرفتي إياهما ، ولن أنكر
هذه المعرفة ، فهل لديهما غير هذه التهمة ؟

ديانا

: لماذا تنظر إلى زوجك هكذا مستغرباً ؟

برترام

: إنها ليست زوجاً لي يا مولاي .

ديانا

: إذا أنت تزوجت بعدى ، نقضت هذه اليد ، وهى يدى ،
ونقضت اليمين ، وهى يمينى ، ونزعت نفسى ، وهى بين
جنبى ، لأننى بحق اليمين جزءاً لا يتجزأ منك ، ومن تزوج
بك ، لابد أن تتزوجنى ، فإما نحن معاً ، أولاً .

لافيه

: إن سمعتك لا تلائم ابنتى ، وأنت لست لمثلها أهلاً .

برترام

: إن هذه المخلوقة يا مولاي فتاة حمقاء مستيثة كنت أحياناً أهور
بها وأعبت ، فأحسن بى الظن يا مولاي ، ولا يخامرك فى
شرفى سوء ، فتظن أننى إلى مثل هذا الدرك نزلت به .

الملك

: لن أحسن بك الظن ، حتى تكسب فعالك حسن ظنى حقاً ،
فأثبت شرفك ، وأزل ما علق به فى خاطرى .

ديانا

: تفضل يا مولاي فسله أن يقسم هل تراه لم يمسه عذرى ،

وينل من عفتى

- الملك : ماذا تقول لها ؟
- برترام : إنها وقحة يا مولاي ، وكانت العوبة عامة يلهو بها المعسكر .
- ديانا : إنه يظلمني بهذا القول يا مولاي ، فلو أني كنت كما يصف
- لاشتراني بضمن المرأة العامة ، فلا تصدقه ، ألا أنظر إلى هذا الخاتم الذي لا مثيل له في غلو قدره ، ورفعت جوهره ، ومع ذلك لقد أعطاه إلى « العوبة عامة » يلهو بها المعسكر ، لو أنني كنت كما وصف .
- الكونتيسة : لقد علاه الحجل ، إذ أصابته في الصميم ، إن هذا الخاتم الذي ظل ستة أجيال تراثاً يتوارثه الخلف عن السلف ، وقد أعطى إليها فلبسته ، هي إذن زوجه ، وهذا الخاتم على الزواج يقوم مقام ألف دليل .
- الملك : أحبك قلت إنك رأيت في البلاط أحداً يصح أن يكون شاهداً .
- ديانا : أجل يا مولاي ، وإن كرهت أن ألجأ إلى هذه الأداة السيئة ، إن هذا الشاهد يدعى « بارولس » .
- لافيه : لقد رأيت الرجل اليوم ، إذا تجاوزت فوصفته بأنه رجل .
- الملك : ابجثوا عنه وأتوا به إلينا .
- (يخرج الخدم)
- برترام : أمثله يصلح شهيداً ، وهو المعروف بأنه أسوأ عبد ختلاً وغدراً ، وأكثرهم في هذه الدنيا معاباً ونكراً ، لتأني خليقته

الدنسة أن تقول الحق ، فهل يقضى على بهذا أو ذاك حسباً
يقوله هذا الإنسان الذى لا يأبى أن يقول أى شىء ؟

: إن لديها خاتمك .

الملك

: أظن ذلك ، ففى الحق لقد راقتنى ، فاستمتعت بها فى نزوة

برترام

من نزوات الشباب ، لقد عرفت كيف تناضل ، فاتخذتنى

صيداً ، وراحت تتأبى لتزيدنى لطفة ، وتوقاً ووجداً ، لأن

الحوائل حين تقوم فى طريق الرغبة تزيد الراغب شوقاً

وسعيراً ، وجملة القول أنها عرفت بمكرها الذى لا حد له ،

وجالها العادى كيف تخضعنى لمشيئها ، فظفرت منى بالخاتم ،

وظفرت منها بما كان من دونى ظافراً به بسعر السوق إذا طلبه .

: سأصبر على هذا ، أنت الذى نبذت زوجاً كريماً ، كزوجك

ديانا

الأولى ، لا تتورع من أن تنكرنى إنكاراً ، ولكنى أرجوك

- ما دمت من المروءة مجرداً ، فإنى لن أكون لك زوجة - أن

تبعث فى طلب خاتمك ، لأرده إليك ، واردد على خاتمى .

: ليس لدى خاتمك .

برترام

: وما هو خاتمك هذا ؟ أرجوك أن تفصحى .

الملك

: إنه يا مولاي يشبه كثيراً الخاتم الذى فى إصبعك .

ديانا

: أتعرفين هذا الخاتم ؟ لقد كان خاتمى من عهد غير بعيد .

الملك

: وهو الذى أعطيته إليه ونحن فى الفراش .

ديانا

: أهذه إذن قصة كاذبة ؟ لقد ألقيت به إليه من النافذة .

الملك

- ديانا : لقد قلت الحق يا مولاي .
(يدخل بارولس)
برترام : مولاي ، إنني أعترف بأنه خاتمها .
الملك : ما بالك تضطرب هكذا ، وتفزع من كل ريشة (إلى ديانا)
أهذا هو الرجل الذي تحدثت عنه ؟
ديانا : أجل يا مولاي .
الملك : نبئني يا هذا ، وإني أمرك أن تقول الحق ، ولا تخف غضب مولاك ، لأنني منه إذا صدقت أحملك ، ماذا تعرف عنه وعن هذه المرأة الماثلة أمامنا ؟
بارولس : لتكن مشيتك يا مولاي ، لقد كان سيدي رجلاً شريفاً ؟ وله حيل وألاعيب ككل السادة .
الملك : حسبك ، حسبك ، وليكن كلامك في الموضوع ، هل أحب هذه المرأة ؟
بارولس : حقاً يا مولاي ، لقد أحبها ، ولكن كيف ؟
الملك : كيف ؟ . قل من فضلك .
بارولس : لقد أحبها يا مولاي كما يحب كل سيد امرأة .
الملك : وكيف ذلك .
بارولس : أحبها يا مولاي ولم يحبها .
الملك : كقولنا أنت وغد ولست وغداً ، أي مغالط مباحك هذا المخلوق .

بارولس

: إننى رجل فقير تحت أمر جلالتك .

لافيه

: إنه طبال بارع يا مولاي ، ولكنه خطيب لا قيمة له .

ديانا

: هل تعرف أنه وعدنى بالزواج ؟

بارولس

: والله إني أعرف أكثر مما أريد أن أقول .

الملك

: ولكن هلا قلت كل ما تعرف ؟

بارولس

: أمرك يا مولاي . . لقد كنت وسيطاً بينهما كما قلت ، ولكنه

كان يحبها ، بل كان بها محبباً مستهماً ، وكان يتحدث عن
الشیطان والجحيم ، وآلهة الانتقام ، وما إلى هذا مما لا أعرف
شيئاً عنه ، ولكنى كنت موضع رضاها فى تلك الأيام ،
ومناط ثقتها ، فعرفت نبأ ذهابها إلى الفراش ، وأشياء أخرى
كالوعد بالزواج ، وغيره مما تنفر منه نفسى إذا تكلمت أنا
عنه ، ولهذا لا أقول ما أعرف .

الملك

: لقد قلت الآن كل شيء إلا إذا كنت لا تستطيع أن تقول أنهما

متزوجان ، ولكنك فى شهادتك داهية لبق ، قف جانباً ،
أتقولين إن هذا الخاتم خاتمك ؟

ديانا

: أجل يا مولاي .

الملك

: ومن أين اشتريته ؟ أو من الذى أعطاك إياه ؟

ديانا

: لم أعط إياه ولم أشرته .

الملك

: ومن أعارك إياه ؟

ديانا

: ولم يعرنيه أحد أيضاً .

- الملك : أين وجدته إذن ؟
ديانا : لم أجده .
الملك : إذا لم يؤل إليك بإحدى هذه الوسائل ، فكيف أعطيته إياه ؟
ديانا : لم أعطه إياه .
لافيه : إن هذه المرأة قفازة سهلة يا مولاي ، تدخل في الكف وتخرج كما تريد .
الملك : إن هذا الخاتم خاتمي ، أعطيته زوجته الأولى .
ديانا : لا أدري هل هو خاتمك أم خاتمها .
الملك : انصرفوا بها ، لم أعد أطيعها ، اذهبوا إلى السجن بها ، وأبعدوه من هنا ، إذا لم تقول لي من أين جاءك هذا الخاتم ، فأنت هالكة الساعة .
ديانا : لن أقول لك .
الملك : اذهبوا بها .
ديانا : سأتى بكفيلي يا مولاي .
الملك : أحسبك الآن امرأة عامة .
ديانا : (موجهة القول إلى لافيه) والله إن كنت عرفت في حياتي رجلاً فهو أنت .
الملك : علام ظللت تلقين النهم عليه كل هذا الوقت ؟
ديانا : لأنه مذنب وليس مذنباً ، إنه يعرف أنني لست عذراء ولا يتردد في أن يقسم على ذلك ، ولكنني أقسم أنني عذراء .

وهو لا يعرف ، أيها الملك العظيم أننى لست بغياً ، بل وحياتى
إننى إما أن أكون عدواً . أو لهذا الشيخ زوجاً^(١٦) .

الملك

: إن كلامها يؤذى أسماعنا . اذهبوا بها إلى السجن .

ديانا

: أماء العزيزة هاتى كفى . (تخرج الأرملة) . مهلاً يا صاحب

الجلالة . فقد أرسلت فى طلب الجوهرى الذى يملك الخاتم
وهو سيؤيد قولى . ويعزز بياى . أما هذا الأمير الذى ابتدئ

كما يعرف . وإن لم يؤذنى ، فإنى أبرئ ذمته . وأقبله من

تهمته . إنه يعرف أنه قد دنس فرشتى وفى الوقت ذاته أولد

زوجه ولداً . ولئن كانت قد ماتت ، فلا تزال تحس ولبدها

يرفس بساقه . هذا هو لغزى . إن الميتة على قيد الحياة .

فانظر يا مولاي . فى معنى . وتدبر المقصد والمراد .

(تدخل هيلين والأرملة)

الملك

: وى . ألا يوجد صاحب رقى وتعاويد يعيد إلى ناظرى

وظيفتهما الحققة . هل أبصر حقاً . وأرى يقيناً . .

هيلين

: كلا . يا مولاي الكريم . إن تبصر إلا ظل زوج . ولا ترى

منها غير الاسم .

برترام

: الاسم والمعنى معاً . مغفرة وصفحاً .

هيلين

: أواه . يا مولاي الكريم . لقد وجدتك ودوداً إلى أبعد حد

(١٦) يبدو كلامها متناقضاً . ولكنه فى الواقع صحيح لأن برترام لا يعرف حقيقة ما جرى . وقولها

«أو أكون لهذا الشيخ زوجاً» هو استحالة لأنها لن ترضى به ، وهذا يؤكد أنها عدواً .

حين كنت شبيهة بهذه الفتاة ، ها هو ذا خاتمتك ، وها هو ذا كتابك ، وأنت القائل فيه « إذا استطعت يوماً أن تظفري بهذا الخاتم من أصبعي ، وتأتيني بولد من صلبى وأضلعى . . إلخ وقد تحقق الآن ما قلت ، فهل أنت لى . بعد أن ظفرت بك مرتين ؟ .

برترام : إذا استطاعت يا مولاي أن تشرح لى هذا الأمر جلياً ، أوليتها لحب عزيزاً غالباً .

هيلين : إذا لم يبد هذا جلياً ، أوكان أمراً قريباً ، فليفصل الطلاق

المميت بينى وبينه أبدياً . . من ذا أرى . . أمى العزيزة حية ؟

لافيه : لقد هجم الدمع فى عيني (إلى بارولس) أعرفى ياذا الطلبة

مندبلاً . شكراً لك . وانتظرونى فى دارنا ، سألهو بك ،

ولكن كف عن هذه التحيات والانحناءات ، إنها ذليلة

مهينة .

الملك : دعونا نعرف القصة بحداثيرها . ليستفيض الصدق الصراح

من معاملها وصورها . فتفرح بها نفوسنا ، وإن كنت لا تزالين

زهرة صبيحة لم تقتطف (مخاطب ديانا) فاختارى زوجك وعلى

مهرك ، ويذهب فى حدسى إلى أنك بجهدك الصادق

الشريف ، حرصت على أن تكونى زوجاً . وأن تظلى

عذراء ، وسنفرغ لجلاء هذا الأمر فى مختلف أدواره ، كل

ما جرى كان خيراً ، فإذا كان الخير في النهاية ، كان الماضي في
مرارته ، أحلى وأعذب في خاتمته .
(طبول)

نشيد ختامى

أصبح الملك متسولاً ، بعد اختتام المسرحية ، وما دامت القضية قد
اكتسبت ، فقد انتهى الأمر كله بسلام ، فلتعلنوا عنها رضاكم ، تجدوا عليه
منا اجتهداً فى إرضائكم ، وفى كل يوم بعد الآخر مزيد ، فليكن لنا صبركم
علينا ، وليكن لكم مثل أدوارنا ، مدوا إلينا أيديكم ، وخذوا منا قلوبنا .

(مخرجون)

١٩٨٣/٢١٦٠	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٣٥٩-٩	الترقيم الدولي

١/٨٠/٣٤٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.٢٠٠٠ع.)